حسن عبد الله علي

الحصون المنيعة

في الرد على كتاب
حوار هادىء بين السنة والشيعة



مكتبة ذو الجناحين
النجف الأشرف

دار الكاتب العربي
لبنان - بيروت

الحصون المنيعة

رد على كتاب

حوار هادىء بين السنة والشيعة



الحصون المنيعة

رد على كتاب

حوار هادىء بين السنة والشيعة

حسن عبد الله علي



الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت

Daralkatebalarabi@hotmail.com

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف البرية وسيد الخلـق أجمعين سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليـه وعلـى آلـه الطيبين الطاهرين وأصحابه الميامين ، واللعن الدائم المؤبد على أعـدائهم مـن الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدّين وبعد :

الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ المحترم هو ردّ على كـتيّب بعنوان : (**حوار هادئ بين السنة والشيعة**) من تأليف (**عبد الله بن سعيد الجنيد**) وهو واحد من عشرات الكتيّبات والكراسات والنشرات التي تظهر بين الفينة والأخرى ضد الشيعة الإمامية الإثني عشرية شيعة أهل البيت عليهم السلام .

ومن يقرأ عنوانه يحسب أن مؤلفه استخدم الطريقة العلمية في النقاش والحوار ، فناقش الشيعة وحاورهم حواراً هادئاً كما ادعى ، بعيداً عن التعصب والتجريح والمغالطة والتزوير والتدليس والقذف والبهت وقلب الحقائق وطمسها .

إلاّ أنه إذا تصفّح الكتاب وقرأ مضمونه يجد خلاف ذلك تماماً حيث يجده يلصق بالشيعة ما هم منه براء ، وينسب إليهم من العقائد ما لا يؤمنون به ، ويلزمهم بلوازم لا يصح إلزامهم بها ، وأتى فيه بالكثير مما هو مجانب للحقيقة ومخالف للواقع الذي عليه

الشيعة، وغير ذلك كثير، فكتبت هذا الكتاب في الردّ عليه، وأرجو أن أكون قد وفّقت، والحمد لله أولاً وآخراً..

الفصل الأول

شبهة القول بتحريف القرآن

إتهام الجنيد الشيعة بالقول بتحريف القرآن الكريم

قال الجنيد تحت عنوان (عقيدة أهل السنة في القرآن) : (فالقرآن كتاب الله الذي جعله الله نوراً وهدىً وحجةً على عباده ، لا نقص فيه ولا خطأ ، وآياته باقية بكاملها كما أوحيت إلى النبي الكريم (ص) من غير زيادة فيها ولا نقصان ، بالرّغم من محاولات أعداء الله المتكررة لتحريفه وبث الشكوك حوله غير أنّ الله وعد بأن يحفظه كما قال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1]) [2] .

ثم قال بعد ذلك تحت عنوان (عقيدة الشيعة في القرآن) : (أمّا كتب مشايخ الشيعة فإنها تذهب إلى عكس ذلك المفهوم ، فإن كلاً من السيد هاشم البحراني المفسّر الشيعي في مقدمة كتابه البرهان في تفسير القرآن ، والمحدث ملا باقر المجلسي في كتابه مرآة العقول ، وكذلك الشيخ النوري الطبرسي ، ونعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية وغيرهم من علماء الشيعة يؤكدون بأن القرآن قد زيد عليه ونقص منه وغيّر فيه الصحابة وبدّلوا) [3] .

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩.

(٢) حوار هادئ صفحة ٣.

(٣) حوار هادئ صفحة ٣- ٤.

عقيدة الشيعة في القرآن الكريم

أقول : إن الشيعة الإمامية الإثني عشرية يؤمنون بأن المصحف الشريف الذي في أيدي المسلمين لم تنله يد التحريف والتبديل والتغيير ، ولم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١] وقوله : ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٢] ولغيرها من الأدلة الأخرى ، ومن شذّ منهم أو من غيرهم عن ذلك فإنما هو مخطئ مشتبه لا عبرة بقوله عندهم ، ولا اعتداد برأيه لديهم ، وأمّا الروايات الواردة في بعض مصنفاتهم والتي يظهر منها وجود تحريف في الكتاب المجيد فإنهم لا يقيمون لها وزناً ، وكثيرٌ منها ضعيفٌ ، وبعضها ناظر إلى تحريف المعنى – أي تفسير الآيات على غير معناها الصحيح – لا التحريف في اللفظ .

وتأكيداً لصحة ما نقول ودحضاً لكل دعوى زاعمة بأن الشيعة يقولون بتحريف القرآن الكريم ، أنقل نماذج من أقوال وكلمات علماء الشيعة ومحققي مذهبهم ، ليعلم الجميع كيف أن هذا الرجل افترى عليهم وحاول أن يلصق بهم ما هم منه براء .

أقوال علماء الشيعة ومحققيهم في نفي التحريف عن القرآن الكريم

قال الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي ، المعروف بالشيخ الصدوق رحمه الله المتوفى سنة (٣٨١ هـ) : (اعتقادنا في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩.

(٢) سورة فصلت الآية : ٤٢.

ومن نسب إلينا أنّا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب)[١].

وقال الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد المتوفى سنة (٤١٣ هـ) : (وقد قال جماعة من أهل الإمامة : إنه لم ينقص من كلمة ، ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله ، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز ، وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادّعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل ، وإليه أميل ، والله أسأل توفيقه للصواب)[٢].

وقال الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي ، الملقب بعلم الهدى رحمه الله المتوفى سنة (٤٣٦ هـ) : (إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه ما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديدان ؟.

إن القرآن كان على عهد رسول الله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن ... حتى عيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من الصحابة حفظهم له ، وكان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدّة ختمات ، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان

---

(١) رسالة الاعتقادات للشيخ الصدوق صفحة ٥٩.

(٢) أوائل المقالات صفحة ٥٥.

مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث. وأن من خالف من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته) [(١)].

وقال الشيخ محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي قدس سره ، الملقب بشيخ الطائفة المتوفى سنة (٤٦٠هـ) : ((وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به ، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه فالظاهر من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر من الروايات) [(٢)].

وقال الشيخ الفضل بن الحسن أبو علي الطبرسي ، الملقب بأمين الإسلام ، المتوفى سنة (٥٤٨هـ) : ((... ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فأمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانها وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة : إن في القرآن تغييراً ونقصاناً ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى – قدس الله روحه – واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات)) [(٣)].

وقال الشيخ بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي ، المتوفى سنة (١٠٣٠ هـ) : ((الصحيح أن القرآن الكريم محفوظ من ذلك زيادة أو نقصاناً ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [(٤)].

---

(١) مجمع البيان ١/٤٣ .

(٢) تفسير التبيان صفحة ٣ .

(٣) مجمع البيان ١/١٥ .

(٤) تفسير آلاء الرحمن صفحة ٢٦ .

وقال السيد محسن الأمين العاملي المتوفى سنة (١٣٧١هـ): (لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً أنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير بل كلّهم متفقون على عدم الزيادة ، ومن يعتد بقولهم متفقون على أنه لم ينقص منه ... إلى أن يقول... ومن نسب إليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفتر مجترئ على الله ورسوله) [١]..

وقال : (... أنه اتفق المسلمون كافة على عدم الزيادة في القرآن ، واتفق المحققون وأهل النظر ومن يعتد بقوله من الشيعيين والسنيين على عدم وقوع النقص ، ووردت روايات شاذة من طريق السنيين ومن بعض طرق الشيعة تدل على وقوع النقص ردّها المحققون من الفريقين واعترفوا ببطلان ما فيها، وسبقها الإجماع على عدم النقص ولحقها فلم يبق لها قيمة) [٢]..

وقال السيد روح الله الموسوي الخميني المتوفى سنة (١٤٠٩هـ) : (إن الواقف على عناية المسلمين بجمع القرآن وحفظه وضبطه قراءة وكتابة يقف على بطلان تلك المزعومة – التحريف – وما ورد فيها من أخبار – حسبما تمسكوا – إما ضعيف لا يصلح الاستدلال به أو مجعول تلوح عليه أمارات الجعل أو غريب يقضي بالعجب. أما الصحيح منها فيرمي إلى مسألة التأويل والتفسير وإن التحريف إنما حصل في ذلك لا في لفظه وعباراته) [٣]..

وقال السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي المتوفى سنة (١٤١٣هـ): (إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال لا يقول به إلاّ من ضعف عقله أو من لم يتأمل

---

(١) أعيان الشيعة ١/٤٦..

(٢) نقض الوشيعة صفحة ١٩٨..

(٣) تهذيب الأصول ٢/١٦٥ تقرير لدروس الإمام الخميني رحمه الله.

في أطرافه حق التأمل أو من ألجأه إليه حبّ القول به ، والحب يعمي ويصم أما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته) [١] .

وقال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٣٧٣هـ) : (وإن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله للإعجاز ، والتحدي وتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم) [٢] .

وقال السيد محمد هادي الميلاني المتوفى سنة (١٣٩٥هـ) جواباً على سؤال وجه له هل وقع تحريف في القرآن ؟!! : (أقول بضرس قاطع إن القرآن الكريم لم يقع فيه أي تحريف لا بزيادة ولا بنقصان ولا بتغيير بعض الألفاظ وإن وردت بعض الروايات في التحريف المقصود منها تغيير المعنى بآراء وتوجيهات وتأويلات باطلة لا في تغيير الألفاظ والعبارات) [٣] .

وقال العلامة أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي المتوفى سنة (٧٢٦هـ) في أجوبة المسائل المهناوية حيث سئل ما يقول سيدنا في الكتاب العزيز ، هل يصح عند أصحابنا أنه نقص منه شيء أو زيد فيه أو غيّر ترتيبه أم لا يصح عندهم من ذلك ؟ فأجاب : (الحق لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه وأنه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك فإنه يوجب التطرق إلى معجزة الرسول ﷺ المنقولة بالتواتر) [٤] .

---

(١) البيان في تفسير القرآن صفحة ٢٥٩.

(٢) أصل الشيعة وأصولها صفحة ١٣٣ تحت عنوان : النبوّة.

(٣) مئة وعشرة أسئلة صفحة ٥.

(٤) أجوبة المسائل المهناوية : ١٢١.

وقال السيد عبدالحسين شرف الدين المتوفى سنة (١٣٧٧هـ) في أجوبة مسائل جار الله : (فإن القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته وسكناته تواتراً قطعياً عن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام لا يرتاب في ذلك إلاّ معتوه ، وأئمة أهل البيت عليهم السلام كلهم أجمعون رفعوه إلى جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى وهذا أيضاً مما لا ريب فيه ، وظواهر القرآن الكريم فضلاً عن نصوصه أبلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلّة أهل الحق بحكم الضرورة الأوليّة من مذهب الإمامية ، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة ، ولذلك تراهم يضربون بظواهر الصحاح المخالفة للقرآن عرض الجدار ولا يأبهون بها عملاً بأوامر أئمتهم عليهم السلام وكان القرآن مجموعاً أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما هو عليه الآن من الترتيب والتنسيق في آياته وسوره وسائر كلماته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير)[(١)]

وقال أيضاً في كتابه الفصول المهمة وهو يرد على من يحاول إلصاق تهمة القول بتحريف القرآن المجيد إلى الشيعة الإمامية الإثني عشرية : (وكل من نسب إليهم تحريف القرآن فإنه مفتر عليهم ظالمٌ لهم ، لأن قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الإسلامي ومذهبهم الإمامي ، ومن شكّ فيها من المسلمين فهو مرتد بإجماع الإمامية .

وظواهر القرآن —فضلاً عن نصوصه —من أبلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلّة أهل الحق بحكم البداهة الأوّلية من مذهب الإمامية ، ولذا تراهم يضربون بظواهر الأحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار ولا يأبهون بها وإن كانت صحيحة ، وتلك كتبهم في

---

(١) أجوبة مسائل جار الله صفحة ٣٤.

الحديث والفقه والأصول صريحة بما نقول.

والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنّما هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولالحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواترة في كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة ...)[١].

وقال الشيخ جعفر كاشف الغطاء: (لا ريب في أنه - القرآن - محفوظ من النقصان بحفظ الملك الدّيان كما دلّ عليه صريح القرآن وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد في أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها، ولا سيّما ما فيه نقص ثلث القرآن أو كثير منه، فإنه لو كان كذلك لتواتر نقله لتوفر الدواعي عليه، ولاتخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله، ثم كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه)[٢].

وقال العلامة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي المتوفى سنة (١٤٠٢هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾: (... فهو ذكر حي خالد مصون من أن يموت وينسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما يبطل كونه ذكراً، مصون من النقص كذلك، مصون من التغيير في صورته وسياقه، بحيث يتغير به صفة كونه ذكراً لله مبيّناً لحقائق معارفه، فالآية تدل على كونه كتاب الله محفوظاً من التحريف بجميع أقسامه بجهة كونه ذكراً لله سبحانه، فهو ذكر حي خالد ...)[٣].

---

(١) الفصول المهمة صفحة ١٦٣.

(٢) كشف الغطاء صفحة ٢٩٩/٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ١٠١/١٢.

وقال العلامة محمد رضا المظفر المتوفى سنة (١٣٨٣ هـ) : (نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزّل من الله تعالى على لسان نبيّه الأكرم ، فيه تبيان كل شيء ، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة ، وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية ، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بأيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزّل على النبي ، ومن ادّعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه ، وكلهم على غير هدى ، فإنه كلام الله الذي ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ...)[1] .

وقال محمد بن محسن الشهير بالفيض الكاشاني المتوفى سنة (١٠٩٦ هـ) في المقدمة السادسة التي قدم بها تفسيره (الصافي) بعد أن نقل من الروايات ما يوهم وقوع التحريف في كتاب الله ما ملخصه : على هذا لم يبق لنا اعتماد بالنص الموجود ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وأيضاً يتنافى مع روايات العرض على القرآن ، فما دلّ على وقوع التحريف مخالف لكتاب الله وتكذيب له ، فيجب ردّه والحكم بفساده أو تأويله[2] .

وقال في كتابه (علم اليقين) عند كلامه عن إعجاز القرآن المجيد وبعد أن نقل جملة من الروايات الموهمة بوقوع التحريف : (ويرد على هذا كلّه إشكال وهو أنه على ذلك التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن ، إذ على هذا يحتمل كل آية منه تكون محرّفة ومغيّرة وتكون على خلاف ما أنزله الله ، فلم يبق له حجة أصلاً فتنقضي

---

(١) عقائد الإمامية صفحة ٥٩.

(٢) تفسير الصافي ٥١/١ المقدمة السادسة .

فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية به .

وأيضاً قال عزّ وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فكيف تطرّق إليه التحريف والنقصان والتغيير ؟! وأيضاً قال الله عزّ وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَـهُ لَحَـافِظُونَ ﴾ وأيضاً قد استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمة عليهم السلام عرض الخبر المروي عنهم على كتاب الله ليعلم صحّته بموافقته له وفساده بمخالفته ، فإذا كان القرآن الذي بين أيدينا محرّفاً مغيّراً فما فائدة العرض مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذّب له ، فيجب ردّه والحكم بفساده أو تأويله ، ويخطر بالبال في دفع الإشكال –والعلم عند الله– أن مرادهم عليهم السلام بالتحريف والتغيير والحذف إنما هو من حيث المعنى دون اللفظ ، أي حرّفوه وغيّروه في تفسيره وتأويله أي حملوه على خلاف ما هو عليه في نفس الأمر ، فمعنى قولهم : كذا أنزلت : أن المراد به ذلك لا ما يفهمه الناس من ظاهره ، وليس المراد أنها نزلت كذلك في اللفظ فحذف ذلك إخفاءً للحق وإطفاءً لنور الله .

ومما يدل على ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير : وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية ...)[1] .

وقال الشيخ لطف الله الصافي : (القرآن معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قد عجز الفصحاء عن الإتيان بمثله وبمثل سورة وآية منه ، وحيّر عقول البلغاء وفطاحل الأدباء ، بيّن الله

---

(١) علم اليقين في أصول الدين ١/٥٦٥ .

تعالى فيه أرقى المباني وأسمى المبادئ ، وأنزله على نبيّه دليلاً على رسالته ونوراً للناس وشفاء لما في الصدور ورحمة للمؤمنين).

وقال أيضاً : (هذا القرآن هو كل ما بين الدّفتين وليس فيه شيء من كلام البشر ، وكل سورة من سوره وكل آية من آياته متواتر مقطوع به ولا ريب فيه ، دلّ عليه الضرورة والعقل والنقل القطعي المتواتر.

هذا القرآن عند الشيعة ليس إلى القول فيه بالنقيصة فضلاً عن الزيادة سبيل ، ولا يرتاب في ذلك إلاّ الجاهل أو المبتلى بالشذوذ)[١].

وقال العلامة الشيخ البلاغي المتوفى سنة (١٣٥٢ هـ) : (ولئن سمعت من الروايات الشاذّة شيئاً في تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تقم لتلك الروايات وزناً ، وقل ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها للمسلمين وفيما جاءت به في رواياتها الواهية من الوهن وما ألصقته بكرامة القرآن ممّا ليس له شبه به ...)[٢].

وقال العلامة الشيخ المجلسي المتوفى سنة (١١١١ هـ) بعد أن ذكر بعض الأحاديث الموهمة بنقصان القرآن ما نصّه : (فإن قال قائل كيف يصحّ القول بأن الذي بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان وأنتم تروون عن الأئمة عليهم السلام أنهم قرأوا : (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) وكذلك : (جعلناكم أئمة وسطا) وهذا بخلاف مافي المصحف الذي في أيدي الناس ؟ قيل له : قد مضى الجواب على هذا وهو أن الأخبار التي جاءت بتلك أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عمّا في المصحف الظاهر على ما أمرنا به

---

(١) مع الخطيب في خطوطه العريضة صفحة ٤٤-٤٦.

(٢) آلاء الرحمن في تفسير القرآن صفحة ١٨.

حسب ما بيّناه مع أنه لا ينكر أن تأتي القراءة على وجهين منزلين أحدهما ماتضمنه المصحف والثاني ما جاء به الخبر كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على وجوه شتى ...) [١] .

وقال الشيخ جعفر السبحاني في كتابه (رسائل ومقالات) : (القرآن الكريم هو المصدر الأول لدى المسلمين من غير فرق بين الشيعة وأهل السنّة ، وهو كلام الله ووحيه وقوله وكتابه ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم ، وأنه الحق الفصل ما هو بالهزل ، وأن الله تبارك وتعالى منزّله وحافظه ، صانه من الزيادة والنقيصة ، وهذه عقيدة كبار المحققين من الشيعة) [٢] .

وقال في كتابه (العقيدة الإسلامية) : (... ولكن رغم وقوع التحريفات الواضحة في الكتب السماوية السابقة فإن القرآن الكريم بقي مصوناً من أي نوع من أنواع التحريف والتغيير) [٣] .

ووجه لآية الله العظمى السيد كاظم الحائري سؤال نصّه : ما هو ردّكم على من يقول بأن الشيعة الإمامية الإثني عشرية يقولون بتحريف القرآن الكريم ، وأنه قد زيد فيه ونقص منه ؟ و ما هو رأيكم في الروايات الواردة في بعض المصادر والتي توهم بوجود التحريف في القرآن الكريم ؟ .

فقال : (القول بتحريف القرآن لدى نادر من الشيعة موجود و كذلك موجود لدى بعض السنّة ، أمّا الرأي الصحيح الذي عليه مشهور الشيعة والمحققون فهو نفي التحريف

---

(١) بحار الأنوار ٧٥/٩٢.

(٢) رسائل ومقالات صفحة ٤٣ .

(٣) العقيدة الإسلامية صفحة ١٦٩ .

ومن جملة الأدلة على نفي التحريف قوله عزّ وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وكل ما وردت من روايات التحريف سواء لدى الشيعة أو لدى السنة فهي روايات مزوّرة ومحرّفة)[١] .

ووجه نفس السؤال أيضاً إلى المرجع الديني آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني حفظه الله فكان الجواب : (القول بالتحريف منقول عن الصحابة وعلماء السنة أمّا الصحابة فإن عمر بقي إلى آخر عمره مصرّاً على أن آية الرجم وآية إطاعة الوالدين جزء من القرآن ، والمسلمون رفضوا ذلك ، ومصحف عبد الله بن مسعود يختلف عن المصاحف المشهورة إختلافاً فاحشاً ، وهناك سورتان مرويتان في صحاح أهل السنّة ولم تردا في القرآن وهما سورتا الحفد والخلع ، وأمّا الشيعة فالصحيح عندهم هو عدم التحريف وقد أمر الأئمة عليهم السلام بتلاوة القرآن كما هو المشهور ، واستدلوا بنفس هذه القراءات المشهورة ، وأمّا الروايات فأكثرها ضعيفة وقسم منها مؤول بإرادة التفسير وغيره)[٢] .

ووجه نفس السؤال كذلك لسماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم فكان جوابه : (الصحيح أن القرآن الموجود بين الدفتين هو القرآن النازل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الله تعالى دون زيادة ونقيصة ، وهذا هو المعروف بين علمائنا قديماً وحديثاً وابتنى عليه إجماعهم العلمي وإن رويت أخبار على خلاف ذلك في بعض مصادر الفريقين — خاصة من الطرق المعتمدة لدى الجمهور — إلاّ أنها لا يعتمد عليها ، وهي لا تقوى على زعزعة واقع القرآن الشريف والتشكيك به ، فإن القرآن يثبت نفسه بنفسه ،

(١) أنظر صورة من جوابه ملحقة بهذا الكتاب في نهايته .

(٢) أنظر صورة من جوابه ملحقة بهذا الكتاب في نهايته .

وأنه ليس من إنشاء البشر كما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ﴾ وهو من أجل ذلك في غنى عن التواتر ، ولذا صار معجزة للنبي ﷺ وشاهداً لصدقه ، وأمّا ما تضمنته بعض الروايات من بعض الزيادات فهو مما يقطع بعدم كونه قرآناً ، لهبوط مستواه ، وضعف بيانه ، وركّة أسلوبه ، وكفى بذلك حجة على عدم التحريف ، وأمّا فرضيّة النقيصة فهي مرفوضة لما أشار إليه السيد المرتضى قدس سره من اهتمام المسلمين بالقرآن المانع من ضياعه ، كما أن استشهادات المسلمين من الصدر الأول بالقرآن الشريف في مقام الاحتجاج وغيره –رغم كثرتها– تشهد بعدم التحريف ، إذ لم يرد في كلامهم –ولو صدفة– الإستدلال أو الإستشهاد بشيء يصلح أن يكون قرآناً في أسلوبه وبيانه غير ما هو موجود في المصحف الشريف .

ومن خلال ما تقدم يظهر بطلان ما نسب لبعض الأحناف من أن النازل على الرسول ﷺ هو المعاني ، وأن الرسول ﷺ صاغها بالألفاظ الموجودة .

وجدير بالمسلمين الإهتمام بكتابهم المجيد والإلتزام بتعاليمه القيمة ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ بدلاً من الإستماع إلى نداء الشيطان بالمهاترات الباطلة وتمزيق شمل الأمة ، والله سبحانه هو المسدّد والعاصم) [١] .

وقال الشيخ عبد الله نعمة : (مذهب الشيعة في القرآن الكريم هو أنه لا تحريف فيه وأن القرآن الكريم هو ما بين دفتيه دون زيادة أو نقيصة ، وعلى هذا استقر مذهبهم أو إجماعهم وروايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ونجد هذا صريحاً في أقوال علمائهم من متقدمين ومتأخرين) [٢] .

---

(١) أنظر صورة من جوابه ملحقة بهذا الكتاب في نهايته .

(٢) روح التشيّع صفحة ٤٣٣.

وقال أيضاً : (وكل من ينسب إلى الشيعة الإمامية القول بالتحريف أو الزيادة فيه أو النقصان فهو جاهل غبي أو مفتر كذاب غوي ينسب إليهم ما لم يقولوه ويعزوا إليهم ما لم يدّعوه إمعاناً في الإفتراء والكيد والتضليل .

والقرآن بحدوده الحالية متواتر قطعاً ، لا زيادة فيه ولا نقيصة وقد كان الأمين جبرئيل عليه السلام يعارض النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن مراراً ، وكان حفظة القرآن من الصحابة يعرضونه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وبعد هذا فالروايات الواردة في بعض الكتب المتضمنة للزيادة أو النقيصة هي روايات شاذة مطروحة لا يعبأ بها لأنها مخالفة للصريح من القرآن في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، ولأن المقياس لقبول الرواية وعدم قبولها هو موافقتها لكتاب الله تعالى أو مخالفتها له ، فكل ما خالف كتاب الله لابد من تأويله إن أمكن وإلاّ فيطرح ولا يعتد به كما ورد الأمر بذلك عن الأئمة الأطهار عليهم السلام) [١] .

وعليه فقد ظهر لك أيها القارئ المحترم أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية يؤمنون بهذا القرآن الكريم الموجود بين أيدي المسلمين وهو مرجعهم الأساس في أخذ المعارف وأحكام الدين وأنه لم يزد فيه ولم ينقص منه وأن عبد الله الجنيد ما هو إلاّ أفّاك كذاب افترى عليهم .

أخبار التحريف آحاد شاذة وهي إما ضعيفة أو موضوعة أوناظرة إلى تحريف المعنى

قال الجنيد : (ولقد نقل النوري الطبرسي عن نعمة الله الجزائري أن الأصحاب قد

---

(١) روح التشيّع صفحة ٤٣٥-٤٣٦.

أطبقوا على صحة الأخبار المتواترة الدّالة على وقوع التحريف في القرآن) [١] .

أقول : أولاً : لو قلنا إن الأصحاب أطبقوا على عدم صحّة الأخبار الدالة على وقوع التحريف في القرآن المجيد أو الموهمة لذلك ، لما جانبنا الصواب ، لأن المتتبع لآراء علماء الشيعة ومحققيهم حول هذه المسألة يظهر له جلياً أنهم لم يقيموا لمثل هذه الأخبار قيمة ولم يعيروها أهمية ، بل ضربوا بها عرض الجدار .

ثانياً : إن ما نقلناه فيما سبق من أقوال وكلمات لبعض علماء الطائفة ومحققيها لهو خير دليل على أنهم لم يلتفتوا لهذه الروايات ولم يعتدوا بها وطرحوها جانباً ، ولم يخلوا تصريح بعضهم بعدم التحريف من إشارة إلى عدم الإعتداد بمثل هذه الروايات ، وعليه فإن دعوى الإطباق التي ادّعاها العلامة النوري الطبرسي باطلة وغير صحيحة .

الجنيد يدلّس على القارئ ويتهم العلامة الكليني بالقول بتحريف القرآن الكريم

قال الجنيد : (كما يؤكد الكليني في كتابه الكافي أن مجموع الآيات التي نزلت على النبي (ص) سبع عشر ألف آية ، علماً بأن الآيات التي بين أيدينا في المصحف المتداول تقارب الستّة آلاف آية فقط) [٢] .

أقول : أولاً : إن صاحبنا في كلامه هذا وفي غيره كما سيأتي يمارس التدليس بأبشع صوره ، حيث يذكر مضموناً لرواية نقلها العلامة الكليني قدس سره في كتابه الكافي ويطرحها للقارئ على أنها من كلام الكليني ، مع أنها ليست كذلك وإنما هي رواية

---

(١) حوار هادئ صفحة ٤ .

(٢) حوار هادىء صفحة ٤ – ٥ .

رواها عن غيره ، فهل هذا إلا تدليس وتلبيس ؟!.

ثانياً : هذه الرواية من الرّوايات الشاذة النادرة ، ولذلك ذكرها العلامة الكليني قدس سره تحت عنوان (النوادر) والنوادر هي التي لا عمل عليها كما قال الشيخ المفيد [1] .

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام الأمر بترك الشاذ والنادر قال : (... ينظر إلى ما كان من روايتهم في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه) [2] .

ثالثاً : إن هذه الرواية وإن كانت من حيث السند موثقة ، بمعنى أن الرّواة الواقعين في سندها من المنصوص على وثاقتهم ، لكن قبول الرواية عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية والاعتماد عليها والقول بمضمونها لا يكفي فيه صحة سندها لتكون حجة عليهم بل عندهم قواعد أخرى يطبقونها على الرواية ، منها : أن لا تكون الرواية مخالفة للقرآن المجيد ، وهذه الرواية لو فرضنا أنها تدل على أن القرآن الكريم ناقص قد ضاع منه الكثير فلا اعتبار بها عند الشيعة ، بل يطرحونها جانباً ويضربون بها عرض الجدار ، لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ وقال : ﴿ **لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ .

رابعاً : من باب الرّد على الخصم بما ألزم به نفسه ، نقول : إن روايات مصادر السنيين صرّحت بأن القرآن الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس كلّه الموجود في المصحف الشريف الذي بأيدي المسلمين وإنما ذهب منه قرآن كثير !

فعن ابن عمر : « لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كلّه ، قد

---

(١) جوابات أهل الموصل صفحة ١٩ .

(٢) الكافي ٦٧/١ ، جواهر الكلام ٣٢/٤٠ ، فقه الرّضا صفحة ٥٢ .

ذهب منه قرآن كثير !!! ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر » [١].

وهم يدّعون أن ذلك نزل من القرآن الكريم ثم نسخ ، فلماذا لا يعتبر الجنيد هذه الرواية ناظرة إلى جميع ما نزل من القرآن الكريم بما فيه الذي يزعمون أنه منسوخ ؟ [٢].

لماذا يشنع على الشيعة بهذه الرواية ، ولا يفسرها بمثل ما فسر هو وعلماء السنّة رواياتهم الصريحة في ضياع الكثير من القرآن الكريم ؟ [٣] فهذه الرواية لا تقول بأن القرآن الموجود في المصحف بهذا العدد من الآيات بل تقول أن الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو بهذا العدد ، فهي أولى بأن يحملوها على هذا الوجه من رواياتهم تلك الصريحة في التحريف !!

خامساً : إن عند أهل السنة من الروايات ما يشابه هذه الرواية قال السيوطي : (وأخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : القرآن ألف ألف حرف فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين) [٤].

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢٥/٢ ، الدر المنثور ٢٩٨/٢ ، تفسير روح المعاني للألوسي ٢٥/١ .

(٢) قال السيوطي في كتابه الدر المنثور ١٧٩/٥ : أخرج عبد الرزاق في المصنف والطيالسي وسعيد بن منصور وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن منيع والنسائي والدار قطني في الأفراد وابن المنذر ، وابن الأنباري في المصاحف والحاكم في المستدرك ، وابن مردويه والضياء في المختارة عن زر قال : قال لي أبيّ بن كعب : كيف تقرأ سورة الأحزاب ؟ أو كم تعدّها ؟ قلت ثلاثة وسبعين آية ، فقال أبيّ : قد رأيتها لتعادل سورة البقرة وأكثر من سورة البقرة ولقد قرأنا فيها : (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجمهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) فرفع منها ما رفع .

(٣) عن ابن شهاب قال : بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير ، فقتل علماؤه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه ، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب . كنز العمّال ٥٨٤/٢ حديث رقم : ٤٧٧٨ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن ٢٤٢/١-٢٤٣ ، الدر المنثور ٤٢٢/٦ ، المعجم الأوسط للطبراني ٣٦١/٦ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢٦٤/٢ حديث رقم : ٦١٨٤ .

والمنقول عن أكثر القراء أن عدد حروف القرآن هو : (٣٢٣٦٧١) وإذا طرحنا هذا العدد من مليون حرف يكون العدد الساقط هو: (٦٧٦٣٢٩) حرفاً !! وهذا يعني أن القرآن الذي بأيدينا أقل من ثلثه . فبماذا سيجيب الجنيد ؟!

الجنيد يشنّع على الشيعة برواية لم يفهم معناها

قال الجنيد : (كما يؤكد – يقصد الشيخ الكليني – بأنه لم يجمع المصحف كله إلاّ الأئمة ، راوياً عن جعفر الصادق (رضي الله عنه) أنه قال : وأن عندنا مصحف فاطمة والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[١] .

أقول : أنظر أيضاً إلى تلبيسه مرة أخرى حيث نقل نصاً من مضمون رواية أوردها الشيخ الكليني رحمه الله في كتابه الكافي على أنها من كلام الكليني ، كما أنه حرّف مضمون الرواية ولم ينقله صحيحاً ، والرواية هي : (عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما ادّعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلاّ كذاب ، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام)[٢] .

أراد صاحبنا تبعاً لغيره أن يشنّع بهذه الرواية على الشيعة ، حيث لم يفهموا معناها وأنها ليس فيها دلالة على التحريف ، فمعناها الصحيح هو : أن المراد بجمع القرآن الكريم وحفظه كما أنزله الله سبحانه وتعالى هو جمعه مرتباً حسب النزول ، السابق نزولاً قبل اللاحق والمكي قبل المدني ، والمنسوخ قبل الناسخ وهكذا ..

---

(١) حوار هادئ صفحة ٥.

(٢) الكافي ٢٢٨/١.

فمما لا شك فيه أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد تفرّد بكتابة القرآن الكريم وجمعه على التنزيل، وحسب تسلسل السور والآيات من حيث النزول وأن مصحفه عليه السلام كانت سوره وآياته مرتبة حسب هذه الكيفية [١] .

وقد ورث بقية الأئمة عليهم السلام هذا المصحف والذي لا يختلف عن القرآن الموجود والمتداول في أيدي المسلمين بشيء إلاّ من حيث الترتيب، وما به من تفسير للآيات حسب الوارد في تفسيرها من طريق الوحي، وهو الآن موجود عند الإمام المهدي الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف حسب ما تفيده رواياتنا .

وعليه فإن الإمام الباقر عليه السلام لا يدّعي أنه لا يوجد أحد جمع آيات كتاب الله سبحانه وتعالى كاملة، أو أنه لم يحفظ آياته أحد من الأمة كما فهم عبد الله الجنيد، بل أراد من قوله هذا أنه لم يجمع القرآن ويحفظه بالكيفية التي ذكرنا، أحد من الأمة سوى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبقية الأئمة الطاهرين من ولده عليهم السلام .

ويظهر لي أن هذا الرجل يحسب أن مصحف فاطمة الوارد ذكره في رواية الإمام الصادق عليه السلام هو قرآن، حيث يظن أن لفظة مصحف تعني قرآناً وهذا من جهله بلغة العرب، فالمصحف في لغة العرب يعني (الصحف المكتوبة بين دفتين) [٢] فكل صحف كتب فيها وجعلت بين دفتين تسمى مصحفاً، أو أنه لم يفهم قول الإمام عليه السلام : (مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ) فالإمام في قوله يخبر أن حجم مصحف فاطمة من حيث كمية، ومقدار المادة المكتوبة يساوي مقدار المادة الموجودة في المصحف الشريف ثلاث مرات، وينفي

---

(١) سنذكر لاحقاً إن شاء الله تعالى الأدلة على ذلك من مصادر أهل السنة، انظر صفحة ٤٩ وما بعدها .

(٢) لسان العرب ١٨٦/٩ .

فيه أن يكون في مصحف فاطمة شيء مما هو موجود في المصحف الشريف ، بل هناك روايات أخرى صريحة تنفي كونه قرآناً ، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : (... ومصحف فاطمة ، أما والله ما أزعم أنه قرآن...) [1] وعنه قال : (وعندنا مصحف فاطمة أما والله ما هو بقرآن ...) [2].

وعنه عليه السلام قال : (وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام ما هو في القرآن ...) [3] .

وقد صرحت الروايات الواردة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام عن مضمون هذا المصحف ففي الرواية عن حماد بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (إن الله تعالى لمّا قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجل ، فأرسل الله إليها ملكاً يسلّي غمّها ويحدثها ، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت فقولي لي فأعلمته بذلك ، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً ، قال : ثم قال : أما أنه ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون) [4] .

لا تلازم بين النبوّة وتحديث الملائكة

إن بعض الجهّال يتوهّم أن هناك تلازماً بين النبوة وتحديث الملائكة ، ولهذا يتهم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية –بسبب ما ورد عندهم من أخبار وقولهم أن السيدة الزهراء عليها السلام محدثة وأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام محدثون –بأنهم يعتقدون أن السيدة

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/٢٦ .

(٢) بحار الأنوار ٣٨/٢٦ .

(٣) بحار الأنوار ٢٧١/٤٧ .

(٤) الكافي ٢٤٠/١ .

الزهراء عليها السلام والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام يوحى إليهم وبالتالي فهم أنبياء ويرمونهم بفرية عدم اعتقاد ختم النبوة بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اعتماداً على الملازمة المزعومة بين تحديث الملائكة وبين النبوة، وهذا جهل من هؤلاء ما بعده جهل، فالقرآن الكريم يحدثنا عن بعض النساء اللاتي حُدثْن من قبل الملائكة وأوحى سبحانه وتعالى إلى بعضهن ولسن بنبيات.

فهذا القرآن الكريم يحدثنا أن الملائكة حدثت السيدة العذراء مريم عليها السلام وأخبرتها باصطفاء الله سبحانه وتعالى لها وتطهيرها واصطفائها على نساء العالمين قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ «آل عمرن: ٤٢»، ويخبرنا بأن الملائكة حدثتها وبشرتها بابنها المسيح عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[١].

ويخبرنا بنزول جبرئيل عليه السلام عليها وتحديثه لها وإخباره لها بأن الله سبحانه وتعالى أرسله إليها ليهب لها غلاماً زكياً قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً﴾[٢].

ويخبرنا أن الملائكة حدثت زوجة إبراهيم عليه السلام، وبشرتها بأن الله سبحانه وتعالى سيرزقها الولد قال الله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا

(١) سورة آل عمران الآية: ٤٥.

(٢) سورة مريم الآية: ١٧-١٩.

لَشَيءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[١].

ويخبرنا أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى أمّ موسى عليها السلام، قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٢].

فهذه نماذج من النساء حدثنا القرآن الكريم عنهن ولم يكنّ نبيات ومع ذلك شاهدن الملائكة وحدثنهم أو أوحي إلى بعضهن بطريق آخر غير التحديث وهذا مما لا يمكن أن ينكره أحد بعد أن أخبر عنه كتاب الله المجيد، وقد دلّت الأخبار عندنا على أن السيدة الزهراء عليها السلام كانت محدّثة، ولا يستلزم ذلك كونها نبيّة كما لم يستلزم كون مريم عليها السلام وزوجة إبراهيم وأم موسى أن يكنّ كذلك، ولا يعدّ القول بأن فاطمة عليها السلام محدّثة غلواً فيها وفي فضائلها عليها السلام ولا شيئاً من ذلك، فهي سلام الله عليها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأفضل من مريم عليها السلام ومن سارة زوجة إبراهيم ومن أم موسى، فقد روى البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)[٣] وهي التي أثبت الله طهارتها وطهارة زوجها وابنيها الحسن والحسين عليهم السلام من كل الأرجاس والأدناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٤] حيث خصص النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفهوم

---

(١) سورة هود الآية: ٧١-٧٣.

(٢) سورة القصص الآية: ٧.

(٣) صحيح البخاري ٢٩/٤ و٢١٩.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

أهل البيت في هذه الآية بهؤلاء فقط ففي الرواية عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال : (لمّا نزلت هذه الآية على النبي (ص) ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أم سلمة ، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت على خير)[1] فكيف يستبعد أو يستغرب أن تحدّثها عليها السلام الملائكة ؟ .

كما وتوهم هؤلاء الجهلاء أيضاً أن هناك تلازماً بين الوحي وتحديث الملائكة وبين القرآنية جهل أيضاً ، فليس كل ما يأت به الوحي أو تخبر به الملائكة يعد قرآناً ، فالنبي ﷺ كان يحدثه جبرئيل عليه السلام والملائكة ولم يكن كل ما يحدث به قرآناً بل كان يحدث ويوحى إليه بالقرآن وغيره ، مثل تفسير القرآن الكريم وبيان معناه ، ومثل الأحاديث القدسية وإخباره ببعض الأمور والتوجيهات والتعليمات التي لا تمس إلى القرآنية بصلة ولا يعدها أحدٌ أنها قرآن .

ليس كل روايات كتاب الكافي صحيحة

ونقل الجنيد في هامش صفحة ٦ من حواره الهادئ ! كلاماً – أراد من خلاله التدليس على القارئ لكتابه ليوهمه بأن ما ينقله من روايات من كتاب الكافي كلها صحيحة –مدّعياً أن علماء الشيعة يقولون بصحة جميع روايات الكافي ، وهذا غير صحيح ، فإن كتاب الكافي فيه من الروايات الصحيح والموثق والحسن والضعيف ،

(١) صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني ٣٠٦/٣ .

وليس كل رواياته صحيحة ، وما ينقله هؤلاء القوم من كلام لبعض أعلام الطائفة يصرحون فيه بأن كتاب الكافي من الكتب المعتبرة وأنه من أحسن وأوثق وأتقن كتب الشيعة فإن هذا التقييم للكتاب تقييم له في الجملة وليس حكماً تفصيلياً عليه فلا يعني كلامهم أن كل رواية فيه صحيحة ومعتبرة .

هل جزم الكليني بصحة جميع ما رواه في الكافي ؟

ونقل في هامش صفحة ٥ وأيضاً في أصل صفحة ٦ عن الفيض الكاشاني من تفسيره الصافي قولاً يزعم فيه أن اعتقاد الكليني قدس سره هو التحريف والنقصان في القرآن الكريم لأنه روى روايات بهذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض لها بشيء من القدح كما ويزعم أن الشيخ الكليني ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه .

ونقول : إن هذا غفلة من العلامة الفيض رحمه الله فإن عدم التعليق على رواية ما أو عدم القدح فيها لا يعني أن راويها وناقلها يؤمن ويعتقد بمضمونها ، ولم يصرّح العلامة الكليني في مقدمة كتابه بأنه يثق بكل ما رواه كما نسب إليه الفيض فهذا إشتباه منه رحمه الله بل إن هناك كلاماً له في المقدمة يفهم منه أنه لا يجزم بصحة جميع الروايات وذلك في قوله الذي يرشد فيه إلى الأخذ بالقاعدة التي أرشد إليها المعصومون عليهم السلام وهي قاعدة عرض الرواية على كتاب الله عزّ وجل ، فإن وافقته يؤخذ بها وإلاّ فترد [(١)] .

الجنيد يكثر من التدليس والتزوير ويتهم الفيض الكاشاني بالقول بالتحريف

قال الجنيد : (يؤكد صاحب تفسير الصافي في مقدمته أن القرآن الذي نزل بين

---

(١) الكافي ٨/١.

أظهرنا لم ينزل بتمامه كما أنزل على محمد (ص) بل إن منه ما هو خلاف ما أنزل الله ، ومنه ما هو محرّف ، ومنه ما حذف منه المنافقون الكثير مثلما فعلوا في حذف اسم (علي) من القرآن ، قال : « وحذفوا أيضاً لفظ « آل محمد » وأسماء المنافقين) [١] .

براءة الفيض الكاشاني من القول بالتحريف

أقول : إن هذا القول الذي نسبه إلى العلامة الفيض الكاشاني رحمه الله ليس رأياً له وإنما هو مضامين لروايات نقلها في مقدمة تفسيره ، إلاّ أن صاحبنا الجنيد كعادته يمارس التدليس والتلبيس والتزوير والكذب ، فنقل الكلام وكأنه رأي واعتقاد للعلامة الفيض ، ولم ينقل نص كلامه الذي ينفي فيه التحريف عن الكتاب المجيد ويرد فيه كل الروايات القائلة بالتحريف أو الموهمة لذلك ، حيث قال قدس سره ما مضمونه : على هذا لم يبق لنا اعتماد بالنص الموجود ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ وقال : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ وأيضاً يتنافى مع روايات العرض على القرآن ، فما دلّ على وقوع التحريف مخالف لكتاب الله وتكذيب له ، فيجب ردّه والحكم بفساده أو تأويله [٢] .

العلامة النوري وكتابه فصل الخطاب

قال الجنيد : (ولا تزال للنوري الطبرسي مكانته المرموقة بين أوساط الشيعة وعلمائهم بالرغم من كتابه (فصل الخطاب) الذي أثبت فيه بحماس شديد اعتقاد

---

(١) حوار هادئ صفحة ٥.

(٢) تفسير الصافي ٥١/١ ، وسبق أن نقلنا أيضاً قوله من كتابه علم اليقين فراجع صفحة ١٥-١٦ من كتابنا هذا.

التحريف عند عامّة علماء الشيعة ، بعد أن جمع فيه ألفي رواية حول تحريف القرآن كانت متفرقة مبعثرة في مختلف كتب الشيعة منها كتاب الكافي للكليني ، وكوفئ على فعلته هذه بأن دفنوه في أشرف مقابر عند الشيعة وهي الحجرة المرتضوية بالنجف الأشرف) [١] .

أقول : أولاً : إذا كانت هناك مكانة مرموقة للعلامة النوري الطبرسي ، فهي ليست لأنه ألّف كتاب (فصل الخطاب) وإنمّا لخدماته العلمية ، فهل يخبرنا الجنيد – إن لم يكن مفترياً أومتفوهاً بذلك رجماً بالغيب – ممن سمع من علماء الشيعة أو في أي كتاب قرأ لعالم شيعي يقول فيه أن الشيعة كرّموا هذا الرجل لكتابه فصل الخطاب ؟! ومن أين علم وممن سمع وفي أي كتاب قرأ أن سبب دفن العلامة الطبرسي في مشهد المرتضى بالنجف الأشرف كان بسبب كتابه فصل الخطاب ؟!.

إنني أقطع بأنه لن يجد ما يثبت به كلامه ، إذاً لماذا الكذب والإفتراء ؟ .

ثانياً : أمّا بالنسبة لكتاب فصل الخطاب والذي اتخذه أعداء الشيعة وسيلة للطعن على جميع الطائفة – مع أن ما في هذا الكتاب لا يمثّل إلاّ رأي مؤلّفه الشخصي ولا يعبر عن رأي جميع أفراد الطائفة – فقد قام بعض العلماء من المعاصرين لمؤلّفه والمتأخرين عنه بنقد هذا الكتاب والرّد على مؤلّفه ، فمن معاصريه العلامة المحقق محمد بن أبي القاسم الشهير بالمعرّب الطهراني في رسالة أسماها (كشف الإرتياب في عدم تحريف الكتاب) ، والعلامة السيد محمد حسين الشهرستاني في رسالة أسماها (حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف) ، ومن المتأخرين عنه قلما ألف

---

(١) حوار هادئ صفحة ٦.

عالم من الشيعة كتاباً في نفي التحريف عن القرآن الكريم إلاّ وتعرض بالنقد للشيخ النوري والرّد على كتابه فصل الخطاب .

فكيف يكون هذا الكتاب مادة تشنيع على الطائفة ، وعلماؤها منذ اليوم الذي ظهر فيه ينقضون ما جاء فيه ويبطلونه ويثبتون خلافه ؟ .

ولا يتصور البعض أن علماء الشيعة المعاصرين للشيخ النوري وطلبة الحوزة العلمية في زمانه قد سكتوا عن الكتاب ومؤلّفه ، بل حدثت في أوساطهم ضجة كبيرة ضد الكتاب ومؤلّفه ، يدلنا على ذلك التقريض الذي كتبه السيد هبة الدين الشهرستاني على رسالة البرهان التي ألّفها الميرزا مهدي البروجردي بقم المقدسة سنة ١٣٧٣ هـ فكان من جملة ما قال فيها :

(... كم أنت شاكر لمولاك إذ أولاك بنعمة هذا التأليف المنيف بعصمة المصحف الشريف عن وصمة التحريف ، تلك العقيدة الصحيحة التي آنست بها منذ الصغر أيام مكوثي في سامراء مسقط رأسي حيث تمركز العلم والدين تحت لواء الإمام الشيرازي الكبير فكنت أراها تموج ثائرة على نزيلها المحدّث النوري بشأن تأليفه كتاب فصل الخطاب فلا تدخل مجلساً في الحوزة العلمية إلاّ وتسمع الضّجة والعجّة ضدّ الكتاب ومؤلّفه وناشره يسلقونه بألسنة حداد ...) [١] .

واستشهد الجنيد بالآراء الشاذة والروايات الضعيفة لإرغام الشيعة على قبول تهمة التحريف

قال الجنيد : (وذكر كمال الدين ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة أن عثمان بن عفان « جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت وأحرق المصاحف ، وأبطل ما لا شك فيه

---

(١) البرهان للبروجردي صفحة ١٤٣ .

أنه من القرآن ») [١].

أقول : أما أن عثمان بن عفان جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت وأحرق باقي مصاحف الصحابة فهذا ما يقوله أهل السنة ويعدونه من حسناته [٢] ، أما دعوى ابن ميثم البحراني أن عثمان أبطل ما لا شك أنه من القرآن الكريم –على فرض صحة ما نسبه إليه –فهذا مما لا نوافق عليه ونقول في ردّه إن عثمان لو فعل ذلك لاشتهر وعلم ولما سكت عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إضافة إلى أن القرآن الكريم محفوظ من كل ذلك بحفظ الله عزّوجل له فلا يمكن لا لعثمان أو لغيره كائناً من كان التجرء على تحريفه بزيادة أو نقيصة .

وقال الجنيد : (ولقد ألّف الشيخ الشيعي علي أصغر برجردي كتاب (عقائد الشيعة) بطلب من الملك محمد شاه القاجار لتبيين عقيدة الشيعة قال فيه : « والواجب أن نعتقد أن القرآن الأصلي لم يقع فيه تغيير ولا تبديل مع أنه وقع التحريف والحذف في القرآن الذي ألّفه بعض المنافقين ، أما القرآن الأصلي فموجود عند إمام العصر (الغائب) عجل الله فرجه) [٣].

أقول : عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية في القرآن الكريم هي أنه لا تحريف فيه بزيادة ولا نقيصة ، وفيما نقلته من أقوال علمائهم ما يكفي لدفع هذه التهمة عنهم عند كل منصف ، فلا عبرة لمثل هذا الرأي الشاذ فالأدلة على خلافه .

وقال الجنيد تحت عنوان نماذج من الآيات المحرفة : (وهناك آيات وكلمات

---

(١) حوار هادئ صفحة ٦.

(٢) أنظر العواصم من القواصم لابن العربي صفحة ٨٣.

(٣) حوار هادئ صفحة ٨-٩.

ادّعى الكليني والقمّي (من أئمة الشيعة) أنها محذوفة من القرآن الموجود ، أذكر منها على سبيل المثال :

١ — ومن يطع الله ورسوله (في ولاية علي والأئمة بعده) فقد فاز فوزاً عظيماً [١] .

٢ — سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع [٢] .

٣ — وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا (في ولاية علي) [٣] .

٤ — وسيعلم الذين ظلموا (آل محمد) أيّ منقلب ينقلبون [٤] .

٥ — كنتم خير أمة أخرجت للناس . روى القمّي عن أبي عبد الله أنه قال : يقتلون الحسن والحسين ويكونون خير أمة أخرجت للناس ؟ فقيل له فكيف نزلت ؟ قال : كنتم خير أئمة أخرجت للناس [٥] .

٦ — ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به (في علي) [٦] .

٧ — يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربّك (في علي) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته

---

(١) نقل ذلك عن العلامة الكليني من كتابه الكافي (٤١٤/١) ، وهو مضمون رواية ضعيفة في سندها (علي بن أبي حمزة) وهو البطائني ، ضعيف ، متهم ، كذاب .

(٢) نقل ذلك عن الكافي (٤٤٢/١) ، والرواية ضعيفة سنداً ، في سندها محمد بن سليمان وأبوه وكلاهما ضعيف غال .

(٣) نقله عن الكافي (٤١٧/١) والرواية ضعيفة في سندها (محمد بن سنان) مختلف فيه والأكثر على أنه ضعيف ، وفيه (منخل بن جميل) وهو ضعيف غال .

(٤) نقله عن تفسير علي بن إبراهيم القمي وهو كلام مرسل ليس له سند .

(٥) نقله عن تفسير علي بن إبراهيم القمي — وبغض النظر عمّا قيل في هذا التفسير — فإن في سند الرواية (ابن سنان) وهو مشترك بين الضعيف وغيره .

(٦) نقله عن العلامة الكليني في الكافي (٤٢٤/١) ، وهو مضمون رواية ساقطة سنداً ، في سندها (أحمد بن مهران) ضعفه جماعة وحسنه آخرون ، وفيه (بكار) وهو مجهول الحال .

جاء في تفسير نور الثقلين أنه لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : لو لم أبلّغ ما أمرت به من أمر ولايتك لحبط عملي [(١)].

هذه بعض من الآيات التي ادّعوا وقوع الحذف والتغيير فيها ، واتهموا الصحابة بفعل ذلك ، غير منتبهين إلى أن هذا الإدّعاء يطعن ويشكك في قول الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ والذي يعني أن الله سيصون قرآنه —الذي بين أيدي الناس— ويحفظه من أن يتعرض لأي زيادة أو نقصان) [(٢)].

روايات أهل السنة في تحريف القرآن

أقول : لقد روى علماء أهل السنة في مصنفاتهم من صحاح ومسانيد وكتب سنن وغيرها مثل هذه الروايات الكثير الكثير ، والفرق بين روايات الشيعة وروايات أهل السنّة أن روايات الشيعة أكثرها ضعيفة وبعضها ناظر إلى التحريف في المعنى لا اللفظ ، وأن الزيادات الواردة في بعض الروايات الموهمة على أنها من القرآن الكريم مؤولة على التفسير أمّا روايات أهل السنّة فهي صحيحة مروية في صحاحهم وكتبهم المعتبرة وصريحة في وقوع التحريف في الكتاب المجيد ، و نحن نقطع أن ما ورد في هذه

---

(١) نقله عن تفسير نور الثقلين (٦٥٤/١) وهو عن أمالي الشيخ الصدوق ، و (في علي) تفسير وليست من أبعاض الآية ، لأن الله عزّ وجل في هذه الآية يأمر نبيه محمد بأن ينصب علياً ولياً وخليفة وإماماً على الأمة من بعده ، وقد روي مثل ذلك في مصادر أهل السنة ، وأمّا قوله : (لو لم أبلّغ ما أمرت به من أمر ولايتك لحبط عملي) فهو بيان ومعنى لقول الله (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) أي أنك يا محمد إذا لم تبلغ هذا الأمر الذي أمرت بتبليغه للناس كأنك لم تبلغ من أمر الرسالة التي أمرت بتبليغها شيئاً ، وذلك لأهمية ما أمرت بتبليغه .

(٢) حوار هادئ صفحة ٧-٨.

الروايات —وإن كان صحيحاً عند القوم —غير صحيح ، وهو ناتج عن الخطأ والإشتباه والكذب ، فقد تولت العناية الإلهية حفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل والتغير من الزيادة والنقصان .

وأنقل هنا نماذج من هذه الروايات أكثر مما نقله الجنيد من كتب الشيعة ليتبيّن من هو الذي يقول بوقوع التحريف في القرآن ، ومن الذي ينسب إلى الصحابة التحريف فيه هل هم الشيعة أم غيرهم : -

١ —أخرج ابن حبّان في صحيحه رواية بسنده عن سعيد بن جبير –والرواية طويلة– قال في آخرها : (... وكان ابن عباس يقرأ : وأمّا الغلام كان كافراً وكان أبواه مؤمنين ، ويقرأ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً) [١] .

وفي صحيح البخاري روى بسنده عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقرأ : (أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) [٢] .

وفي مكان آخر يقول البخاري : (قال سعيد بن جبير فكان ابن عبّاس يقرأ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، وكان يقرأ : وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) [٣] .

وروى الحميدي في مسنده بسنده عن سعيد بن جبير أن سعيد بن جبير قال : (وكان ابن عباس يقرأ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، وكان يقرأ : وأما

---

(١) صحيح ابن حبّان ١٠٧/١٤ حديث رقم : ٦٢٢٠ وقال محقق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط عن هذا الخبر : (إسناده صحيح على شرط مسلم) .

(٢) صحيح البخاري ١٢٤٦/٣ .

(٣) صحيح البخاري ١٧٥٢/٤ .

الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين)[١].

والموجود في المصحف بالنسبة للآية الأولى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾[٢]، وبالنسبة للآية الأخرى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾[٣]، فهذه الروايات الصحيحة عند أهل السنّة تنسب إلى الصحابي الجليل ابن عباس أنه كان يقرأ القرآن الكريم محرفاً على خلاف ما هو في المصحف الشريف !!.

٢ — وفي مجمع الزوائد للهيثمي قال: (عن عمرو بن رافع مولى عمر بن الخطاب حدث أنه كان يكتب المصاحف في عهد أزواج النبي (ص) قال فاستكتبتني حفصة مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية من سورة البقرة فلا تكتبها حتى تأتيني بها فأملها عليك كما حفظتها من رسول الله (ص) قال: فلمّا بلغتها جئتها بالورقة التي أكتبها فيها فقالت: أكتب (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى (و) صلاة العصر وقوموا لله قانتين) قال الهيثمي رواه أبو يعلى ورجاله ثقات)[٤].

والآية الكريمة ليس فيها: (وصلاة العصر) بل هي هكذا: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[٥] فانظر كيف تنسب هذه الرواية السنّية الصحيحة إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر أنها حرّفت هذه الآية وأضافت على

---

(١) مسند الحميدي ١٨٢/١.

(٢) سورة الكهف الآية: ٨٠.

(٣) سورة الكهف الآية: ٧٩.

(٤) مجمع الزوائد ٣٢٠/٦، مسند أبي يعلى ٥٠/١٣، صحيح ابن حبان ٢٢٨/١٤، تفسير الطبري ٧٦٢/٢ و٧٦٤.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٣٨.

كلام الله جلّ شأنه ما ليس منه !! .

٣ – وأخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : (لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين) [١] .

وعبارة : (ورهطك منهم المخلصين) ليست من بعاض القرآن الكريم فلا توجد مثل هذه العبارة في المصحف الشريف فهذه الرواية الصحيحة تنسب إلى ابن عباس أنه كان يدّعي أن هذه العبارة نزلت بمعية قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

٤ – أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عمرو ذي مر : أن علياً عليه السلام قرأ : (والعصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر) ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) [٢] .

وعبارة (ونوائب الدهر) ليست في المصحف الشريف ، فهذه الرواية الصحيحة تنسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التحريف في كتاب الله وقراءته للقرآن على خلاف ما أنزله الله عزّ وجل وادخال ما ليس من كلام الله في كلامه .

٥ – وقال السيوطي في الدر المنثور ٢٩٨/٢ : (وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك

---

(١) صحيح البخاري ٩٤/٦ ، وأخرجها أيضاً مسلم بن الحجاج في صحيحه ١٣٤/١ ، والبيهقي في سننه الكبرى ٧/٩ ، وابن حبّان في صحيحه ٤٨٧/١٤ ، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٤٧/١٩ و ٤٤٠/٣٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٩٦/٥ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٥٣٤/٢ ، وانظره في كنز العمّال ٦٠١/٢ حديث رقم : ٤٨٤٨ ، وتفسير ابن جرير الطبري ٣٧٢/٣٠ حديث رقم : ٢٩٣٤٢ و ٣٧٣/٣٠ حديث رقم : ٢٩٣٤٣ ، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣٩٢/٦ وقال : وأخرج الفريابي وعبد حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والحاكم عن علي ... وذكره ، ومثله ذكر العلامة الشوكاني في فتح القدير ٤٩٢/٥ .

— أن علياً مولى المؤمنين —وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس) .

وعبارة (أن علياً مولى المؤمنين) لاوجود لها في المصحف الشريف .

٦ —وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن أبي عون الثقفي أنه سمع صبيحاً قال : (سمعت عثمان يقرأ : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم)[1] .

ولا توجد عبارة (ويستعينون الله على ما أصابهم) في القرآن .

٧ —وأخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال : (أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً ، قالت : إذا بلغت هذه الآية فآذني ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ فلما بلغتها آذنتها فأملت عليّ (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) قالت عائشة : سمعتها من رسول الله (ص))[2] .

والمصحف الشريف لا توجد فيه عبارة (وصلاة العصر) .

٨ —وأخرج السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) عن حميده ابنت أبي يونس قالت : (قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليما وعلى الذين يصلون في الصفوف الأول) قالت : قبل أن يغير عثمان المصاحف)[3] .

---

(١) تفسير الطبري ٥٣/٤ ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٦٢/٢ عن عبد حميد وابن جرير وابن أبي داود في المصاحف وابن الأنباري ، وفي تفسير القرطبي ١٦٥/٤ ذكر أن ابن الزبير كان يقرأ كذلك ، ونسب الثعالبي في تفسيره ٨٩/٢ هذه القراءة لابن الزبير وعثمان وابن مسعود .

(٢) صحيح مسلم ١١٢/٢ ، وأخرجه أيضاً مالك في الموطأ ١٣٨/١ ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٧٣/٦ و١٧٨/٦ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٦٧/٢.

٩ –وأخرج الترمذي في سننه بسنده عن أبي بن كعب أن رسول الله (ص) قال له إن الله أمرني أن أقرأ عليك فقرأ عليه ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ فقرأ فيها : (إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية من يعمل خيراً فلن يكفره) وقرأ عليه (لو أن لابن أدم وادياً من مال لأبتغى إليه ثانياً ولو كان له ثانياً لأبتغى إليه ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب وتاب الله على من تاب) ، وقال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح) [١] .

١٠ –وأخرج مسلم في صحيحه عن عائشة أنها قالت : (كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفى رسول الله (ص) وهنّ فيما يقرأ من القرآن) [٢] .

١١ –وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال : (إن الله تعالى بعث محمداً (ص) وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل آية الرجم فقرأنا بها وعقلناها ووعيناها فأخشى أن يطول بالناس عهد فيقولوا إنا لا نجد آية الرجم فنترك فريضة أنزلها الله تعالى ، وإن الرّجم في كتاب الله تعالى حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل والاعتراف) [٣] .

---

(١) سنن الترمذي ٦٦٥/٥ حديث رقم : ٣٧٩٣.

(٢) صحيح مسلم ١٠٧٥/٢ حديث رقم : ١٤٥٢ ، وروي أيضاً في المسند المستخرج على صحيح مسلم ١٢٥/٤ برقم : ٣٣٩٨ ، صحيح ابن حبّان ٣٦/١٠ برقم : ٤٢٢٢ ، السنن الكبرى للنسائي ٢٩٨/٣ برقم : ٥٤٤٨ ، سنن البيهقي الكبرى ٤٥٣/٧ برقم : ١٥٣٩٧ ، مسند أبي عوانة ١١٩/٣ ، مسند الشافعي ٢٢٠/١ موطأ مالك ٦٠٨/٢.

(٣) مسند أحمد ٤٠/١ حديث رقم : ٢٧٦ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين) وآية الرجم المزعومة هي « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » (سنن ابن ماجه) وذكروا أن عمر أتى بها عند الجمع الأول للقرآن الكريم في عهد أبي بكر فطلب منه زيد بن ثابت أن يأتي بشاهد آخر =

١٢ –وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين عن أبي سلمة قال: (سمعت أبا نضرة يقول : قرأت على ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ، قال ابن عباس : (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) ، قال أبو نضرة فقلت : ما نقرأها كذلك ، فقال ابن عباس : والله لأنزلها الله كذلك) .

قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) [(١)] .

وعبارة « إلى أجل مسمى » ليس لها وجود في المصحف الشريف .

١٣ –وأخرج البيهقي في سننه أن عمر بن الخطاب مرّ بغلام وهو يقرأ في المصحف (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) فقال : يا غلام حكّها ، قال : هذا مصحف أبي ، فذهب إليه فسأله فقال : إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق) [(٢)] .

وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين أن ابن عباس كان يقرأ: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم) .

قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) [(٣)] .

وعبارة « وهو أب لهم » زيادة لا وجود لها في الكتاب المجيد .

= على أنها من القرآن الكريم فلم يستطع ذلك ، كما ذكروا أنه بقي مصراً على أنها من القرآن حيث رووا أنه قال : « لو لا يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي » (صحيح البخاري ٢٦٢٢/٦)).

(١) المستدرك على الصحيحين ٣٣٤/٢ حديث رقم : ٣١٩٢.

(٢) البيهقي الكبرى ٦٩/٧ حديث رقم : ١٣١٩٧

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤٥٠/٢ حديث رقم : ٣٥٥٦.

١٤ — أخرج الترمذي في سننه عن علقمة قال : (قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال : أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قال : فأشاروا إليّ فقلت : نعم أنا ، قال : كيف سمعت عبدالله يقرأ هذه الآية ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ، قال : قلت سمعته يقرؤها : «والليل إذا يغشى والذكر والأنثى » فقال أبو الدرداء : وأنا والله هكذا سمعت رسول الله (ص) يقرؤها وهؤلاء يريدونني أن أقرأها (وَمَا خَلَقَ) فلا أتابعهم) .

قال الترمذي : (هذا حديث صحيح وهكذا قراءة عبد الله بن مسعود « والليل إذ يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ») [1] .

وهذه القراءة خلاف ما هو موجود في المصحف الشريف .

نعم هذه مجموعة من روايات أهل السنّة مروية في صحاحهم وكتبهم المعتبرة تنسب إلى مجموعة من الصحابة أنهم كانوا يقرؤون بعض الآيات على خلاف ما هو موجود في المصحف الشريف بإضافة كلمة أو أكثر ليس لها وجود في الكتاب المجيد ، إذاً أين ذهبت هذه الكلمات والعبارات والألفاظ؟! .

ولماذا لم تكتب في المصحف الشريف ؟! .

أليس معنى ذلك أن القرآن ناقص منها ؟! .

والقول بنقص القرآن الكريم هو قول بالتحريف .

أمّا إذا ادّعى القوم أن هذه الكلمات والألفاظ ليست من القرآن الكريم ولا هي من كلام الله فنقول لهم إن الأمر أيضاً خطير ، لأن هذه الروايات تتهم فئة من صحابة النبي ﷺ بأنهم كانوا يحرّفون في آيات القرآن ويضيفون إلى كلام الله عزّ وجل ما ليس منه ، وبهذا يعلم أن روايات أهل السنّة الصحيحة هي التي تتهم الصحابة وتنسب إليهم

---

(١) سنن الترمذي ١٩١/٥ حديث رقم : ٢٩٣٩ .

التحريف في آيات الكتاب المجيد ، فلماذا يتهم الشيعة بذلك ؟!

الجنيد يعترف بأن عوّام الشيعة ينفون التحريف عن القرآن الكريم ويحاول إلصاق ذلك بعلمائهم

قال الجنيد : (إننا لا نشك أن من الشيعة المخلصين من يستنكر اعتقاد التحريف ويستقبحه ، غير أننا نعتب عليهم التمسك بالموروث الذي نشأوا عليه فإنهم لا يتخلون عن مذهب نشأ عليه آباؤهم ولايتبرأون من مشايخ هذا المذهب الذين انتصروا لهذه الفكرة المخجلة وتحدثوا عنها بصراحة بالغة .

فليس يكفي مجرد استنكار هذه الفكرة في المذهب مع الإصرار على التمسك بالمذهب ، إذ أن الإصرار الخطأ إصرار على الخطأ ، أليس كثير من النصارى يستنكرون عقيدة الثالوث ويعترضون على وثنيات الكنيسة وانحرافاتها ويرفضون فكرة تأليه الإنسان ، ومع ذلك يبقون معتنقين ديانة غير مقتنعين بها مسايرةً لما تركهم عليه الآباء والأجداد .

إن استنكار عامة الشيعة لفكرة اعتقاد التحريف في القرآن أرغمت مشايخهم على إنكار هذه الفكرة خجلاً ، ولو أنهم كانوا صادقين في هذا الإنكار لاعترفوا بما اطلعوا عليه من الكتب القديمة التي لا تزال تطبع مراراً وتكراراً وتجد طريقها إلى العالم الإسلامي وهي مع ذلك تتضمن روايات كثيرة تؤكد أن فكرة وقوع التحريف في القرآن مأخوذ بها عند كثير من أعيان وآيات الشيعة ومقرّرة في كتبهم الأصلية ككتاب الكافي وغيره من الكتب التي تثبت اعتقاد التحريف عندهم)[1] .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٩-١٠.

أقول : أولاً : إن الجنيد يعترف في كلامه هذا بأن عامة الشيعة الإمامية الإثني عشرية لا يقولون بتحريف القرآن الكريم ويستنكرون ذلك على قائله ومعتقده ويستقبحون هذا القول والاعتقاد ، فالحمد لله الذي أخرج من لسانه هذا الاعتراف ، فهو في هذا أفضل من متشددي السلفية وغلاة الحنابلة الذين افتروا على الشيعة الإمامية هذه الفرية واتهموهم بها قاطبة .

إلاّ أنه في حين يبرئ عامة الشيعة من هذه الفرية يحاول أن يلصقها بعلمائهم ، وقد مرّ عليك نماذج من أقوال علماء الشيعة ومحققيهم في نفي التحريف عن الكتاب المجيد واستنكار ذلك على من يقوله أو يعتقده ، وأنه لا اعتبار عندهم للأقوال الشاذة القائلة بوقوع التحريف فهي آراء شخصية لا تعبر عن رأي المذهب ، فعلماء الشيعة وعوامهم مجمعون على أن لا تحريف في القرآن الكريم لا بزيادة ولا بنقيصة .

ثانياً : العجيب الغريب في كلامه السابق أنه يطلب من الشيعة ترك مذهبهم والتخلي عنه لأنه بزعمه مذهب خطأ ، ونحن نقول للجنيد طلب الخطأ خطأ والإصرار عليه خطأ آخر ، فمذهب الشيعة هو المذهب الذي يمثل الإسلام الصحيح الذي أتى به محمد ﷺ وهو مبني على اتباع الثقلين القرآن الكريم وعترة النبي ﷺ الطاهرة عليهم السلام والتمسك بهما واتباع تعاليمهما والسير على نهجهما إمتثالاً لقوله ﷺ : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) [1] فهما المصدران اللذان يأخذ الشيعة الإمامية الإثنا عشرية منهما معارف الشريعة وأحكامها وتعاليمها ، فكيف يكون مذهب هذا حاله مذهباً خطأ وغيره هو الأصح والأصوب ؟! .

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني ٥٤٣/٣ حديث رقم : ٣٧٨٨ وصححه .

إن الجنيد حين يدعو الشيعة إلى ترك مذهبهم وعقيدتهم بلا شك أنه يدعوهم إلى اتباع مذهبه والاعتقاد بنفس العقيدة التي يؤمن بها اتباع مذهبه ، إذاً هو يدعوهم إلى ترك عقيدة التوحيد والتنزيه للمولى سبحانه وتعالى إلى عقيدة التجسيم والتشبيه لأن مذهبه قائم على مثل هذه العقيدة فعقيدتهم في الله أنه جالس على العرش مستقر عليه ، وأنه سبحانه وتعالى يضحك وله يد ورجل وطول وعرض ، وأنه في جهة يحويه المكان ويراه الناس يوم القيامة ، وغيرها من العقائد الباطلة التي تتنافى مع تنزيه المولى جل شأنه إنه يدعوهم إلى الإيمان والاعتقاد بالكثير من العقائد الفاسدة في الله وفي الأنبياء وإلى خلاف ما يحكم به العقل وأتى به الكتاب المجيد والسنة الصحيحة .

إنه يريد من الشيعة أن يتركوا عقيدتهم التي مصدرها الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة عليهم السلام ويتبعوا عقيدة صاغها مسيلمة اليهود والنصارى وروّجها حكام الجور وأعوانهم من وعاض السلاطين ، فهل يرضى الشيعة أن يتركوا الكتاب المجيد وسنة النبي الكريم وأهل بيته الطاهرين ويأخذوا عقيدتهم وأحكام دينهم عن من هب ودب ؟! .

محاولة الجنيد الفاشلة لإلصاق تهمة القول بتحريف القرآن بالسيد الخوئي

قال الجنيد بعد أن أشار إلى قول السيد الخوئي قدس سره الصريح في نفي التحريف عن كتاب الله المجيد : (غير أن للخوئي رأياً آخر يقترب فيه من القائلين بالتحريف فإنه قال في الكتاب نفسه – يقصد كتاب تفسير البيان للسيد الخوئي رحمه الله -: « إن وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه وتسالم العلماء (يعني إجماعهم) على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته

كما أن اشتمال قرآن علي عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود —وإن كان صحيحاً — إلاّ أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن وقد أسقطت منه بالتحريف ، بل الصحيح أن تلكم الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل وما يؤول إليه الكلام أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد » إن الخوئي يثبت بهذا الكلام أمرين :

أولهما : أنه يثبت مصحفاً آخر لعلي يختلف في ترتيبه وزياداته عن القرآن الموجود في أيدي المسلمين .

ثانيهما : أنه يثبت شروحاً للقرآن مشروحة من الله منزلة من عنده .

فهل نزل القرآن من عند الله يتضمن السور وشرحها ؟

إن صدور مثل هذا الكلام من إمام عرف بتعقّله يدعو إلى العجب ولا يخلو من تناقض ! .

لماذا لا نجتمع على كلمة سواء بيننا لا مراوغة فيها ولا تورية وهي : أن نعترف جميعاً بأن المصحف الموجود بين أيدينا وفي مساجدنا هو نفسه القرآن الذي أنزل على محمد (ص) من غير زيادة ولا نقصان ، وأن ننتهي عن التكلم عن المصحف الغائب مع الإمام الغائب وعن مصحف فاطمة وعن مصحف علي ؟ ألا يمكننا أن نجتمع على هذه الكلمة بيننا ؟ إنه إن تعذر الاتفاق على ذلك فأي شيء يمكن أن يقرّب بعد ذلك بين الفريقين ؟ وعلى أي شيء نتفق ونتحد ؟) [١] .

أقول : مع أن رأي السيد الخوئي قدس سره صريحٌ وواضحٌ في نفي التحريف عن

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٢-١٣ .

الكتاب المجيد إلاّ أن الجنيد يحاول أن يلصق به دون خجل ولا استحياء ولا رادع من خوف من الله أو تقوى تهمة التحريف مدّعياً أن قول السيد الخوئي بوجود مصحف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يختلف في ترتيب سوره عن القرآن الموجود في أيدي المسلمين ، وأن به زيادات تفسيرية وشرح وبيان لمعاني الآيات هو قول قريب من قول القائلين بالتحريف ، وهذا غير صحيح لأن السيد الخوئي رحمه الله لم يدّعي أن مصحف علي عليه السلام يزيد أو ينقص عن القرآن الموجود من حيث آياته وعدد كلماته وحروفه ، ولا يزعم أن الزيادات التي يتميز بها هذا المصحف هي من أبعاض القرآن ، وكلامه واضح بأنها زيادات تأويلية أو تفسيرية للآيات ، أمّا أن علياً عليه السلام كان لديه مصحف بهذه المواصفات فهذا ليس مما انفرد به السيد الخوئي أو الشيعة بل إن العديد من علماء أهل السنة ومصادرهم أشارت إلى وجود هذا المصحف له عليه السلام .

علماء أهل السنة يثبتون وجود مصحف للإمام علي يختلف عن سائر المصاحف

قال القرطبي في تفسيره : (قال ابن الطيب : إن قال قائل قد اختلف السلف في ترتيب سور القرآن فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها وقدم المكي على المدني ومنهم من جعل في أول مصحفه الحمد ومنهم من جعل في أوله اقرأ باسم ربك وهذا أول مصحف علي رضي الله عنه ...) [١] .

وقال الزرقاني في مناهل العرفان وهو يتحدث عن اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب سور القرآن : (وهذا مصحف علي كان مرتباً على النزول فأوله اقرأ ثم المدثر ثم ق ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني) [٢] .

---

(١) تفسير القرطبي ٥٩/١ .

(٢) مناهل العرفان ٢٤٤/١ .

وقال الغزي في الإتقان : (قال ابن فارس : جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي كما أخبره جبريل عن أمر ربه ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني ...) (١) .

وقال أبوالفضل السيوطي في أسرار ترتيب القرآن : (اختلف العلماء في ترتيب السور هل هو بتوقيف من النبي (ص) أو باجتهاد من الصحابة بعد الاجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي والقطع بذلك ، فذهب جماعة إلى الثاني منهم مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه وجزم به ابن فارس ، ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان أوله اقرأ ثم البواقي على ترتيب نزول المكي ثم المدني ...) (٢) .

ونقل عن ابن سيرين أنه قال : (إن علياً كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ) وعنه : (تطلّبت ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه) (٣) .

وعنه أيضاً أنه قال : (فبلغني أنه —علي— كتبه على تنزيله ولو أصيب الكتاب لوجد فيه علم كثير) (٤) .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١٧١/١ .

(٢) أسرار ترتيب القرآن ٦٨/١ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١٦٢/١ ، مناهل العرفان ١٧٧/١ .

(٤) الاستيعاب ٩٧٤/٣ ، إمتاع الأسماع ٢٨٨/٤ .

وعن ابن جزي قال : (لو وجد مصحفه عليه السلام لكان فيه علم كثير) [١] .

وقال ابن حجر : (وقد ورد عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ... أخرجه ابن أبي داود) [٢] .

ونقل الزركشي الشافعي في البرهان في علوم القرآن قال : (وقال القاضي أبو بكر الطيب ، فإن قيل ، قد اختلف السلف في ترتيب القرآن ، فمنهم من كتب في المصحف السور على تاريخ نزولها وقدم المكي على المدني ، ومنهم من جعل أوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وهو أول مصحف علي ...) [٣] .

إن كل هذه الأقوال تفيد أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد تفرد بكتابة القرآن الكريم حسب تسلسل نزول الآيات والسور وتقديم المكي على المدني ، فظهر من ذلك أن القول بأن علياً عليه السلام لديه مصحف بهذه الكيفية ليس هو قول السيد الخوئي رحمه الله أو الشيعة فقط وإنما علماء أهل السنة هم الذين قالوا بذلك أيضاً وجزموا به ، فماذا سيقول الجنيد بعد هذا؟ هل سيحكم على هؤلاء العلماء من أهل السنة بأنهم يقولون بالتحريف لأنهم قالوا بوجود مصحف لعلي عليه السلام يختلف في ترتيب سوره وآياته عن المصحف الموجود أو أنه سيتراجع عن اتهامه للسيد الخوئي ؟! .

وهناك من الروايات ما يفيد أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يعلم أسباب نزول القرآن ووقت نزول الآيات ومكان نزولها وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمه تفسير آيات الكتاب العزيز حسب ما كان ينزل عليه من تفسير وبيان لها من الوحي إذاً فما المانع أن

---

(١) التمهيد في علوم القرآن ٢٢٦/١ عن التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٩٥/١ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢٩٥/١ .

يكون علي عليه السلام قد سجل كل ذلك في مصحفه ؟ .

ففي الطبقات الكبرى لابن سعد ، يروي بسنده عن سليمان الأحمسي عن أبيه قال : (قال علي : والله مانزلت آية إلاّوقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً) [١] .

وروى ابن سعد أيضاً في نفس المصدر بسنده عن أبي الطفيل قال : (قال علي : سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلاّ وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل) [٢] .

وقال المزي في تهذيب الكمال : (وروى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال : شهدت علياً يخطب وهو يقول : سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلاّ أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل) [٣] .

وأخرج ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء عن عبد الله قال : (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلاّ وله ظهر وبطن ، وإن علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن) [٤] .

وقال ابن أبي حمزة عن علي عليه السلام أنه قال : (لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من تفسير أم القرآن لفعلت) [٥] .

---

(١) الطبقات الكبرى ١٠١/٢ ، حلية الأولياء ٦٨/١ ، كنز العمّال ٦٦/١٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ٣٣٨/٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ١٨٥ ، كنز العمّال ٢٩٦/٢ ، الصواعق المحرقة ٣٧٥/٢ .

(٣) تهذيب الكمال ٣٦١/٥ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٠٠/٤٢ ، حلية الأولياء ٦٥/١ .

(٥) إحياء علوم الدين ٢٨٣/١ و٢٨٩ ، التراتيب الإدارية ١٨٣/٢ ، الإتقان ٤٩٠/٢ .

وقد ورد من طرقنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (... ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلاّ أقرأنيها، وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ... الحديث)[1].

وعنه عليه السلام أنه قال: (لو ثنيت لي الوسادة لأخرجت لهم مصحفاً كتبته وأملاه عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[2].

أمّا بالنسبة لمصحف فاطمة عليها السلام فقد مرّ الكلام حوله، وأمّا مصحف الإمام الحجة المهدي المنتظر فإن رواياتنا تفيد أنه هو نفسه مصحف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد بينا أنه لا يفترق عن المصحف الذي في أيدي المسلمين في دورهم ومساكنهم وأماكن تواجدهم الذي يتلونه آناء الليل والنهار بشيء سوى أن سوره وآياته مرتبة حسب النزول، وأنه يتضمن تفسيراً وتأويلاً للآيات حسب ما ورد ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الوحي.

ومن علماء أهل السنة من أنصف الشيعة فردّ عنهم تهمة القول بتحريف القرآن المجيد

وأختم ردّي عليه بهذا الخصوص بذكر أقوال جمعٍ من علماء وكتاب ومفكري أهل السنة الذين أنصفوا فيها الشيعة فردّوا عنهم تهمة القول بتحريف القرآن الكريم.

قال الداعية السني الكبير الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: (إنني آسف لأن بعض

---

(١) الكافي ٦٤/١، الخصال للشيخ الصدوق صفحة ٢٥٧، بحار الأنوار ٢٣٠/٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٣٠/٢

من يرسلون الكلام على عواهنه ، لا بل بعض من يسوقون التهم جزافاً غير مبالين بعواقبها دخلوا في ميدان الفكر الإسلامي بهذه الأخلاق المعلولة فأساؤا إلى الإسلام وأمته شرّ إساءة ، سمعت واحداً من هؤلاء يقول في مجلس علم : إن للشيعة قرآناً آخر يزيد (أو) ينقص عن قرآننا المعروف ! . فقلت له : أين هذا القرآن ؟ .

إن العالم الإسلامي الذي امتدت رقعته في ثلاث قارات ظل من بعثة محمد (ص) إلى يومنا هذا بعد أن سلخ من الزمن أربعة عشر قرناً لا يعرف إلاّ مصحفاً واحداً مضبوط البداية والنهاية معدود السور والآيات والألفاظ ، فأين هذا القرآن الآخر ؟!

ولماذا لم يطلع الإنس والجن على نسخة منه من خلال هذا الدهر الطويل ؟ .

ولحساب من تفتعل هذه الإشاعات وتلقى بين الأغرار ليسوء ظنهم بإخوانهم وقد يسوء ظنهم بكتابهم .

إن المصحف واحد يطبع في القاهرة فيقدسه الشيعة في النجف أو في طهران ويتداولون نسخه بين أيديهم وفي بيوتهم دون أن يخطر ببالهم شيء بتة إلاّ توقير الكتاب — جل شأنه — ومبلغه — (ص) - فلم الكذب على الناس وعلى الوحي ؟ .

ومن هؤلاء الأفاكين من روّج أن الشيعة أتباع علي ، وأن السنيين أتباع محمد ، وأن الشيعة يرون علياً أحق بالرسالة ، أو أنها أخطأته إلى غيره !

وهذا لغو قبيح وتزوير شائن ، ولكن تصديق هذا اللغو كان الباعث على تلك المجزرة المخزية التي وقعت في أبناء الإسلام من سنة وشيعة ، فجعلتهم — وهو الأخوة في الدين — يأكل بعضهم بعضاً على هذا النحو المهين .

إن الشيعة يؤمنون برسالة محمد (ص) ويرون شرف علي في إنتمائه إلى هذا الرسول في استمساكه بسنته ، وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين والآخرين أعظم من الصادق الأمين ولا أحق منه بالإتباع فكيف ينسب لهم هذا الهذر ؟! .

الواقع أن الذين يرغبون في تقسيم الأمة طوائف متعادية لما لم يجدوا لهـذا التقسيم سبباً معقولاً لجأوا إلى افتعال أسباب الفرقة ، فاتسع لهم ميدان الكذب حين ضاق ميدان الصدق .

لست أنفي أن هناك خلافات فقهية ونظرية بين الشيعة والسنة ، بعضها قريب الغور ، وبعضها بعيد الغور ، بيد أن هذه الخلافات لا تستلزم معشار الجفاء الذي وقع بين الفريقين وقد نشب خلاف فقهي ونظري بين مذاهب السنة نفسها بل بين أتباع المذهب الواحد منها ، ومع ذلك فقد حال العقلاء دون تحول هذا الخلاف إلى خصام بارد أو ساخن) [1].

أقول : أين هذه الدعوة من هذا العالم الفذ والداعية الكبير التي يدعو فيها إلى لم شمل الأمة الإسلامية وتوحيد صفوفها ، ونبذ الفرقة بين طوائفها ومذاهبها المختلفة ، ويستنكر على كل من يروّج الأكاذيب وينشر الإفتراءات على هذا المذهب أو ذاك ، ويفتعل أسباب الفرقة انطلاقاً من نفس مريضة أو أغراض مشبوهة أو غيرها مما روّج ويروّج له غلاة الحنابلة (الوهابية) من أمثال إحسان إلهي ظهير وناصر القفاري وعثمان الخميس والجبهان وعبد الله الجنيد وغيرهم من عدم إمكانية التقارب بين السنة والشيعة بعد أن لفقوا على الشيعة أتباع أهل البيت عليهم السلام الأكاذيب ورموهم بالكثير من الإفتراءات ، ونسبوا إليهم أموراً لا يعرفونها ولا يعتقدون أو يقولون بها .

وقال الشيخ محمد أبو زهرة : (القرآن بإجماع المسلمين هو حجة الإسلام الأولى وهو مصدر المصادر له ، وهو سجل شريعته ، وهو الذي يشتمل على كلّها وقد حفظه الله تعالى إلى يوم الدين كما وعد سبحانه إذ قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين صفحة ٢١٩-٢٢١

﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .. وإن إخواننا الإمامية على اختلاف منازعهم يرونه كما يراه المؤمنين)[١] .

وقال أيضاً : (إن الشريف المرتضى وأهل النظر الصادق من إخواننا الإثني عشرية قد اعتبروا القول بنقص القرآن أو تغييره أو تحريفه تشكيكاً في معجزة النبي (ص)، واعتبروه إنكاراً لأمر علم من الدين بالضرورة)[٢] .

وقال الدكتور محمد عبدالله دراز : (ومهما يكن من أمر فإن هذا المصحف هو الوحيد المتداول في العالم الإسلامي ، بما فيه فرق الشيعة ، ومنذ ثلاثة عشر قرناً من الزمان) ثم قال : (ونذكر هنا رأي الشيعة الإمامية – أهم فرق الشيعة –) وذكر كلام الشيخ الصدوق رحمه الله المتقدم[٣] .

وقال الأستاذ محمد المديني وهو عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية : (وأمّا أن الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله إنّما هي روايات رويت في كتبهم ، كما روي مثلها في كتبنا ، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيّفوها ، وبيّنوا بطلانها وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك كما أنه ليس في السنّة من يعتقده)[٤] .

وقال البهنساوي وهو أحد مفكري الإخوان المسلمين : (إن الشيعة الجعفرية الإثني عشرية يرون كفر من حرّف القرآن الذي أجمعت عليه الأمة منذ صدر الإسلام ... وأن المصحف الموجود بين أهل السنة هو نفسه الموجود في مساجد وبيوت

---

(١) الإمام الصادق صفحة ٢٩٦ .

(٢) الإمام الصادق صفحة ٣٢٩ .

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم صفحة ٣٩-٤٠ .

(٤) مع الصادقين للدكتور محمد التيجاني السماوي صفحة ٢٠١ نقلاً عن مقال للأستاذ محمد المديني نشر في العدد الرابع من السنة الحادية عشر ص ٣٨٢ و٣٨٣ من مجلة رسالة الإسلام .

الشيعة) [1] .

وقال مصطفى الرافعي : (والقرآن الكريم الموجود الآن بأيدي الناس من غير زيادة ولا نقصان ، وما ورد من أن الشيعة الإمامية يقولون بأن القرآن قد اعتراه النقص ... هذا الإدعاء أنكره مجموع علماء الشيعة ... فالقرآن الكريم — إذن — هو عصب الدولة الإسلامية ، تتفق مذاهب أهل السنة مع مذهب الشيعة الإمامية على قداسته ووجوب الأخذ به ، وهو نسخة موحدة لا تختلف في حرف ولا رسم لدى السنة والشيعة الإمامية في مختلف ديارهم وأمصارهم) [2] .

وقال الدكتور علي عبدالواحد وافي : (يعتقد الشيعة الجعفرية كما يعتقد أهل السنّة أن القرآن الكريم هو كلام الله عزّ وجل المنزل على رسوله المنقول بالتواتر والمدوّن بين دفتي المصحف بسوره وآياته المرتبة بتوقيف من الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأنه الجامع لأصول الإسلام عقائده وشرائعه وأخلاقه ، والخلاف بيننا وبينهم في هذا الصدد يتمثل في أمور شكلية وجانبية لا تمس النص القرآني بزيادة ولانقص ولاتحريف ولاتبديل ولا تثريب عليهم في إعتقادها) [3] .

وقال أيضاً : (أمّا ما ورد في بعض مؤلفاتهم من آراء تثير شكوكاً في النص القرآني وتنسب إلى بعض أئمتهم ، فإنهم لا يقرونها ويعتقدون بطلان ما تذهب إليه ، وبطلان نسبتها إلى أئمتهم ، ولا يصح كما قلنا فيما سبق أن نحاسبهم على آراء حكموا ببطلانها وبطلان نسبتها إلى أئمتهم ولا أن نعدها من مذهبهم ، مهما كانت مكانة رواتها عندهم

---

(١) السنة المفترى عليها صفحة ٦٠.

(٢) إسلامنا صفحة ٥٧ .

(٣) بين الشيعة وأهل السنة صفحة ٣٥.

ومكانة الكتب التي وردت فيها ... وقد تصدى كثير من أئمة الشيعة الجعفرية أنفسهم لرد هذه الأخبار الكاذبة وبيان بطلانها وبطلان نسبتها إلى أئمتهم، وأنها ليست من مذهبهم في شيء) [1] .

وقال الدكتور عبدالودود شلبي وهو يتحدث عن عقائد الشيعة : (يعتقد الشيعة الإمامية أن الكتاب (أي المصحف) الموجود بين أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله للإعجاز والتحدي ، وتمييز الحلال من الحرام ، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وهذا هو إجماعهم الذي لا خلاف فيه مع إخوانهم أهل السنّة) [2] .

---

(١) بين الشيعة وأهل السنة صفحة ٣٧ — ٣٨.

(٢) كلنا أخوة شيعة وسنّة صفحة ٧٦.

الفصل الثاني
الشيعة والسنة الشريفة

قال الجنيد تحت عنوان « أصول السنة عند أهل السنة » : (أمّا بالنسبة للسنة النبوية فإنها المصدر الثاني عند أهل السنة والجماعة بعد القرآن ، وهي تمثل مجموع أقواله (ص) وأفعاله ، وفيها تفسير القرآن ، ولذلك يتشرّف أهل السنّة بالانتساب إلى السنة النبوية تنفيذاً لوصية نبيهم (ص) الذي قال : « عليكم بسنتي »)[1].

رأي الشيعة في السنة الشريفة

أقول : تعتبر السنة الشريفة المصدر الثاني للتشريع عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، والسنة عندهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام وفعله وتقريره ، فإذا روى شخصٌ ثقةٌ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو إمامٍ من الأئمة الطاهرين الإثني عشر عليهم السلام حديثاً مشتملاً على قول النبي أو فعله أو تقريره أو قول الإمام أو فعله أو تقريره فإن الشيعة تتلقى هذا الحديث بالقبول ويكون معتبراً عندهم ويعملون وفقه بشرط أن لا يكون ما فيه مخالفاً للكتاب المجيد أو المعلوم من الشريعة بالضرورة أو الثابت الصحيح بالتواتر أو بقطعي العقل وعليه فلا يختلف الشيعة الإثنا عشرية عن أهل السنة في كون سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي المصدر الثاني للتشريع .

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٤

فيضيف الشيعة إلى سنة النبي ﷺ سنة الأئمة الطاهرين الإثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام حيث تعتبر عندهم كسنة النبي ﷺ في لزوم الاعتبار ووجوب الأخذ بها والعمل وفقها استناداً إلى أدلة كثيرة منها حديث الثقلين وهو قول النبي ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[1].

وقد صرّح العديد من علماء أهل السنّة بأن المراد بالتمسك بعترة النبي ﷺ وأهل بيته اتباعهم وأخذ أحكام الدين ومعارف الشريعة منهم.

يقول التفتازاني: (ألا يرى أنه (ص) قرنهم بكتاب الله في كون التمسك بهما منقذاً من الضلالة، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلاّ الأخذ بما فيه من العلم والهداية فكذا العترة)[2].

وقال الملا علي القارىء: (والمراد بالأخذ بهم التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم)[3].

وقال الشيخ حسن بن علي السقاف: (والمراد بالأخذ بآل البيت والتمسك بهم هو محبتهم والمحافظة على حرمتهم والتأدب معهم والإقتداء بهديهم وسيرتهم، والعمل برواياتهم والاعتماد على رأيهم ومقالتهم وتقديمهم في ذلك على غيرهم)[4].

ويضيف بعض أهل السنّة إلى السنة النبوية سنة الخلفاء الأربعة (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب عليه السلام)، أمّا سنّة علي بن أبي طالب عليه السلام فلا شك في

---

(١) سنن الترمذي ٦٦٣/٥ حديث رقم: ٣٧٨٨.

(٢) شرح المقاصد ٢٢١/٢.

(٣) تحفة الأحوذي ١٩٦/١٠.

(٤) صحيح شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٦٥٤.

كونها حجة لما ذكرناه ولأدلة كثيرة أوردنا بعضها في هذا الكتاب ، ولما ثبت بالأدلة الصحيحة أنه عليه السلام معصوم ، وأما حجّية سنة أبي بكر وعمر وعثمان فلا دليل عليها لا من كتاب الله ولا من سنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والقول المنسوب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) الذي يعتمد عليه القائلون بحجية سنتهم مضطرب من ناحية السند وقد أثبت العلامة حسان عبد المنان في كتابه (حوار مع الشيخ الألباني) أن مدار الحديث على عبدالرحمن بن عمرو السلمي [١] وهذا الرجل مجهول الحال لم يرد فيه توثيق إلاّ من ابن حبّان ، ومعلوم عندهم أن ابن حبّان عادة ما يوثق أشخاصاً مجهولين لا يعرف حالهم من حيث الوثاقة وعدمها .

ولو سلمنا أن هذا القول قد صدر منه صلى الله عليه وآله وسلم وبطرق صحيحة فالاختلاف بيننا وبين أهل السنة حول الخلفاء الراشدين من هم ؟ فنحن نقول أنهم الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمته وليس منهم أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ، وذلك للحديث الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش) [٢] .

وأكبرُ دليلٍ على عدم اعتبار سنّتهم أن سيد أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمّا عرض عليه عبد الرحمن بن عوف يوم الشورى العمل بسنة أبي بكر وعمر ، لم يقبل بذلك ورفض العمل بسنتيهما .

صحيحا البخاري ومسلم في الميزان

قال الجنيد : (والأصول التي يرجع إليها أهل السنّة هي كتب الحديث كالبخاري

---

(١) حوار مع الشيخ الألباني صفحة ٨١.

(٢) صحيح مسلم ٣/١٤٥٣ .

ومسلم اللذين اشتملا على الأحاديث الصحيحة وهناك كتب أخرى خلطت بين الروايات الصحيحة وأخرى ضعيفة كالمسند وأبي داود والترمذي والطبراني وابن ماجه وابن حبّان والموطأ ... الخ ، وبناء عليه فلا يكفي مجرد إحالة مصدر الحديث إلى هذه الكتب من دون التحقق من صحة روايتها وسندها ورجالها ، اللهم باستثناء البخاري ومسلم)[١] .

أقول : من المعلوم أن علماء أهل السنة – إلاّ من شذّ منهم – يدّعون صحة جميع روايات صحيحي البخاري ومسلم ، إلاّ أن المحقق والمدقق والناظر في أسانيد ومتون روايات هذين الكتابين يجزم بل يقطع بعدم صحة الكثير من رواياتهما ، إمّا من ناحية السند أو من ناحية المتن أو من ناحيتهما جميعاً ، وسأقتصر لإثبات ذلك على ذكر بعض الأدلة والأمثلة ، حيث أن هذا الكتاب غير مخصص لنقد الصحيحين المذكورين حتى يمكن الإسهاب والتوسع في الإتيان بالشواهد والأدلة وضرب الأمثلة .

أمّا بالنسبة لعدم صحة بعض رواياتهما من ناحية المتن فمثاله ما أخرجه البخاري ومسلم كلاهما بسنديهما عن أبي هريرة الدوسي أن النبي ﷺ قال (لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات ... الخ)[٢] .

وفي رواية أخرى أخرجاها جميعاً بسنديهما عن أبي هريرة أيضاً – وهي رواية طويلة نأخذ منها موضع الحاجة -: (أن الناس يأتون النبي إبراهيم عليه السلام فيقولون له : أنت نبي الله وخليله في الأرض ، اشفع لنا إلى ربّك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله ، ولن يغضب بعده مثله ، وأني كنت

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٤ .

(٢) صحيح البخاري ١١٢/٤ ، صحيح مسلم ٩٨٧

كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي)[1].

وظاهر هاتين الروايتين صريح في نسبة الكذب لنبي الله إبراهيم عليه السلام، والرواية الثانية منهما تدل على أن هذه الكذبات الثلاثة تكون سبباً مانعاً لإبراهيم عليه السلام من الشفاعة للناس يوم القيامة !.

يا سبحان الله كيف يكون من قال عنه المولى سبحانه وتعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴾[2] كذاباً ؟!

فحاشا للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن ينسب لخليل ربّه الكذب، وحاشا لإبراهيم وهو من المصطفين الأخيار أن يكذب، ولنعم ما قاله الفخر الرازي وهو من أكابر علماء السنيين في دفع ذلك، قال : (اعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي (ص) أنه قال : ما كذب إبراهيم عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات، فقلت : الأولى أن لا نقبل هذه الأخبار) ثم قال الفخر على سبيل الاستنكار : (فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة، فقلت له : يا مسكين إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم عليه السلام وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة ولا شك أن صون إبراهيم عن التكذيب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب)[3].

وأخرج البخاري في صحيحه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : (سمع رسول الله (ص) رجلاً يقرأ في سورة الليل فقال : يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا)![4].

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٦/٥، صحيح مسلم ١٢٧/١.

(٢) سورة مريم الآية : ٤١.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١١٩/١٨.

(٤) صحيح البخاري ١١٠/٦.

وأخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه من نفس الطريق باختلاف في الألفاظ أن عائشة قالت : (كان النبي (ص) يستمع قراءة رجل في المسجد ، فقال : رحمه الله لقد ذكرني آية كنت أنسيتها)![1].

وما تضمنته هذه الرواية صريحٌ في أن النبي ﷺ قد نسي بعض الآيات من القرآن ونحن من نصدّق رواية البخاري ومسلم هذه أم كتاب الله القائل : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى ﴾[2] الذي ينفي فيه سبحانه وتعالى أن ينسى النبي ﷺ شيئاً من آيات الكتاب المجيد ؟.

وأخرج البخاري ومسلم كلاهما أنه لما أن أصيب عمر بن الخطاب جعل صهيب يقول وا أخاه ، فقال عمر : (أما علمت أن النبي (ص) قال : إن الميت ليعذّب ببكاء الحي)[3].

وهذه الرواية تتنافى مع القرآن الكريم ، فالله عزّ وجل يقول : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ، فكيف يعذّب المرء بذنب غيره ؟!.

وأخرج البخاري ومسلم كلاهما من طريق أبي هريرة الدوسي أنه قال : (قال أناس يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟! فقال : هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ، يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان

---

(١) صحيح مسلم ١٩٠/٢ .

(٢) سورة الأعلى الآية : ٦ .

(٣) صحيح البخاري ٤٣٣/١ ، صحيح مسلم ٦٣٩/٢ .

يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، ويبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون !!! فيقول : أنا ربّكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ! ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا ، فإذا أتانا ربّنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون !!! فيقول : أنا ربّكم فيقولون أنت ربّنا ،... الخ)[1] .

وبلا شك أن ما في هذه الرواية موضوع على لسان رسول الله ﷺ وذلك لأنها تفيد أموراً باطلة : -

١ - أن الله سبحانه وتعالى جسماً تقع عليه العين الباصرة ، والله سبحانه وتعالى منزه عن الجسمية .

٢ - أنه سبحانه يشغل حيّزاً من المكان ، فهو محتاج إلى ذلك المكان الذي يكون فيه وهذا باطل فهو غني مطلق لا يحتاج إلى شيء ومنزه عن المكان .

٣ - أنه سبحانه في جهة ، وهو منزه عن الجهة ، وهذه الجهة وهذا المكان إما أن يكونا مخلوقين له أو لا يكونا مخلوقين ، فإن قلنا بأنهما مخلوقان فقد ضمّنا الخالق المخلوق وهو باطل ، وإن قلنا بأنهما ليسا بمخلوقين فقد أثبتنا وجوداً ليس بمخلوق له سبحانه ، ويلزم من ذلك تعدد القدماء وهو باطل فلا قديم إلاّ الله .

٤ - أنه سبحانه وتعالى عرضة للتغيّر من صورة إلى أخرى ، والله منزه عن التغيّر لأن التغيّر من صفات المحدثات والله عزّ وجل ليس كذلك .

٥ - حصول الرؤية من قبل الأمة للبارىء عزّ وجل - المؤمن منها والمنافق - قبل يوم القيامة بحيث تكون صورته - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - محفوظة في أذهانهم حتى إذا جاءهم يوم القيامة في غير الصورة التي يعرفون ورأوه بها سابقاً ينكرون أن

---

(١) صحيح البخاري ٢٤٠٥/٥ برقم : ٦٢٠٤ ، صحيح مسلم ١٦٣/١ برقم : ١٨٢ .

يكون ربّهم ، وهذا واضح البطلان عند كل مسلم .

والعجيب أن هذه الرواية تناقض أقوالهم ورواياتهم حيث صرّحوا بأن الرؤية –طبعاً حسب زعمهم الباطل أنه سبحانه يرى يوم القيامة تعالى الله عن ذلك –خاصة بالمؤمنين وصرّحت رواياتهم أنها –الرؤية –إنما تحصل في الجنة وخاصة بالمؤمنين زيادة فوق نعيمهم فيها ، أمّا هذه الرواية فتثبت خلاف ذلك فهي تثبتها حتى للمنافقين وقبل الدخول إلى الجنة .

وأخرج البخاري ومسلم كلاهما عن العباس بن عبدالمطلب أنه قال لرسول الله (ص) : (يا رسول الله ، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : نعم ، هو في ضحضاح من نار ، لو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) [1] .

كما أخرجها مسلم في صحيحه باختلاف يسير في بعض ألفاظها ، ففيه أن العباس قال : (يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك ؟ قال : نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح) [2] .

وهذه الرواية مخالفة للكتاب وللسنة الصحيحة ، فهي تثبت أن شفاعة النبي ﷺ نفعت عمّه أبا طالب مع أنه مات مشركاً بالله [3] والقرآن الكريم يقول بأن من مات مشركاً كافراً بالله لا تنفعه الشفاعة ، ولا يخفف عنه شيء من العذاب ، يقول

---

(١) صحيح البخاري ١٢١/٧ ، صحيح مسلم ١٣٥/١ .

(٢) صحيح مسلم ١٣٥/١ .

(٣) إن الثابت الصحيح أن أبا طالب عليه السلام مات مؤمناً موحداً ، وجميع الروايات التي تقول بأنه مات مشركاً هي من اختلاق السياسة المعادية لأهل البيت عليهم السلام ، فمثل هذه الروايات لا قيمة لها عند أتباع مدرسة أهل البيت ، ولا تصمد أمام النقد والأدلة القطعية التي تثبت خلاف ماتزعمه

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَهُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَيُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ إلى أن يقول سبحانه:

---

(١) سورة فاطر الآية: ٣٦.

(٢) سورة النحل الآية: ٨٥.

(٣) سورة غافر الآية: ٤٩-٥٠

(٤) سورة البقرة الآية: ٨٦.

(٥) سورة الأنعام الآية: ٧٠.

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً * لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ (٣).

ثم إن هناك إشكالاً آخر على هذه الرواية وهو أنها تفيد أن أبا طالب قامت قيامته وأن النبي ﷺ وجده في غمرات النار فتشفّع فيه فأخرج منها إلى الضحضاح ، وهذا كله باطل وكذب ، فهل يختلف أبو طالب عن بقية العصاة على فرض موته مشركاً - والعياذ بالله - كما يزعم صحيحا البخاري ومسلم اللذين إلى الآن لم تقم قيامتهم ؟ أم أن أبا طالب عليه السلام أكثر جرماً وأعظم ذنباً من الطغاة الظلمة والجبابرة من أمثال فرعون ونمرود وقارون وغيرهم بحيث أنه يستحق أن تكون له قيامة خاصة ويعجل به قبل هؤلاء إلى النار ؟!.

فلا نملك إلاّ أن نقول (لا حول ولا قوة إلاّ بالله).

وأخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أنه قال : (أخذ رسول الله (ص) بيدي فقال : خلق الله عزّ وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر

---

(١) سورة المدثر الآية : ٣٨-٤٨.

(٢) سورة غافر الآية : ١٨.

(٣) سورة مريم الآية : ٨٦-٨٧.

الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل)[1].

وهذه الرواية مخالفة لصريح القرآن الكريم القائل: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[2].

ولذلك قال بعضهم أن هذا من كلام كعب الأحبار أخذه منه أبو هريرة ونسبه إلى رسول الله وهو ليس من كلامه ﷺ، قال المتّقي الهندي في كنز العمّال ١٢٧/٦ : (ولكن وقع الغلط في رفعه إنما هو من قول كعب الأحبار، كذلك قال إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه (٤١٣/١) وقاله غيره من علماء المسلمين أيضاً وهو كما قالوا، لأن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام، والله تعالى أعلم).

قلت: ما أعظم المصيبة وأكبرها أن ينسب الرواة الثقات —حسب زعمهم— كلاماً لشخص على أنه من كلام رسول الله ﷺ، فأبو هريرة لم يكتف بنسبة هذا القول إلى النبي ﷺ بل حاول أن يثبت أنه تلقاه منه مباشرة وذلك في قوله الصريح: (أخذ رسول الله (ص) بيدي فقال: ...)، وأما توجيه البخاري والمتقي الهندي وغيرهما الحديث بأنه ليس من كلام النبي وإنما من كلام كعب الأحبار فهو طعن في أبي هريرة الذي لم يميز بين ما تلقاه من كعب الأحبار وما تلقاه من الرسول ﷺ.

وأخرج مسلم والبخاري بسنديهما عن عائشة أنها قالت: -واللفظ لمسلم- (أرسل أزواج النبي (ص) فاطمة بنت رسول الله (ص) إلى رسول الله (ص) فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي، فأذن لها فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك

---

(١) صحيح مسلم ٢١٤٩/٤.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٥٤.

يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة !!! وأنا ساكتة قالت : فقال رسول الله : أي بنية ألست تحبين ما أحب ؟ فقالت : بلى ، قال : فأحبي هذه ! ، قالت : فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله (ص) فرجعت إلى أزواج النبي (ص) فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله (ص) ، فقلن لها : ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله (ص) فقولي له إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة ، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً .

قالت عائشة : فأرسل أزواج النبي (ص) زينب بنت جحش زوج النبي (ص) وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله (ص) ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى ما عدا سورة من حد كانت فيها تسرع منها الفيئة قالت : فاستأذنت على رسول الله (ص) ورسول الله (ص) مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها فأذن لها رسول الله (ص) ، فقالت : يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، قالت : ثم وقعت بي فاستطالت علي وأنا أراقب رسول الله (ص) وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها ، قالت : فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله (ص) لايكره أن أنتصر ، قالت : فلما وقعت بها لم أنشبها حين انحنيت عليها قالت : فقال رسول الله (ص) وتبسم إنها ابنة أبي بكر)[١] .

وفي هذه الرواية اتهام خطير جداً للنبي ﷺ بأنه ظالم لزوجاته وغير عادل بينهن ، وأنه يميز زوجته عائشة بنت أبي بكر بن ابي قحافة على البقية منهن بحيث وصل الأمر

---

(١) صحيح مسلم ١٨٩١/٤ برقم : ٢٤٤٢ ، صحيح البخاري ٩١١/٢ برقم : ٢٤٤٢ .

بهن إلى أن يرسلن إلى رسول الله ﷺ من يطلب منه ويناشده العدل بينهن .

أيتصور المرء أن يكون النبي ﷺ والذي أرسل إلى تحقيق العدالة بين الناس غير قادر على تحقيقها بين نسائه ؟!.

وهل خالفت أفعال النبي ﷺ أقواله التي يدعو فيها المسلم إلى ملازمة العدالة وتحقيقها في مختلف جوانب وشؤون حياته فكان من اللذين يقولون ما لا يفعلون ؟!.

لا هذا ولا ذاك ولكن السياسة المعادية للنبي ﷺ وللإسلام هي التي اختلقت مثل هذه الروايات ، وعمدت من خلالها إلى تشويه شخصية نبي الإسلام ﷺ .

نعم لقد أرادوا أن يمدحوا عائشة فانتقصوا رسول الله ﷺ .

وأمّا بالنسبة لعدم صحة بعض روايهما من ناحية السند فإنهما –البخاري ومسلم– أخرجا في صحيحيهما لمجموعة من الرواة الضعاف والنواصب والفسّاق وغيرهم من المجروحين ومن هم ليسوا بأهل أن تروى من طريقهم سنة النبي ﷺ ونذكر هنا مجموعة من هؤلاء كمثال فقط :

أخرج البخاري ومسلم لـ (إسماعيل بن عبدالله بن أبي أويس الأصبحي) وقد وقع في إسناد ما يقارب مائتي رواية من روايات صحيح البخاري وروى له مسلم ما يقارب العشرين رواية ، وهو ضعيف كذاب وضّاع ، وهذه أقوال جملة من علماء أهل الجرح والتعديل من أهل السنة في جرحه :

قال يحيى بن معين : (أبو أويس وابنه ضعيفان) [1] .

وقال : (ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث) [2] .

---

(١) تهذيب الكمال ٢٤٠/١ ، تهذيب التهذيب ١٩٧/١ .

(٢) تهذيب الكمال ٢٤٠/١ ، الضعفاء والمتروكين ١١٧/١ ، تهذيب التهذيب ١٩٧/١.

وقال : (مخلط يكذب ليس بشيء)[1] .

وقال : (إسماعيل بن أبي أويس لا يساوي فلسين)[2] .

وقال النسائي : (ضعيف)[3] .

وقال مرة : (ليس بثقة)[4] .

وقال النضر بن سلمة المروزي : (هو كذاب)[5] .

وقال الدار قطني : (لا أختاره في الصحيح)[6] .

وقال أبو القاسم اللالكائي : (بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدي إلى تركه ، ولعله بان له ما لم يبن لغيره ، لأن كلام هؤلاء كلهم يؤول إلى أنه ضعيف)[7] .

وقال ابن عدي : (روى عن خاله أحاديث غرائب لايتابع عليها أحد)[8] .

وذكروا أن ابن أبي أويس هذا اعترف على نفسه بأنه يضع الحديث ، فكان يقول : (ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء بينهم)[9] .

وأخرج البخاري ومسلم لـ(فليح بن سليمان) ، وهو ضعيف مجروح عند العديد من الحفاظ وعلماء الجرح والتعديل ، وهذا بعض مماقاله بعضهم في جرحه :

---

(١) تهذيب الكمال ٢٤٠/١ ، تهذيب التهذيب ١٩٧/١ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٩٨/١ .

(٣) تهذيب الكمال ٢٤٠/١ ، الضعفاء والمتروكين ١١٧/١ ، سير أعلام النبلاء ١٢٠/٩ .

(٤) تهذيب الكمال ٢٤٠/١ ، تهذيب التهذيب ١٩٧/١ ، سير أعلام النبلاء ١٢١/٩ .

(٥) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١١٧/١ ، تهذيب التهذيب ١٩٧/١ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٩٨/١ ، سير أعلام النبلاء ١٢١/٩

(٧) تهذيب الكمال ٢٩٠/١ ، تهذيب التهذيب ١٩٧/١ .

(٨) تهذيب التهذيب ١٩٧/١ ، سير أعلام النبلاء ١٢١/٩ .

(٩) تهذيب التهذيب ١٩٨/١ ، سير أعلام النبلاء ١٢١/٩ .

قال ابن معين : (ضعيف ما أقربه من أبي أويس)[1] .

وقال : (ليس بالقوي ولا يحتج بحديثه)[2] .

وقال : (فليح بن سليمان ليس بثقة)[3] .

وقال الآجري : قلت لأبي داود : قال ابن معين : (عاصم بن عبيدالله ، وابن عقيل ، وفليح لا يحتج بحديثهم . قال : صدق)[4] .

وقال النسائي : (ضعيف)[5] .

وقال مرة : (ليس بالقوي)[6] .

وقال ابن أبي شيبة : قال علي بن المديني : (كان فليح وأخوه عبد الحميد ضعيفين)[7] .

وقال الرملي عن أبي داود : (ليس بشيء)[8] .

وقال أبو داود : (لا يحتج بفليح)[9] .

وقال أبو حاتم : (ليس بالقوي)[10] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٧ ، تهذيب الكمال ٥٨/٦ .

(٢) الضعفاء والمتروكين ١٠/٣ ، تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٧ ، تهذيب الكمال ٥٨/٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٧ .

(٤) تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٧ ، تهذيب الكمال ٥٨/٦ .

(٥) تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٧ ، تهذيب الكمال ٥٨/٦ .

(٦) الضعفاء والمتروكين ١٠/٣ ، تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٧ ، تهذيب الكمال ٥٨/٦ .

(٧) تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ .

(٨) تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ .

(٩) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٧ .

(١٠) تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٧ ، تهذيب الكمال ٥٨/٦ .

وقال الطبري : (ولاّه المنصور على الصدقات لأنه كان أشار عليهم بحبس بني الحسن لما طلب محمد بن عبدالله بن الحسن) !!! [١] .

وأخرج مسلم في صحيحه أكثر من مائة رواية عن أبي الزبير وهو : (محمد بن مسلم بن تدرس) وهو وإن وثقه البعض إلاّ أنه ورد فيه من الجرح ما يجعل المرء يعرض عن الإحتجاج بحديثه ، فقد ضعّفه أيوب السختياني فكان إذا روى عنه يقول : (حدثنا أبوالزبير ، وأبوالزبير أبوالزبير ، قال أحمد بن حنبل : يضعفه في ذلك) [٢] .

وقال ابن حجر : (وقال عبد الله بن أحمد : قال أبي : كان أيوب يقول : حدثنا أبوالزبير ، وأبوالزبير أبوالزبير ، قلت لأبي يضعفه ؟ قال : نعم) ، ومثله ذكر ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [٣] .

وقال أبو حاتم وأبو زرعة والبخاري : (لا يحتج به) [٤] .

وروى أبو داود عن شعبة قال : (لم يكن في الدنيا شيء أحب إليّ من رجل يقدم مكة نسأله عن أبي الزبير ، قال : قدمت مكة فسمعت من أبي الزبير ، فبينا أنا عنده إذ سأله رجل عن مسألة فردّ عليه فافترى عليه ، فقلت : تفتري يا أبا الزبير على رجل مسلم ؟ فقال : إنه أغضبني . قلت : ومن يغضبك تفتري عليه ؟ لا رويت عنك أبداً) [٥] .

وقيل لشعبة : (لم تركت أبا الزبير ؟ قال : رأيته يسيء الصلاة فتركت الرواية

(١) تهذيب التهذيب ٥٠٩/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧٧/٦ ، تذكرة الحفاظ ١٢٧/١ .

(٣) تهذيب التهذيب ٢٨٢/٥ ، الجرح والتعديل ٧٥/٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧٨/٦ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٧٨/٦ ، تهذيب التهذيب ٢٨٢/٥ ، الضعفاء الكبير ١٣١/٤ .

عنه) [١] .

وقال يونس بن عبد الأعلى : (سمعت الشافعي وقد احتج عليه رجل بحديث عن أبي الزبير ، فضعّفه وقال : أبو الزبير يحتاج إلى دعامة) [٢] .

وقال هشام بن عمّار عن سويد بن عبدالعزيز قال لي شعبة : (تأخذ عن أبي الزبير وهو لا يحسن أن يصلّي) [٣] .

وسئل أبو زرعة عن أبي الزبير فقال : (روى عنه الناس ، فقيل له يحتج بحديثه ؟ قال: إنما يحتج بحديث الثقات) [٤] .

ومفهوم كلام أبي زرعة أن أبا الزبير ليس بثقة .

وحدّث نعيم بن حمّاد عن ابن عيينة أنه قال : (حدثنا ابو الزبير وهو أبو الزبير ، أي كأنه يضعّفه) [٥] .

وكان مدلساً [٦] ومن المشهورين به [٧] ولذلك قال الذهبي في تذكرة الحفاظ عن أبي الزبير : (وقال غير واحد هو مدلس ، فإذا صرّح بالسّماع فهو حجة) .

قلت : ومفهوم كلامه أنه إذا لم يصرّح بالسماع فليس بحجة ، وجل رواياته في مسلم معنعنة – أي لم يصرّح فيها بالتحديث – فهي حسب قول الذهبي ليست بحجة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧٨/٦ ، الضعفاء الكبير ١٣١/٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧٩/٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ٢٨٢/٥ ، الجرح والتعديل ٧٥/٨ ، الكامل في الضعفاء ١٢٢/٦ .

(٤) تهذيب التهذيب ٢٨٢/٥ ، الجرح والتعديل ٧٥/٨.

(٥) الجرح والتعديل ٧٥/٨.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٧٨/٦، تذكرة الحفاظ ٢٧/١، الكاشف ٢١٦/٢، تقريب التهذيب ٥٠٦/١.

(٧) طبقات المدلسين ٤٥/١ ، أسماء المدلسين ٢٠٠/١.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما العديد من الروايات لـ (عبد الملك بن عمير اللخمي) وهو من الرواة المجروحين ، قال عنه ابن معين : (مختلط) [(١)] .

وضعّفه أحمد بن حنبل جداً [(٢)] .

ونقلوا أن أحمد بن حنبل قال عنه : (مضطرب الحديث جداً ما أرى له خمسمائة حديث وقد غلط في كثير منها) [(٣)] .

وقال أبو حاتم : (ليس بحافظ) [(٤)] .

وكان من المدلسين [(٥)] .

ومن المشهورين به [(٦)] .

وكان شعبة لا يرضاه [(٧)] .

وأخرج البخاري ومسلم لـ (إسحاق بن سويد بن هبيرة التميمي البصري) وهو ناصبي منافق كان يحمل على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال العجلي : (وكان يحمل على علي بن أبي طالب) [(٨)] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٣٥/١ ، الجرح والتعديل ٣٦٠/٥ ، تهذيب التهذيب ٥٠٦/٣ ، ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٣٥/١ ، الجرح والتعديل ٣٦٠/٥ ، تهذيب التهذيب ٥٠٦/٣ ، ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٢٢/٦ .

(٣) الجرح والتعديل ٣٦٠/٥ ، تهذيب التهذيب ٥٠٦/٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٢٢/٦ .

(٤) ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢ .

(٥) تقريب التهذيب ٣٦٤/١ ، تهذيب التهذيب ٥٠٧/٣ .

(٦) طبقات المدلسين صفحة ٤١ ، التبيين لأسماء المدلسين صفحة ١٤٢ ، جامع التحصيل في أحكام المراسيل صفحة ١٠٨ .

(٧) ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢ .

(٨) تهذيب التهذيب ١٥٢/١ ، معرفة الثقات ٢٩١/١ .

وقال أبو العرب الصقلي : (كان يحمل على علي تحاملاً شديداً) [١] .

وأخرج البخاري لـ (حريز بن عثمان الرحبي الحمصي) وهو أيضاً ناصبي منافق محترق ذكروا فيه ما يسوّد وجهه قال أحمد بن حنبل : (حريز صحيح الحديث إلاّ أنه كان يحمل على علي) !!! [٢] .

وقال : (حديث حريز نحو ثلاث مئة ، وهو صحيح الحديث إلاّ أنه كان يحمل على علي) [٣] .

وقال الفلاس : (كان ينال من علي) [٤] .

وقال العجلي : (وكان يحمل على علي) [٥] .

وقال عمرو بن علي : (كان ينتقص علياً وينال منه) [٦] .

وقال أحمد بن سعيد الدارمي عن أحمد بن سليمان المروزي : (سمعت إسماعيل ابن عياش قال : عادلت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه) [٧] .

وقال ابن حبّان : (كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة ، وبالعشي سبعين مرة ، فقيل له في ذلك فقال : هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي) [٨] .

---

(١) تهذيب التهذيب ١/١٥٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ١/٤٦٦ ، موسوعة الإمام ابن حنبل في رجال الحديث وعلله ١/٢٤١ .

(٣) تهذيب الكمال ٢/٩٠ .

(٤) ميزان الاعتدال ١/٤٧٥ .

(٥) تهذيب التهذيب ١/٤٦٦ ، معرفة الثقات ١/٢٩١ ، تهذيب الكمال ٢/٩٠ .

(٦) تهذيب التهذيب ١/٤٦٦ ، تهذيب الكمال ٢/٩٠ .

(٧) تهذيب التهذيب ١/٤٦٦ ، تهذيب الكمال ٢/٩١ ، تاريخ دمشق ١٢/٣٤٨ .

(٨) تهذيب التهذيب ١/٤٦٧ .

وقال غنجار : (قيل ليحيى بن صالح : لم لم تكتب عن حريز ؟ فقال : كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة) [١] .

وذكروا أنه قال : (لا أحبه – يريد علياً – لأنه قتل من قومي يوم صفين جماعة) [٢] .

وأيضاً قال : (لا أحبه قتل آبائي) [٣] .

وكان يقول : (لنا إمامنا ولكم إمامكم) يعني معاوية وعلياً عليه السلام [٤] .

وعن يحيى بن المغيرة أن جريراً قال : (إن حريزاً كان يشتم علياً على المنابر) [٥] .

وقال الذهبي في ترجمته في الكاشف : (وهو ناصبي) [٦] .

وقال ابن حجر العسقلاني : (رمي بالنصب) [٧] .

وقال محمد بن عبد الله بن عمّار الموصلي : (يتهمونه أنه كان ينتقص علياً ويروون عنه ، ويحتجّون بحديثه وما يتركونه) [٨] .

وأخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه لـ (شقيق بن عبدالله العجلي) وهو ناصبي من مبغضي الإمام علي عليه السلام .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦٦/٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٦/٧ / ميزان الاعتدال ٤٧٥/١ ، تهذيب التهذيب ٤٦٦/١ ، تهذيب الكمال ٩١/٢ .

(٤) نفس المصادر السابقة .

(٥) تهذيب الكمال ٩١/٢ .

(٦) الكاشف ١٦٩/١ .

(٧) تقريب التهذيب ١٦٢/١ .

(٨) تهذيب الكمال ٩٠/٢ .

قال العجلي : (وكان يحمل على علي)[١] .

ومثله قال أحمد بن حنبل[٢] .

وقال ابن خرّاش : (وكان عثمانياً يبغض علياً)[٣] .

ومثله قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين[٤] .

وقال ابن حجر : (بصري ثقة فيه نصب)[٥] .

فلماذا لم يعامل أهل السنة كتابي البخاري ومسلم معاملتهم لبقية كتب الحديث الأخرى وينظروا في أسانيد ومتون رواياتهما كما فعلوا مع الكتب الروائية الأخرى ، مع أن بعضهم — أي المصنفين من العلماء في الحديث — من يرى صحة جميع ما جمعه من روايات كما كان يرى البخاري ومسلم ذلك بالنسبة لصحيحيهما ؟! .

فمثلاً كان أحمد بن حنبل يرى صحة واعتبار جميع روايات مسنده ، ولذلك جعل ما فيه من روايات حجة يرجع إليه في حال الاختلاف حول الروايات ، فإن كانت الرواية المختلف حولها مذكورة ومنقولة في هذا المسند فإنها تكون حجة ، حيث أثر عنه قوله : (إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله (ص) فارجعوا إليه ، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة)[٦] ، ولا يقول بهذا القول إلاّ من يرى صحة واعتبار جميع تلك الروايات .

---

(١) معرفة الثقات ٣٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ .

(٢) تهذيب الكمال ١٦٢/٤ ، تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ ، الكاشف ٥٦١/١ .

(٣) تهذيب الكمال ١٦٢/٤ .

(٤) تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ .

(٥) تقريب التهذيب ٣٠٧/١ .

(٦) راجع ترجمة أحمد في سير أعلام النبلاء ، وكتاب من له رواية في مسند أحمد صفحة ٩ .

وكذلك ابن حبّان فإنه كان يرى صحة جميع روايات صحيحه .

وكذلك غيرهما ..

ولكن إذا عرف السبب بطل العجب ! ترى ما هو السبب إذاً ؟!

السبب واضح جداً ، وهو أن هذه المصنفات تحمل في طياتها الكثير من الروايات التي لا تتماشى مع أهواء القوم وتوجهاتهم في الفروع والأصول ، فنقلها من القدماء من نقلها إنصافاً منه أو لأنه لم يستطع إنكارها لاشتهارها وكثرة وصحة طرقها أو لدواع وأسباب أخرى ، فجاء من أتى بعدهم وطعن في هذه الروايات سنداً أو ميّعها دلالة ، بل أن بعضهم لشدة حساسيته من بعض هذه الروايات فضح نفسه فزعم وضعها وكذبها مع أنها صحيحة سنداً رواتها ثقاة أثبات كما فعل ابن تيمية الحراني مع العديد من الروايات الواردة في فضل علي عليه السلام وإمامته .

وإن أردت أن تزداد عجباً أيها القارئ المنصف فتعال معي لأطلعك على أمر آخر وهو أن بعضهم مع تيقنه بوجود روايات موضوعة وغير صحيحة أو منكرة في صحيح البخاري إلاّ أنه لم يجرؤ على الحكم عليها بالوضع وعدم الصحة والنكارة هيبة من هذا الصحيح ، فهذا الذهبي يقول عن بعض أحاديث صحيح البخاري : (ولو لا هيبة الصحيح لقلت إنها موضوعة) [1] .

ويقول ابن حجر في فتح الباري أن الذهبي قال عن حديث وقع في سنده خالد ابن مخلد : (هذا حديث غريب جداً لو لا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد) [2] .

---

(١) وركبت السفينة هامش صفحة ١٠١ .

(٢) فتح الباري ٢٩٢/١١ .

قلت : وما قيمة الصحيح وما مقدار هيبته إذا كان ما فيه مخالفا لكتاب الله ، أو ينتقص من مقام أنبياء الله عزّ وجل ، أو ... أو ... ، أليس الأولى والأوجب تقديم هيبة الكتاب المجيد وهيبة الأنبياء على هيبة صحيح البخاري ؟!! .

هذا إن كانت له هيبة .

أسباب عدم أخذ الشيعة بروايات أهل السنة

قال الجنيد تحت عنوان « أصول السنة عند الشيعة » : (وأمّا الشيعة فإنهم لا يعتمدون كتب الحديث والسنن التي عند أهل السنة كالبخاري ومسلم ... الخ وإنّما لهم رواياتهم الخاصة بهم ، وهي عندهم أوثق من روايات أهل السنة لأنها مروية عن طريق أئمة أهل البيت ، فإن شرط رواية الحديث عندهم :

١ — أن يكون الراوي إمامياً ثقة عدلاً ضابطاً .

٢ — اتصال السند إلى المعصوم .

وقد خالفهم الزيدية وغيرهم في ذلك وقالوا : الرواية مقبولة من الثقة العدل الضابط وإن لم يكن إمامياً) [1] .

أقول : إن البعض يزعم أن أهل السنة هم أتباع السنة النبوية فهم الذين يأخذون بها ويعتمدون عليها كمصدر ثان للتشريع بعد المصدر الأول وهو الكتاب المجيد ، وأن الشيعة الإمامية الإثني عشرية ليسوا بأتباع السنة النبوية وأنهم يرفضون الأخذ بها والاعتماد عليها ! وهذا زعم باطل وإدّعاء غير صحيح منشؤه رؤية هؤلاء عدم اعتماد الشيعة على كتب الحديث عند أهل السنة ككتاب صحيح البخاري وصحيح مسلم

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٥ .

ومسند أحمد بن حنبل وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه وسنن النسائي وغيرها من كتب الحديث الأخرى لأهل السنة، حيث يظن هؤلاء أن سنة النبي ﷺ منحصرة فيما أخرجه علماء أهل السنة من روايات فقط، والأمر ليس كذلك، فإن الشيعة لديهم كتبهم الروائية والتي تتضمن الكثير من الروايات التي تحمل في مضمونها سنة النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين القولية والفعلية والتقريرية.

أمّا عدم أخذ الشيعة بمرويات أهل السنة فإنما هو للأسباب التالية:

أولاً: لاستغناء الشيعة بما رواه أئمة أهل البيت عليهم السلام من سنة النبي ﷺ وما رواه ثقاتهم وأجلاء الرواة من سنّة أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: وجود التناقض بين مرويات أهل السنة وبين بعض ما ثبت عن أهل البيت عليهم السلام الذين أمر رسول الله ﷺ بالتمسك بهم والأخذ عنهم والاعتماد على روايتهم ومقالتهم.

ثالثاً: تناقض بعض روايات أهل السنة –سواء في ذلك روايات المعارف أو الأحكام أو غيرها –مع آيات الكتاب المجيد، وقد ذكرنا شواهد على ذلك من أصح كتابين لدى القوم.

رابعاً: اعتماد أهل السنة على مرويات بعض الضعفاء والمجروحين والكذبة والمدلسين والنواصب أعداء أهل البيت عليهم السلام، وقد ذكرنا نماذج لأسماء بعض هؤلاء ممن أخرج لهما في أصح كتب أهل السنة وهما صحيحي البخاري ومسلم.

خامساً: قولهم بعدالة جميع الصحابة والاعتماد على رواية كل من ثبت عندهم أنه رأى النبي ﷺ وروى عنه، وإن كان مجهول الحال، لا يعرف حاله من حيث الإيمان والوثاقة أو عدمهما.

سادساً : يرى الشيعة أن الكثير من الروايات التي رواها علماء أهل السنة عليها بصمات السياسة وللحكام والولاة دور في اختلاقها ووضعها ونسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فهذه كتبهم تصرح بأن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تعرضت للتغيير والتبديل خلال فترة قصيرة من الزمن بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا أحمد بن حنبل يروي في مسنده بسنده عن أم الدرداء أنها قالت : (دخل عليها يوماً أبو الدرداء مغضباً ، فقالت : ما لك ؟ قال : والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلاّ أنهم يصلون جميعاً) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين)[1] .

وفي لفظ البخاري عنها أنها قالت : (دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب فقلت : ما أغضبك ؟ فقال : والله ما أعرف من أمة محمد (ص) شيئاً إلاّ أنهم يصلّون جميعاً)[2] .

ورووا وعلى رأسهم البخاري أن أنساً بن مالك قال : (ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي (ص) ، قيل الصلاة ؟ قال : أليس ضيّعتم ما ضيّعتم فيها)[3] .

فهذه الروايات ومثلها تنبئ عن مدى التحريف الذي تعرض له الدين وبالخصوص سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إن المحاربة لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدأت في أيام حياته عندما قال بعض الصحابة —في الحادثة المعروفة برزية يوم الخميس حين طلب منهم أن يحضروا له دواة وكتف

---

(١) مسند أحمد ١٩٥/٥ برقم : ٢١٧٤٧ و٤٤٣/٦ برقم : ٢٧٥٤٠ .

(٢) صحيح البخاري ٢٣٢/١ برقم : ٦٢٢ .

(٣) صحيح البخاري ١٩٧/١ برقم : ٥٠٦ ، ورواه الترمذي في جامعه الصحيح ٦٣٢/٤ برقم : ٢٤٤٧ ، ومالك في الموطأ ٧٢/١ برقم : ١٥٥ ، وأحمد في مسنده ١٠٠/٣ برقم : ١١٩٩٦ ، باختلاف في بعض الألفاظ وغيرهم .

ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً -: (إن النبي قد غلبه الوجع وحسبنا كتاب الله) .

كما صرّحت كتب السنيين أن الخلفاء الثلاثة منعوا التحديث بأحاديث رسول الله ﷺ وطلبوا من الناس الإقلال من ذلك ! .

روى ابن أبي مليكة مرسلاً أن أبابكر (جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه) [1] .

وعن عائشة قالت : (جمع أبي الحديث عن رسول الله (ص) وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلّب كثيراً ، وقالت : فغمني فقلت أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمّا أصبح قال : أي بنيّه هلمي الأحاديث التي عندك ، فجئته بها فدعى بنار فحرقها ، فقلت: لم حرقتها ؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل إئتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني ، فأكون قد تقلدت ذلك) [2] .

وعن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه [3] .

وحدث قرظة بن كعب أن عمر بن الخطاب قال لهم لمّا ودّعهم وهم يريدون الخروج إلى العراق : (... إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تبدونهم بالأحاديث فيشغلونكم جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله (ص)

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/١ ترجمة أبي بكر .

(٢) تذكرة الحفاظ ٥/١ ، كنز العمّال ٢٨٥/١٠ برقم : ٢٩٤٦٠ .

(٣) كنز العمّال ٢٩٢/١٠ برقم : ٢٩٤٧٦ ، وكتاب العلم لأبي خيثمة صفحة ١١ .

وامضوا وأنا شريككم فلما قدم قرظة قالوا : حدثنا قال : نهانا ابن الخطاب) قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد) [١] ، ووافقه الذهبي على تصحيحه في تلخيص المستدرك .

وروى ابن سعد في الطبقات عن عبدالله بن العلاء قال : (سألت القاسم يملي عليّ الأحاديث فقال : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال : مثناة كمثناة أهل الكتاب ، قال : فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثاً) [٢] .

وأخرج ابن سعد عن محمود بن لبيد قال : (سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول: لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر ...) [٣] .

وفي سير أعلام النبلاء (٦٠١/٢) عن السائب بن يزيد أنه سمع عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة الدوسي : (لتتركنّ الحديث عن رسول الله (ص) أو لألحقنك بأرض دوس ! وقال لكعب لتتركنّ الحديث أو لألحقنك بأرض القردة) .

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط محقق الجلد المذكور من السير في هامش الصفحة المذكورة : (أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (١٤٧٥) من طريق محمد بن زرعة الرعيني ، حدثنا مروان بن محمد ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز عن إسماعيل بن عبدالله عن السائب بن يزيد ، سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركنّ الحديث عن رسول الله (ص) أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب : لتتركنّ

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٨٣/١ برقم : ٣٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٨/٥ ، سير أعلام النبلاء ٥٩/٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٣٣٦/٢، تاريخ دمشق ١٨٠/٣٩ ، كنز العمّال ٢٩٥/١٠ .

الأحاديث أو لألحقنك بأرض القردة ، وهذا إسناد صحيح .

محمد بن زرعة قال أبو زرعة في تاريخه (٢٨٦/١) ثقة حافظ من أصحاب الوليد ابن مسلم مات سنة ستة عشر ومئتين ، ومروان بن محمد هو الطاطري ، ثقة كما في «التهذيب» وباقي السند من رجال الصحيح) .

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء تعليقاً على قول أبي هريرة : « إني لأحدّث أحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر لشجّ رأسي » : (قلت : هكذا هو كان عمر رضي الله عنه يقول: أقلّوا الحديث عن رسول الله (ص) وزجر غير واحد من الصحابة عن بثّ الحديث وهذا مذهب لعمر ولغيره)[1] .

ورووا أن أبا هريرة قال : (ما كنّا نستطيع أن نقول قال رسول الله (ص) حتى قبض عمر)[2] .

وفي قبال التيار المحرّف لسنة النبي ﷺ والمغيّر والمبدّل لها أو الفئة المانعة من التحديث بحديث رسول الله ﷺ أو المتبنية للإقلال من رواية حديثه وسنّته وقف أئمة أهل البيت عليهم السلام موقفاً مشرفاً فحدّثوا بسنّة النبي ﷺ وحافظوا عليها بقدر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ونشروها بين المسلمين ممن كانوا يوالونهم ويأخذون عنهم ، فما عند الشيعة من سنة النبي ﷺ مما روي عن طريق الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام في رأيهم هي السنة الصحيحة .

نعم لا يدّعي الشيعة أن كل ما في كتب أهل السنّة من روايات مكذوب وموضوع على رسول الله ﷺ ، فحاشا لهم أن يدّعوا ذلك ، كيف وهناك في رواياتهم مما اتفق

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠١/٢.

(٢) تاريخ دمشق ٣٤٤/٦٧، سير أعلام النبلاء ٦٠٢/٢، البداية والنهاية ١١٥/٨.

الشيعة والسنة على روايته ، كما لا يدعون أنّ كل ما في كتبهم صحيح .

ثم أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية عندهم مجموعة من الضوابط والشروط لقبول رواية الراوي ، والعمل بالرواية والاعتماد عليها ، فيشترطون أن يكون الراوي مسلماً عاقلاً بالغاً ضابطاً عادلاً أو ثقة ، فإن كان كذلك وكان إمامياً إثنا عشرياً وصف خبره بـ(الصحيح) وإن لم يكن إمامياً إثنى عشرياً وصف خبره بـ(الموثق) ، وأمّا إذا كان الراوي إمامياً إثنى عشرياً توفرت فيه جميع الشروط المذكورة عدا عدم وجود النص على عدالته ووثاقته وكان ممدوحاً بما يفيد صدقه يوصف خبره بـ(الحسن) ، وأمّا الخبر الذي لا تجتمع فيه الشروط المذكورة أو بعضها فهو (الضعيف) ، وعلى هذا فالشيعة يقبلون أخبار من ثبتت عندهم وثاقته من الرواة من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى ولا يقتصرون في قبول الأخبار على ما يرويه الإمامي الإثنا عشري فقط .

وأما اعتمادهم على الرواية وقبولهم لها وعملهم بها متوقف على ثبوت صحة سندها وعلى أن لا تكون مخالفة لكتاب الله المجيد أو قطعي العقل أو الثابت من الدين بالضرورة أو المتواتر وغيرها من الضوابط والقواعد والشروط التي يعتمدها الفقهاء في قبول الرواية والأخذ بها .

محاولة الجنيد الطعن في بعض رواة الشيعة

قال الجنيد : (أمّا اشتراطهم للراوي الثقة فعندهم فيه تناقض واضح مثال ذلك :

١ — زرارة بن أعين : نجد عبدالحسين في المراجعات يقول مدافعاً عن زرارة — وهو من أبرز الرّواة عن جعفر الصادق رضي الله عنه — : « لم نجد شيئاً مما نسب إليه الخصم وما ذاك منهم إلاّ البغي والعدوان » غير أن كتباً شيعية أخرى قالت عن زرارة على لسان جعفر نفسه « كذب عليّ زرارة لعن الله زرارة ، لعن الله زرارة » وقال : « إن مرض زرارة

فلا تعده ، وإن مات فلا تشهد جنازته ، زرارة شر من اليهود والنصارى » وقال : « إن الله قد نكس قلب زرارة ») [١] .

أقول : أولاً : لقد أوقفناك أيها القارئ المنصف على نماذج من الرواة الذين أخرج لهم البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وهم ممن ورد الجرح الشديد فيهم ، ومع ذلك لم يمنع ذلك البخاري ومسلم من إخراج حديثهم وقبول مروياتهم وتصحيحها ، ولم يمنع ذلك علماء أهل السنة الذين يقولون بصحة صحيحي البخاري ومسلم من القول بصحة رواية هؤلاء الضعفاء والمجروحين من الرواة ، وبذلك يتبين من هو الذي يقول بما لا يفعل في مسألة التوثيق فيشترط الثقة في الراوي ومن ثم لا يلتزم بها .

ثانياً : ما ذكره من روايات منسوبة إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام في جرح زرارة فكل ما ذكره لم يرد بسند صحيح قط .

فأمّا « كذب عليّ زرارة لعن الله زرارة ، لعن الله زرارة » فهو مروي في اختيار معرفة الرجال [٢] وفي سند الرواية إرسال لأن محمد بن أبي القاسم المعروف بماجيلويه لم يدرك زياد بن أبي الحلال على ما أثبته بعض المحققين [٣] .

وأمّا « إن مرض زرارة فلا تعده ... الخ » فهو أيضاً مروي في اختيار معرفة الرجال ، فهي رواية ضعيفة لمكان الإرسال في سندها لأن علي بن الحكم رواها عن بعض رجاله ولا يعرف من هو وما حاله من حيث الوثاقة وعدمها [٤] .

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٥-١٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٣٦١/١ برقم : ٢٣٤.

(٣) راجع كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي هامش صفحة ٤٦ من المجلد ٥.

(٤) اختيار معرفة الرجال ٣٨١/١ برقم : ٢٦٧.

وأمّا « إن الله نكس قلب زرارة » فمروي في اختيار معرفة الرجال ، وفي سند الرواية يوسف بن السخت ومحمد بن جمهور وهما ضعيفان [١] .

ثالثاً : لقد مدح الإمام الصادق عليه السلام زرارة وأثني عليه كثيراً فقد روى الكشي في رجاله — والرواية صحيحة — قال : (حدثني حمدويه بن نصير ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن جميل بن دراج قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول : بشر المخبتين بالجنة ، بريد بن معاوية العجلي ، وأبو بصير ليث بن البختري المرادي ومحمد بن مسلم ، وزرارة أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ، لولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوة واندرست) [٢] .

وأخرج الكشي أيضاً — والرواية موثقة — فقال : (حدثني حمدويه بن نصير قال : حدثني يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين بن الخطاب ، عن محمد بن ابي عمير ، عن إبراهيم بن عبدالحميد وغيره قالوا : قال أبو عبدالله عليه السلام : رحم الله زرارة بن أعين لو لا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي عليه السلام) [٣] .

وأخرج أيضاً : (حدثني الحسين بن الحسن بن بندار القمي قال : حدثنا علي بن سليمان بن داود الداري قال : حدثني محمد بن أبي عمير ، عن أبان بن عثمان ، عن أبي عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : زرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم وبريد من الذين قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٤] .

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٣٨١/١ برقم : ٢٦٨ .

(٢) نقد الرجال للتفريشي ٢٥٥/٢ .

(٣) معجم رجال الحديث ٢٢٤/٧ .

(٤) معجم رجال الحديث ٢٢٥/٧ .

وأخرج أيضاً – والرواية صحيحة –: (حدثني حمدويه قال : حدثني يعقوب بن يزيد عن أبن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد الأقطع قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي إلاّ زرارة وأبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي على حلال الله وحرامه وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة)[1] .

وروايات الذّم حملها العلماء على أنها واردة في مقام التقية والدفاع عن زرارة حتى لا تصل إليه يد الظلمة والطغاة في ذلك العصر التي كثيراً ما نالت من أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، بل ورد ما يؤكد ذلك في الخبر الصحيح الذي رواه الكشي في رجاله ٣٤٩/١ برقم : ٢٢١ قال : (حدثني حمدوية بن نصير قال : حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد قال : حدثني يونس بن عبد الرحمان عن عبد الله بن زرارة ، ومحمد بن قولوية ، والحسين بن الحسن قالا : حدثنا سعد بن عبد الله قال : حدثني هارون بن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن عبد الله بن زرارة ، وابنيه الحسن والحسين عن عبيد الله بن زرارة قال : قال لي أبوعبد الله عليه السلام إقرأ مني على والدك السلام وقل له : إني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لادخال الأذى في من نحبه ونقربه ويرمونه لمحبتنا وقربه ودنوه منا ويرون ادخال الأذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه نحن ، فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودتك لنا وبميلك إلينا ، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ، ويكون بذلك منا دافع شرهم عنك ...) .

---

(١) معجم رجال الحديث ٢٢٥/٧.

قال الجنيد : (هشام بن الحكم : قال عنه عبد الحسين الموسوي في المراجعات «رماه بالتجسيم من يريدون إطفاء نور الله من مشكاته حسداً لأهل البيت وعدواناً ونحن أعرف الناس بمذهبه » غير أننا نرى الكليني والصدوق والطبرسي يرويان (كذا) عنه ما يؤكد قوله بالتجسيم .

وهكذا نجد التناقض الواضح في رجال الرواية ، وللمزيد من ذلك انظر كتاب «رجال الشيعة في الميزان » للزرعي ط : دار الأرقم)[١] .

أقول : إن هشام بن الحكم من المتفق على وثاقته عند رجال الجرح والتعديل وفقهاء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ولا يوجد بينهم من خدش في وثاقته ، قال العلامة الحلي أثناء ترجمته له : (وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الأمر ورويت مدائح له جليلة عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام)[٢] .

فكونه ثقة صدوق كاف في الاعتداد بمروياته وقبولها ، وأهل السنة لا يرون بأساً في الرواية عن أهل البدع والأهواء ومن كان فاسد العقيدة إذا كان ثقة صدوقاً فكيف يعيب الجنيد على الشيعة الرواية عن هشام بن الحكم وهو الصدوق الثقة عندهم الذي لم يثبت عليه شيء مما نسب إليه .

أمّا نسبة التجسيم إليه وأنه كان يقول بالجسمية بالنسبة لله جلّ وعلا ، فهي فرية افتراها خصماؤه عليه وأكتفي في الرّد على ذلك برد الشريف المرتضى في كتابه الشافي حيث قال : (فأمّا ما رمي به هشام بن الحكم رحمه الله بالتجسيم ، فالظاهر من الحكاية عنه القول بجسم لا كالأجسام ، ولا خلاف في أن هذا القول ليس بتشبيه ولا ناقض لأصل ، ولا

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٦ .

(٢) رجال العلامة الحلي صفحة ١٧٨ .

معترض على فرع ، وأنه غلط في عبارة يرجع في إثباتها ونفيها إلى اللغة .

وأكثر أصحابنا يقولون إنه أورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة فقال لهم : إذا قلتم إن القديم تعالى شيء لاكالأشياء فقولوا إنه جسم لاكالأجسام .

وليس كل من عارض بشيء وسأل عنه يكون معتقداً له أو متديناً به ، وقد يجوز أن يكون قصد به إلى استخراج جوابهم عن هذه المسألة ، ومعرفة ما عندهم فيها ، أو إلى أن يبين قصورهم عن إيراد المرتضى في جوابها إلى غير ذلك مما لا يتسع ذكره .

فأما الحكاية عنه أنه قد ذهب في الله تعالى إلى أنه جسم له حقيقة الأجسام الحاضرة وحديث الأشبار المدعى عليه فليس نعرفه إلاّ من حكاية الجاحظ عن النظام ، وما فيها إلاّ متهم عليه غير موثوق بقوله في مثله .

وجملة الأمر أن المذاهب يجب أن تؤخذ من أفواه قائليها وأصحابهم المختصين بهم ومن هو مأمون في الحكاية عنهم ، ولا يرجع فيها إلى دعاوى الخصوم ، فإنه إن يرجع إلى ذلك في المذهب اتسع الخرق وجل الخطب ، ولم نثق بحكاية في مذهب ولا استناد مقالة ولو كان يذهب هشام إلى ما يدعونه من التجسيم وجب أن يعلم ذلك ويزول اللبس فيه ، كما يعلم قول الخوارزمي وأصحابه بذلك ، ولا نجد له دافعاً ، كما لا نجد لمقالة الخوارزمي دافعاً .

ومما يدل على براءة هشام من هذا القرف ورميه على هذا المعنى الذي يدعونه ما روي عن الصادق عليه السلام في قوله : (لا تزال يا هشام مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك) ، وقوله عليه السلام حين دخل عليه وعنده مشائخ الشيعة فرفعه على جماعتهم ، وأجلسه إلى جانبه في المجلس وهو إذ ذاك حديث السن : (هذا ناصرنا بقلبه ويده ولسانه) ، وقوله عليه السلام : (هشام بن الحكم رائد حقنا وسايق قولنا ، المؤيد لصدقنا والدافع لباطل أعدائنا ، من تبعه وتبع أمره تبعنا ومن خالفه وألحد فيه فقد عادانا وألحد فينا) .

وأنه عليه السلام : كان يرشد في باب النظر والحجاج ، ويحث الناس على لقائه ومناظرته ، فكيف يتوهم عاقل مع ما ذكرناه على هشام هذا القول بأن ربه سبعة أشبار بشبره ؟! .

وهل ادّعاء ذلك عليه رضوان الله عليه مع اختصاصه المعلوم بالصادق عليه السلام وقربه منه وأخذه عنه إلاّ قدح في أمر الصادق عليه السلام ونسبة له إلى المشاركة في الاعتقاد الذي نحلوه هشاماً ، وإلاّ كيف لم يظهر عنه من التنكير عنه ، والتبعيد له ما يستحقه المقدم على هذا الاعتقاد المنكر ، والمذهب الشنيع)[1] .

---

(١) الشافي في الإمامة ٨٣/١.

الفصل الثالث
الشيعة والتشيّع

قال الجنيد : (على أن الشيعة يفضّلون لفظ « الشيعة » - وهو لفظ دال على حالة طارئة وخاصة تعني التحيز والتحزب إلى فئة معينة - على لفظ « السنّة » الدال على منهج دائم بين المسلمين ويعني إتباع طريقة النبي الكريم (ص) ...) .

وقال تحت عنوان « تحقيق معنى لفظ الشيعي » : (إن لفظ الشيعة لفظ طارئ اتصف به بعد خلاف علي ومعاوية فريقان :

الفريق الأول : وهم شيعة علي .

والفريق الثاني : شيعة معاوية .

فكان لكل واحد شيعته وأنصاره ، وكان يجب انتهاء استخدام هذا اللفظ بانتهاء المسألة آنذاك ، إلاّ أن مصطلح الشيعة أصبح اليوم علامة على فرقة مستقلة في الاعتقاد والأصول والفقه والتصوّر عن أهل السنة ، بينما شيعة علي رضي الله عنه هم في الحقيقة أهل السنة ، فإنه ما من سني واعٍ إلاّ وهو يعتقد بجزمٍ أن الحق مع علي ، وأن معاوية ومن معه بغوا عليه وأن من قتلوا في صف علي شهداء إن شاء الله وأن من خالف هذا القول فهو مخالف لما تنبأ به رسول الله (ص) .

بينما شيعة اليوم يرجعون إلى شيعة الكوفة الذين شهدت كتب الشيعة بتمرّدهم على أمير المؤمنين علي (رض) حيث كان يخاطبهم قائلاً : « استنفرتكم للجهاد فلم

تنفروا ، واسمعتكم فلم تسمعوا ... لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم قاتلكم الله لقد شحنتم صدري غيظاً ... لوددت أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم ... اللهم إني مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني خيراً منهم ، وأبدلهم شراً مني »).

وقال تحت عنوان « تحقيق معنى لفظ السني » : (إن لفظ « السنة » كان ولا يزال علامة على التمسك بالسنة أكثر من كونه علامة على الانتساب التقليدي إلى طائفة خاصة ، إن السنة صفة لا يستحق الاتصاف بها إلاّ كل متمسك بسنة النبي (ص) مهتد بهديه .

ومن هنا فإن من بين المتسمين بالسنة أناس ربما كانوا لا يصلّون ولا يصومون ولا يطبقون من السنة شيئاً ، فهؤلاء ليسوا من السنة وليست منهم ، وإن كتب على شهادات ميلادهم « مسلم سني »)[1].

من هم الشيعة ؟

أقول : أولاً : إن لفظ « الشيعة » في لغة العرب يعني الأتباع والأنصار[2] فإذا قيل فلان من شيعة فلان يراد به أنه من أنصاره وأتباعه وأعوانه ، وصار خاصاً يطلق كما يقول الأزهري على من يهوون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم[3].

وقال الشهرستاني : (الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٦- ١٩.

(٢) لسان العرب ١٨٨/٨ ، مختار الصحاح ١٤٨/١.

(٣) لسان العرب ١٨٩/٨.

وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده)[١] .

وفي لسان العرب لابن منظور : (وقد غلب هذا الاسم –الشيعة – على من يتولى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار إسماً خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم)[٢] .

وقال محمد فريد وجدي : (والشيعة هم الذين شايعوا علياً في إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ويقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً إلاّ في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم)[٣] .

وقال ابن خلدون : (اعلم أن الشيعة لغة : الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه)[٤] .

إذاً فالشيعة هم أتباع علي عليه السلام وأنصاره والقائلون بأنه الإمام والخليفة على الأمة من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنص من الله عزّ وجل ورسوله عليه ، وأن الإمامة من بعده تكون في ولده ليس لغيرهم فيها حقّ ولا نصيب .

ويحدد الشيعة الإمامية الإثنا عشرية الأئمة من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإثني عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي الباقر ثم جعفر بن محمد الصادق ، ثم موسى بن جعفر الكاظم ، ثم علي بن موسى

---

(١) الملل والنحل صفحة ١٣٨ .

(٢) لسان العرب ١٨٩/٨ .

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ٤٢٤/٥ .

(٤) مقدمة ابن خلدون صفحة ١٩٦ .

الرضا ، ثم محمد بن علي الجواد ، ثم علي بن محمد الهادي ثم الحسن بن علي العسكري وآخرهم محمد بن الحسن وهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن يعمها الظلم والجور وينتشر فيها الفساد والبغي .

ثانياً : إن التشيّع لعلي عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ليس حالة طارئة ! كما يزعم الجنيد ، وإنما هو أصيل بأصالة الإسلام ، فالتشيع يعني الإسلام ، والإسلام يعني التشيع ، فالله عزّ وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم هما اللذان دعيا إلى مشايعة علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام من خلال فرض محبتهم ومودتهم على كل مسلم ، يقول الله عزّ وجل في كتابه الكريم : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [١] .

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني عن جابر قال : (جاء أعرابي إلى النبي (ص) فقال : يا محمد أعرض عليّ الإسلام ، فقال : تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله قال : تسألني عليه أجراً ؟ قال : لا إلاّ المودة في القربى ، قال : قرباي أو قرباك ؟ قال : قرباي قال : هات أبايعك فعلى من لا يحبك ولا يحب قرباك لعنة الله ، قال (ص) : آمين) [٢] .

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس قال : (قال رسول الله (ص) : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله وأحبّوا أهل بيتي لحبي) [٣] .

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير ٤٤٤/١١ برقم : ١٢٢٥٩ بسنده عن ابن عباس قال : لما نزلت : (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وإبناهما .

(٢) حلية الأولياء ٢٠١/٣ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ١٦٢/٣ برقم : ٤٧١٦ .

قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً أخرجها الطبراني في المعجم الكبير أن رسول الله ﷺ قال : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين كسبه ، وعن حبنا أهل البيت)[١] .

ولا أطيل في ذكر الشواهد على لزوم ووجوب محبة أهل بيت النبي ﷺ فذلك مما لا يمكن لمسلم إنكاره بعد فرضه في كتاب الله عزّ وجل وتضافر الروايات عن النبي ﷺ في ذلك .

كما أن النبي ﷺ دعا إلى مشايعة علي عليه السلام وأهل بيته من خلال دعوته إلى لزوم نصرتهم وإيجاب إمامتهم وولايتهم على الأمة وأخذ معارف الشريعة وأحكامها وتعاليمها منهم ، والحث على السير على منهاجهم والتمسك بالقرآن الكريم وبهم ، وستأتي إن شاء الله عزّ وجل العديد من الأدلة والشواهد لإثبات هذه الحقيقة .

وقد دعا النبي ﷺ إلى مشايعة علي عليه السلام وأهل بيته من خلال ما بينه ﷺ من أجر وثواب جزيل ومنازل عالية رفيعة يوم القيامة لمن شايعهم ووالاهم .

فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام : (أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم وإن عدوك يردون عليّ ظماء مقمحين)[٢] .

وفي الدر المنثور للسيوطي قال : (وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال : لما نزلت

---

(١) المعجم الكبير ١٠٢/١١ حديث رقم : ١١١٧٧ .

(٢) المعجم الكبير ٣١٩/١ حديث رقم : ٩٤٧ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ قال رسول الله (ص) : هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين)[١] .

وفي الدر المنثور قال السيوطي أيضاً : (وأخرج ابن مردوية عن علي قال : قال لي رسول الله (ص) : ألم تسمع قول الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين)[٢] .

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : (كنا عند النبي (ص) فأقبل علي بن أبي طالب فقال النبي (ص) : قد أتاكم أخي ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال : والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ثم قال : إنه أولكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية ، وأقسمكم بالسوية ، وأعظمكم عند الله مزية ، قال ونزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ قال : فكان أصحاب محمد (ص) إذا أقبل علي قالوا قد جاء خير البرية)[٣] .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلي : (إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرياتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا)[٤] .

---

(١) الدر المنثور ٥٨٩/٨ .

(٢) الدر المنثور ٥٨٩/٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٧١/٤٢ .

(٤) المعجم الكبير ٤١/٣ حديث رقم : ٢٦٢٤ .

وأخرج ابن عساكر عن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها فهل يخرج من الطيب إلاّ الطيب، وأنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أرادها فليأت الباب)[١].

فتبين أن لفظ الشيعة ليس لفظاً مستحدثاً في الشريعة، بل هو مما أتت به الشريعة وأطلقه نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم على شيعة علي وأهل بيته عليهم السلام.

إن الجنيد حين يدعو الشيعة إلى التخلي عن إطلاق هذا اللفظ عليهم إنما يدعوهم إلى ترك إسم أطلقه عليهم نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا مما لن يرضى به الشيعة.

ثالثاً: إن الجنيد يزعم أن من يتسمون بأهل السنة هم شيعة علي وأهل بيته، ولنا أن نسأله ما هي حقيقة تشيّع أهل السنة لهم ؟.

هل قالوا بإمامتهم وفرض طاعتهم وولايتهم كما أوجبها الله ورسوله عليهم ؟.

هل اتبعوا ونهجوا نهجهم وتمسكوا بهم كما أمرهم رسول الله ؟.

هل أخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم ؟.

هل عادوا أعداءهم ووالوا أولياءهم ؟.

إننا نرى أنهم قد قدّموا غيرهم، وصححوا إمامة من لم يفرض الله عزّ وجل ورسوله إمامته على إمامتهم المفروضة، ولم يتبعوهم في شيء ولم يتمسكوا بهم في أصل ولا فرع إلاّ اللهم النادر القليل، فهذه صحاحهم وكتب السنن لديهم تخلو من الأخبار الواردة من طريق أهل البيت عليهم السلام إلاّ اليسير وأكثره بعيد عن العقيدة والفقه.

أليس الصادق جعفر بن محمد عليه السلام من أئمة أهل البيت عليهم السلام ممن عرف بالورع والتقوى والعلم فلم يكن في زمانه من هو أتقى وأورع وأعلم منه ؟.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٨٣/٤٢.

ليسمع الجنيد ويقرأ إن لم يكن سمع وقرأ ذلك وليسمعه كل منصف ماذا قال بعض كبار علماء أهل السنة عنه ، فهذا ابن المديني يقول : (سئل يحيى بن سعيد القطان عن جعفر الصادق فقال : في نفسي منه شيء ومجالد أحب إلي منه) [١] ، ومجالد هذا الذي جعله ابن القطان أحب إليه من الإمام الصادق عليه السلام كان هو يضعفه ويقول : (ليس بشيء) وكذلك قال عنه أحمد بن حنبل وقال عنه يحيى بن معين : (لا يحتج بحديثه) وقال مرة : (ضعيف واهي الحديث) وقال أبو حاتم : (لا يحتج بحديثه) [٢] .

وسئل أبو بكر بن عياش فقيل له : (مالك لم تسمع من جعفر بن محمد وقد أدركته؟ فقال : سألناه عن ما يحدث به من الأحاديث أشيئاً سمعته ؟ قال : لا ، ولكنها رواية رويناها عن آبائنا) [٣] .

إذاً علة ترك ابن عياش الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام هي أنه روى الأحاديث عن آبائه ، فهل كان آباؤه غير ثقاة حتى يمتنع ابن عياش عن الرواية عنه ؟ . أم أنّ ثمة علة أخرى وهي أن روايات جعفر الصادق عليه السلام التي يرويها عن آبائه الكرام عليهم السلام لا تتماشى مع الكثير مما عليه القوم في العقيدة والفروع وغير ذلك ، فبمثل هذه الحجج الواهية الواهنة يتذرعون لرد المرويات ، ومن ذلك يُعلم أيضاً لماذا لم يرووا عن الكثيرين من أصحاب الأئمة عليهم السلام واتهموهم زوراً وبهتاناً بأنهم كانوا يكذبون عليهم .

وقال ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى : (كان –الإمام الصادق – كثير الحديث ولا يحتج به ويستضعف ، سئل مرة هذه الأحاديث عن أبيك فقال : نعم ، وسئل مرة

(١) الكامل في الضعفاء لابن عدي ١٣١/٢ ، من تكلم فيه ٦٠/١ ، تهذيب الكمال ٧٦/٥.

(٢) أنظر ترجمته في تهذيب الكمال للمزي ٣٥/٧ رقم الترجمة ٦٣٧٢.

(٣) الكامل في الضعفاء ١٣١/٢ ، تهذيب التهذيب ٨٨/٢، تهذيب الكمال ٧٧/٥.

فقال : إني وجدتها في كتبه) [1] وهذا من تعصب ابن سعد ضد الإمام الصادق عليه السلام فما ذكره ليس سبباً موجباً لجرحه والحكم عليه بالضعف وعدم الإحتجاج بحديثه ، وقد علّق ابن حجر على كلام ابن سعد قائلاً : (قلت : يحتمل ان يكون السؤالان وقعا عن أحاديث مختلفة فذكر فيما سمعه أنه سمعه وفيما لم يسمعه أنه وجده ، وهذا يدل على تثبته) .

وليس في صحيح البخاري لجعفر بن محمد الصادق عليه السلام رواية واحدة ، بل لم يرو البخاري ومسلم للإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

إن ابن تيمية الحراني الذي يسميه الجنيد شيخ الإسلام ! يعترف في كتابه منهاج السنة أن أئمة المذاهب السنية الأربعة (المالكي والحنفي والحنبلي والشافعي) لا يرجعون في فقههم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا نص قوله : (فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إليه في فقهه) [2] .

فبماذا اتبع أهل السنة أهل البيت عليهم السلام ؟ .

إن أهل السنة لم يعترفوا بعلي عليه السلام خليفة إلاّ بعد وقت متأخر ، يشهد لذلك ما رواه أبو القاسم هبة الله اللالكائي في كتابه (اعتقاد أهل السنة) بسنده عن وزيره بن محمد قال : (دخلت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل حين أظهر التربيع بعلي فقلت : يا أبا عبد الله إن هذه اللفظة توجب الطعن على طلحة والزبير ، فقال لي بين ما قلت وما نحن وحرب القوم نذكرها ، فقلت : أصلحك الله فإنما ذكرناها حين ربعت وأوجبت له الخلافة وما يجب للأئمة قبله ، قال : وما يمنعني من ذلك ؟ قال : قلت حديث ابن عمر ،

---

(١) تهذيب التهذيب ٨٨/٢.

(٢) منهاج السنّة ٥٢٩/٧.

فقال لي عمر حين طعن قد رضي علياً للخلافة على المسلمين وأدخله في الشورى وعلي بن أبي طالب قد سمى نفسه أمير المؤمنين ، فأقول أنا ليس للمؤمنين بأمير فانصرف عنه) [١] .

إضافة إلى ذلك فقد والوا أعداءه وترضوا عنهم فها هم يترضون عن جميع الصحابة ويدافعون عنهم وفيهم من سبّه وقاتله وكان يبغضه بشهادة ابن تيمية الحراني ، يقول في كتابه منهاج السنة : (ولم يكن كذلك علي فإن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه) [٢] .

أليس مبغض علي منافقاً بصريح نص النبي ﷺ الصحيح لعلي : (لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق) ؟ [٣] .

أليس السّاب لعلي عليه السلام كالسّاب لرسول الله ﷺ بنص قوله ﷺ : (من سبّ علياً فقد سبّني) ؟ [٤] .

ألم يرو أهل السنة أن النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام : (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم) ؟ [٥] .

فلماذا إذاً يترضون عن المنافقين والسّابين لرسول الله والمحاربين له ؟ .

إن سبّ معاوية بن أبي سفيان لعلي أشهر من نار على علم وأوضح من وضوح

---

(١) اعتقاد أهل السنة ١٣٩٢/٨ برقم : ٢٦٧٠ .

(٢) منهاج السنة ١٣٦/٧-١٣٧ .

(٣) سنن الترمذي ٦٤٣/٥ برقم : ٣٧٣٦ وقال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح) .

(٤) المستدرك على الصحيحين ١٣٠/٣ برقم : ٤٦١٥ ، وقال الحاكم النيسابوري : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

(٥) مسند أحمد ٤٤٢/٢ برقم : ٩٦٩٦ .

الشمس في رابعة النهار .

فقد روى ابن ماجه في سننه بسنده عن عبدالرحمن بن سابط عن سعد ابن أبي وقاص قال : (قدم معاوية في بعض حجاته ! فدخل عليه سعد ، فذكروا علياً فنال منه ! فغضب سعد ، وقال : تقول هذا لرجل سمعت رسول الله (ص) يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وسمعته يقول : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي » وسمعته يقول : « لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ») وهذا حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه [1] .

وأمره المسلمين بسبّه عليه السلام وقتاله له ، وقتله الإمام الحسن عليه السلام وكيده للإمام الحسين عليه السلام كل ذلك معلوم ومشهور ، ومع كل ذلك يترضون عنه ، ويؤلفون الكتب في الدفاع عنه ويختلقون له الفضائل والمناقب ويطلقون عليه لقب أمير المؤمنين ! .

أليس هذا عمل من يوالي أعداء عترة النبي صلى الله عليه وعليهم أجمعين ؟ .

إذاً كيف يكون أهل السنة هم شيعة أهل البيت عليهم السلام ؟ .

❊ ❊ ❊

---

(١) سنن ابن ماجه ٤٥/١.

الفصل الرابع
زيارة القبـــور

قال الجنيد تحت عنوان « شدّ الرحال إلى قبور ومزارات الأئمة » : (وأهل السنة قد حفظوا وصية النبي (ص) الذي قال : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد : ألا لا تتخذوا قبور أنبيائكم مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » فأخذوا بوصيته حذراً من مشابهة اليهود والنصارى ومن الوقوع في مغبات الشرك)[1].

أقول : يهتم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية بزيارة القبور والصلاة والدعاء عندها خصوصاً قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام ، باعتبار أن ذلك من تمام الوفاء بعهودهم عليهم السلام ، وموجب لشفاعتهم لزائرهم ، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال : (إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديق ما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة)[2] ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من زارني حياً وميتاً ، كنت له شفيعاً يوم القيامة)[3] ، ولأن مواقع تلك القبور مواطن لاستجابة الدعاء

---

(١) حوار هادئ صفحة ٢٢.

(٢) الكافي ٥٦٧/٤.

(٣) قرب الإسناد صفحة ٦٥

والارتباط بالله عزّ وجل والإنقطاع إليه ، إضافة إلى الفوائد الكثيرة الأخرى .

ولا يخالف الشيعة في استحباب زيارة القبور أو جوازها غيرهم من المسلمين بل المسلمون جميعهم متفقون على ذلك إلاّ من شذّ منهم ، فهذا نبي الإسلام ﷺ يرخّص للمسلمين زيارتها ويحثهم على ذلك من خلال بيانه لما في زيارتها من ثمار وآثار جليلة وفوائد جمّة ففي الرواية عن بريدة أنه ﷺ قال : (... نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ...) [(١)] .

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : (... وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة) [(٢)] .

وعن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ قال : (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة) [(٣)] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها

---

(١) صحيح مسلم ٦٧٢/٢ حديث رقم : ٩٧٧ و١٥٦٣/٣ حديث رقم : ١٩٧٧ ، صحيح ابن حبّان ٤٣٩/٧ حديث رقم : ٣١٦٨ و٢١٣/١٢ حديث رقم : ٥٣٩١ و٢٢١/١٢ حديث رقم : ٥٤٠٠ ، المستدرك على الصحيحين وفيه زيادة : (وليزدكم زيارتها خيراً) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه سنن أبي داود ٢١٨/٣ حديث رقم : ٣٢٣٥ و٣٣٢/٣ حديث رقم : ٣٦٩٨ ، الجامع الصحيح للترمذي ٣٧٠/٣ حديث رقم : ١٠٥٤ وقال : (وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة) ثم قال : (قال ابو عيسى : حديث بريدة حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور بأساً وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق) ، السنن الكبرى للنسائي ٦٥٣/١ حديث رقم : ٢١٥٩ و٦٥٤/١ حديث رقم : ٢١٦٠ و٦٩/٣ حديث رقم : ٤٥١٨ و٢٢٥/٣ حديث رقم : ٥١٦٢ ، سنن البيهقي الكبرى ٧٦/٤ حديث رقم : ٦٩٨٥ و٣١١/٨ حديث رقم : ١٧٢٦٣ .

(٢) صحيح ابن حبّان ٢٦١/٣ برقم : ٩٨١ ، سنن ابن ماجه ٥٠١/١ برقم : ١٥٧١ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣٠٥/١ رقم ١٣٨٦ ، سنن البيهقي ٧٧/٤ ، مسند أحمد ٣٨/٣ .

فإنها تذكركم الموت [١]، وفي رواية أخرى أخرجها الحاكم أيضاً أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (... كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنه يرق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً) [٢]، وفي رواية أخرى للحاكم أيضاً عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء أن يزور قبراً فليزره، فإنه يرق القلب ويدمع العين ويذكر الآخرة) [٣].

وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: (إن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبدالرحمن ابن أبي بكر، فقلت لها: أليس كان رسول الله (ص) نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها)[٤].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: (... اني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ...) [٥].

ولو أردنا أن نستقصي الروايات الواردة في مصنفات القوم والدّالة على جواز زيارة القبور بل واستحبابها لاحتجنا أن نسوّد الكثير من الصفحات، وفيما ذكرناه كفاية.

فثبت من ذلك أن زيارة القبور ليس بها بأس ولا إثم أو حرمة على زائرها، وإذا كان المسلم يجني مثل هذه الثمار التي ذكرتها الروايات بزيارته لقبر الإنسان العادي فلاشك

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٥٣١/١ حديث رقم: ٣٨٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٥٣٢/١ حديث رقم: ١٣٩٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٥٣٢/١ برقم ١٣٩٤، وأنظر سنن البيهقي ٧٧/٤ برقم ٦٩٩٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٥٣٢/١ رقم ٣٩٢، سنن البيهقي الكبرى ٧٨/٤ رقم: ٦٩٩٩.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ١٤٥/١ حديث رقم: ١٢٣٥.

أن الفوائد التي يجنيها من زيارته لقبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون أكبر وأكثر فيتأكد حينها إستحباب زيارة قبورهم ، وعليه فإن من ينتقد الشيعة أو غيرهم من المسلمين زيارتهم للقبور إنما يرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينتقد نبي الإسلام لأنه هو الذي وجّه المسلمين وأرشدهم إلى ذلك وحثّهم عليه

ثم إن الروايات التي أوردناها سابقاً ليست خاصة بزيارة القبور القريبة في القرية أو البلد التي يسكنها المسلم أو المدينة التي يقطنها ، وعليه فلا مانع من شدّ الرحال لزيارة قبر قريب أو نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء في أي مكان من بقاع الأرض ، وما تمسّك به ابن تيمية وأتباعه كدليل على المنع من ذلك وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى)[1] لا يصلح دليلاً وينبئ عن قلة فهم عندهم أو عناد ، فالحديث لا علاقة له بحرمة السفر لزيارة قبر نبي أو وصي أو ولي أو قريب من الناس ، وإنما المنهي عنه هو شدّ الرّحال للصلاة والعبادة في مسجد من المساجد غير المساجد الثلاثة والنهي الوارد هو نهي كراهة وليس نهي حرمة ، ولمزيد من التوضيح للحديث نقول :

---

(١) أقول : لا زال أتباع ابن تيمية الحراني إلى يومنا هذا يستندون إلى هذا الحديث في حرمة السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو غيره مع ما قام به بعض العلماء من الفريقين سنة وشيعة قديماً وحديثاً من توضيح وبيان لمعنى هذا الحديث وأثبتوا أنه لا يدل أبداً وبتاتاً على حرمة السفر إلى زيارة القبور ، فهذا الشيخ ابن جبرين وهو أحد علماء المذهب الوهابي يوجه إليه سؤال يقول : (ما حكم شد الرّحال إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟) .
فكان جوابه : (لا يجوز ، وإنّما تشد الرّحال إلى المسجد النبوي ، ثم يزور القبر من قريب بعد وصوله إلى المدينة ، يقول صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تشد الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) والله أعلم ، هذه الفتوى تجدونها في قسم الفتاوى بموقع الشيخ المذكور على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» .

أولاً : إن المستثني منه في الحديث لا يخلو إمّا أن يكون « المسجد » أو « المكـان » فإن كان الأول فتكون صورة الحديث : (لا تشد الرّحال إلى مسجد إلاّ إلى ثلاثة مساجد ... الخ) وعلى هذه الصورة يكون المنهي عنه – هذا على فرض أن النهي هنا نهي حرمة ، وهو ليس كذلك طبعاً – هو شد الرّحال إلى مسجد من المساجد غير المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث ، فليس فيه نهي عن شد الرّحال إلى أي مكان من الأمكنة إذا لم يكن المقصود مسجداً ، وعليه فلا دلالة في الحديث – على هذا الوجه – على عدم جواز شد الرّحال لزيارة القبور .

وعلى الثاني تكون صورة الحديث : (لا تشد الرّحال إلى مكان إلاّ إلى ثلاثة مساجد ... الخ) وتفسير الحديث على هذه الصورة يلزم منه كون جميع أفراد السفر محرّمة وغير جائزة سواء كان لزيارة مسجد أو غيره من البقاع أو الأمكنة ، وهذا لا يأخذ به أحد ولا يلتزم بهذا القول واحد من الفقهاء فهذه الصورة لا يمكن الأخذ بها .

ثانياً : إن النهي عن شد الرّحال إلى أي مسجد سوى المساجد الثلاثة – هذا على فرض صحة صدور مثل هذا القول من النبي ﷺ - (لا يعني أنّ شد الرحال إلى المساجد الأخرى حرام ، بل معناه أن المساجد الأخرى لا تستحق شدّ الرحال إليها ، وتحمّل مشاق السفر من أجل زيارتها ، لأن المساجد الأخرى لا تختلف – من حيث الفضيلة – مع الآخر اختلافاً كبيراً [1] فالمسجد – سواء كان في المدينة أو في القرية أو في المنطقة – لا يختلف مع الآخر اختلافاً كثيراً وعليه فلا داعي إلى أن يشدّ الإنسان الرحال إليه ، أمّا إذا شدّ الرحال إليه فليس عمله هذا حراماً ولا مخالفاً للسنة الشريفة .

---

(١) إلاّ مسجد الكوفة وحائر الحسين عليه السلام فقد ورد في فضلهما أحاديث كثيرة ولا يخفى أن المساجد الأخرى تختلف في الفضيلة - كمسجد السوق والقبيلة – إلاّ أن الاختلاف ليس كبيراً .

ويدل عليه ما رواه أصحاب الصحاح والسنن : « كان رسول الله (ص) يأتي مسجد قبا راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين »)[١] .

يقول (مجد الدين الفيروز آبادي) صاحب كتاب (القاموس المحيط) المتوفى سنة (٨١٧ هـ) يقول في كتابه (الصلات والبشر) : (أما حديث لا تشد الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد فلا دلالة فيه على النهي عن الزيارة بل هو حجة في ذلك ، ومن جعله دليلاً على حرمة الزّيارة فقد أعظم الجرأة على الله ورسوله ، وفيه برهان قاطع على غباوة قائله وقصوره عن نيل درجة كيفية الاستنباط والاستدلال)[٢] .

ولقد ضلل العديد من علماء أهل السنّة ابن تيمية الحراني عندما استند إلى هذا الحديث وأفتى بحرمة شد الرّحال لزيارة قبر النبي ﷺ قال الشيخ ابن حجر الهيثمي في مبحث سنّ زيارة قبر الرسول ﷺ ما نصّه : (ولا يغترّ بإنكار ابن تيمية لسنّ زيارته ﷺ فإنه عبدٌ أضلّه الله كما قال العزّ بن جماعة ، وأطال في الرّد عليه التقي السبكي في تصنيف مستقل ، ووقوعه في حق رسول الله ﷺ ليس بعجيب فإنه وقع في حق الله ، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ، فنسب إليه العظائم ، كقوله : إن لله تعالى جهة ويداً ورجلاً وعيناً وغير ذلك من القبائح الشنيعة ، ولقد كفّره كثير من العلماء عامله الله بعدله ، وخذل متّبعيه الذين نصروا ما افتراه على الشريعة الغراء)[٣] .

أقوال علماء أهل السنة في استحباب زيارة القبور

وأمّا أقوال وكلمات الأعلام من علماء أهل السنة حول زيارة القبور فإليك جملة

---

(١) الوهابية في الميزان ١٥١-١٥٢ .

(٢) الصلات والبشر صفحة ١٢٧ .

(٣) المقالات السنية صفحة ٩٩ ، نقلاً عن حاشية ابن حجر على شرح الإيضاح .

منها : -

١ – قال أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي في كتابه الكافي في فقه ابن حنبل: (ويستحب للرجال زيارة القبور لأن النبي (ص) قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الموت ، رواه مسلم وإذا مر بها أو زارها قال ماروى مسلم قال : كان رسول الله (ص) يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وفي حديث آخر : ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وفي حديث آخر : اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، وإن زاد اللهم اغفر لنا ولهم حسناً ، وأما النساء ففي كراهية زيارة القبور لهن روايتان إحداهما لا يكره لعموم ما رويناه ولأن عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها عبدالرحمن ، والثانية يكره لأن النبي (ص) قال : لعن الله زوارات القبور وهذا حديث صحيح فلما زال التحريم بالنسخ بقيت الكراهية ولأن المرأة قليلة الصبر فلا يؤمن تهييج حزنها برؤية قبورالأحبة فيحملها على فعل ما لايحل لها فعله بخلاف الرجل) [١].

وقال في كتابه المغني : (لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في إباحة زيارة الرجل القبور ، وقال علي بن سعيد : سألت أحمد عن زيارة القبور تركها أفضل عندك أو زيارتها ؟ قال: زيارتها وقد صح عن النبي (ص) أنه قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الموت ، رواه مسلم والترمذي بلفظ فإنها تذكر الآخرة) [٢].

وقال : (وإذا مر بالقبور أو زارها استحب أن يقول ما روي عن مسلم عن بريدة قال :

---

(١) الكافي في فقه ابن حنبل ٢٧٤/١-٢٧٥.

(٢) المغني ٢٢٣/٢.

كان رسول الله (ص) يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية .

وفي حديث عائشة ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين .

وفي حديث آخر : اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، وإن زاد قال اللهم اغفر لنا ولهم كان حسنا) .

٢ – قال مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه دليل الطالب : (وتسن زيارة القبور للرجال وتكره للنساء وإن اجتازت المرأة بقبر في طريقها فسلمت عليه ودعت له فحسن وسن لمن زار القبور أو مر بها أن يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسال الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم)[1] .

٣ – وقال أبو النجا موسى بن أحمد المقدسي الحنبلي في كتابه زاد المستنفع : (تسن زيارة القبور إلاّ للنساء ويقول إذا زارها السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم)[2] .

٤ – وقال محمد الشربيني الخطيب في كتابه الإقناع : (ويندب زيارة القبور التي فيها المسلمون للرجال بالإجماع ، وكانت زيارتها منهياً عنها ثم نسخت بقوله (ص) : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ويكره زيارتها للنساء لأنها مظنة بكائهن ورفع

(١) دليل الطالب ٦٣/١ .

(٢) زاد المستنفع صفحة ٦٩ .

أصواتهن ، نعم يندب لهن زيارة قبر رسول الله (ص) فإنها من أعظم القربات وينبغي أن يلحق بذلك بقية الأنبياء والصالحين والشهداء ، ويندب أن يسلم الزائر لقبور المسلمين مستقبلاً وجه الميت قائلاً ما علمه (ص) إذا خرجوا للمقابر السلام على أهل الدار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لي ولكم العافية ، أو السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون رواهما مسلم ويقرأ عندهم ما تيسر من القرآن الكريم فإن الرحمة تنزل في محل القراءة والميت كحاضر ترجى له الرحمة ويدعو له عقب القراءة لأن الدعاء ينفع الميت وهو عقب القراءة أقرب إلى الإجابة وأن يقرب زائره منه كقربه منه في زيارته حياً احتراماً له ، قال النووي : ويستحب الإكثار من الزيارة وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل)[1] .

وقال في مغني المحتاج : (ويندب زيارة القبور التي فيها المسلمون للرجال بالإجماع وكانت زيارتها منهياً عنها ثم نسخت لقوله (ص) : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تدخل النساء في ضمير الرجال على المختار ، وكان (ص) يخرج إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا بكم إن شاء الله لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، وروي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت ، وإنما نهاهم أولاً لقرب عهدهم بالجاهلية فلما استقرت قواعد الإسلام واشتهرت أمرهم بها .

وذكر القاضي أبو الطيب في تعليقه ما حاصله أنه من كان يستحب له زيارته في حياته من قريب أو صاحب فيسن له زيارته في الموت كما في حال الحياة ، وأما غيرهم فيسن له زيارته إن قصد بها تذكر الموت أو الترحم عليه ونحو ذلك .

قال الإسنوي : وهو حسن وذكر في البحر نحوه .

---

(١) الإقناع ٢٠٨/١.

قال الأذرعي : والأشبه أن موضع الندب إذا لم يكن في ذلك سفر لزيارة القبور فقط بل في كلام الشيخ أبي محمد أنه لا يجوز السفر لذلك واستثني قبر نبينا (ص) ولعل مراده أنه لا يجوز جوازاً مستوي الطرفين أي فيكره .

ويسن الوضوء لزيارة القبور كما قاله القاضي الحسين في شرح الفروع ، أمّا قبور الكفار فزيارتها مباحة وإن جزم الماوردي بحرمتها .

وتكره زيارتها للنساء لأنها مظنة لطلب بكائهن ورفع أصواتهن لما فيهن من رقة القلب وكثرة الجزع وقلة احتمال المصائب وإنما لم تحرم لأنه (ص) مر بامرأة على قبر تبكي على صبي لها فقال لها : اتقي الله واصبري ، متفق عليه ، فلو كانت الزيارة حراماً لنهى عنها .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كيف أقول يا رسول الله ؟ - يعني إذا زارت القبور - قال : قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، رواه مسلم .

وقيل تحرم لما روى ابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي (ص) لعن زوارات القبور وليس هذا الوجه في الروضة وبه قال صاحب المهذب وغيره .

وقيل تباح جزم به في الإحياء وصححه الروياني إذا أمن الافتتان عملاً بالأصل والخبر فيما إذا ترتب عليها بكاء ونحو ذلك .

ومحل هذه الأقوال في غير زيارة قبر سيد المرسلين أما زيارته فمن أعظم القربات للرجال والنساء وألحق الدمنهوري به قبور بقية الأنبياء والصالحين والشهداء وهذا ظاهر وإن قال الأذرعي لم أره للمتقدمين .

قال ابن شهبة : فإن صح ذلك فينبغي أن يكون زيارة قبر أبويها وإخوتها وسائر أقاربها كذلك فإنهم أولى بالصلة من الصالحين .

والأولى عدم إلحاقهم بهم لما تقدم من تعليل الكراهة ... الخ) [1] .

٥ – قال العلامة محمد الزهري في السراج الوهاج : (ويندب زيارة القبور للرجال وتكره للنساء وقيل تحرم وقيل تباح ، وجزم به في الإحياء ومحل تلك الأقوال في غير زيارة قبور الأنبياء وأهل الصلاح وإلاّ فزيارتهم سنة للنساء أيضاً ويسلم الزائر للقبور ندباً ويقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو للميت عقب القراءة ويستقبل عنده القبلة) [2] .

٦ – وقال إبراهيم بن علي الفيروز آبادي الشيرازي في كتابه التنبيه : (ويستحب للرجال زيارة القبور ويقول إذا زار سلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم) [3] .

٧ – وقال النووي في روضة الطالبين : (يستحب للرجال زيارة القبور وهل يكره للنساء وجهان أحدهما – وبه قطع الأكثرون – يكره ، والثاني وهو الأصح عند الروياني لا يكره إذا أمنت من الفتنة ، والسنة أن يقول الزائر سلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، وينبغي للزائر أن يدنو من القبر بقدر ما كان يدنو من صاحبه في الحياة لو زاره .

وسئل القاضي أبوالطيب عن قراءة القرآن في المقابر فقال الثواب للقارئ ويكون الميت كالحاضر ترجى له الرحمة والبركة ، فيستحب قراءة القرآن في المقابر لهذا

---

(١) مغني المحتاج ٣٦٥/١.

(٢) السراج الوهاج صفحة ١١٥ .

(٣) التنبيه صفحة ٥٢ .

المعنى ، وأيضاً فالدعاء عقيب القراءة أقرب إلى الإجابة والدعاء ينفع الميت) [١] .

٨ — وقال محمد بن عمر الجاوي في نهاية الزين : (ويسن زيارة القبور وورد أن من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر الله له وكان باراً لوالديه ، وفي رواية من زار قبر والديه في جمعة أو أحدهما فقرأ عنده يس والقرآن الحكيم غفر الله بعدد ذلك آية وحرفاً ، وفي رواية من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة كان كحجة) [٢] .

٩ — وقال أبوالإخلاص حسن الوفائي الشرنبلالي في كتابه نور الإيضاح : (فصل في زيارة القبور : ندب زيارتها للرجال والنساء على الأصح ويستحب قراءة يس لما ورد أنه من دخل المقابر فقرأ يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد ما فيها حسنات) [٣] .

١٠ — وقال علاء الدين الكاساني في بدائع الصنائع : (ولا بأس بزيارة القبور والدعاء للأموات إن كانوا مؤمنين من غير وطء القبور لقول النبي(ص) إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ، ولعمل الأمة من لدن رسول الله (ص) إلى يومنا هذا) [٤] .

١١ — وقال أبو البركات في الشرح الكبير : (وجاز زيارة القبور بل هي مندوبة بلا حد بيوم أو وقت أو في مقدار ما يمكث عندها أو فيما يدعى به أو الجميع ، وينبغي مزيد الاعتبار حال الزيادة والاشتغال بالدعاء والتضرع ...) [٥] .

---

(١) روضة الطالبين ١٣٩/٢

(٢) نهاية الزين صفحة ١٦٤ .

(٣) نور الإيضاح صفحة ٩٨ .

(٤) بدائع الصنائع ٣٢٠/١ .

(٥) الشرح الكبير ٤٢٢/١ .

١٢ – وقال منصور البهوتي في الروض المربع : (تسنّ زيارة القبور وحكاه النووي إجماعاً لقوله (ص) : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، رواه مسلم والترمذي وزاد فإنها تذكركم الآخرة)[١] .

الصلاة والدعاء عند القبر

وأمّا الصلاة والدعاء عند القبور فلا شك في جوازهما حيث لا يوجد دليل يمكن الاعتماد عليه والركون إليه في المنع من ذلك فما دلّ على جواز الصلاة والدعاء في كل مكان هو دليل جوازهما ، وما يستند إليه الوهابيون من قول منسوب إلى النبي ﷺ : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ... الخ) فهو مروي من طرق أهل السنة ولم تثبت صحة نسبة هذا القول إلى رسول الله ﷺ عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، وعليه لا يمكن الاحتجاج به عليهم ، إن الجنيد يريد أن يحتج على الشيعة ويلزمهم بما لم يثبت عندهم وهذا مخالف لآداب الاحتجاج والمناظرة ، وعلى فرض صحة صدور هذا القول منه ﷺ فإنه لا يدل على ما ذهبوا إليه أعني لا يدل على حرمة وعدم جواز الصلاة أو الدعاء عند القبر أو في مكان يوجد فيه قبر ، فاللعن الذي استحقه اليهود والنصارى لا لكونهم يصلّون عند قبور أنبيائهم وصلحائهم وإنما لأنهم كانوا يعبدونهم ويسجدون لقبورهم وبلا شك أن هذا مخالف للشريعة المقدّسة .

إن استدلالهم بهذا القول المنسوب له ﷺ يرده فعل عائشة التي قضت ما يقرب من خمسين عاماً من عمرها بالصلاة في البيت الذي دفن فيه رسول الله ﷺ .

وقد رووا بسند صحيح أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر عمّها حمزة كل جمعة

---

(١) الروض المربع ٣٥٥/١.

فتصلّي وتبكي عنده ، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين [١] فقال : (حدثنا أبو حميد أحمد بن محمد بن حامد العدل بالطابران ، حدثنا تميم بن محمد حدثنا أبو مصعب الزهري ، حدثني محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، أخبرني سليمان بن داود ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، أن فاطمة بنت النبي (ص) كانت تزور قبر عمّها حمزة كل جمعة فتصلّي وتبكي عنده) [٢] .

فهل الوهابيون أدرى بشريعة النبي ﷺ وحلالها وحرامها من ابنته الصديقة الزهراء عليها صلوات الله وسلامه ؟! .

إضافة إلى ذلك ففي القرآن الكريم ما يثبت بطلان ما زعموا وذلك في قصة أصحاب الكهف حيث قال عزّ من قائل : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴾ [٣] فهدف أولئك الموحدين من اتخاذ المسجد فوق مدفنهم إنما هو من أجل أداء الصلاة والفرائض الدينية ، والله عزّ وجل أقرّ فعلهم ولو كان عملهم خلافاً لتعاليمه سبحانه لما سكت عنهم كما هو شأنه سبحانه وتعالى في الرّد على أهل الباطل .

وهذه سيرة المسلمين قائمة على الصلاة والدعاء في المسجد النبوي بجوار قبر رسول

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٥٣٣/١ حديث رقم : ١٣٩٦ .

(٢) قال الحاكم : هذا حديث رواته عن آخرهم ثقات وقد استقصيت في الحث على زيارة القبور تحرياً للمشاركة في الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه أنها سنة مسنونة وصلى الله على محمد وآله أجمعين ، وأخرجه في نفس المصدر ٣٠/٣ حديث رقم : ٤٣١٩ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧٨/٤ برقم : ٧٠٠٠ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٢١ .

الله ﷺ ، والصلاة والدعاء في المسجد الحرام عند الكعبة المشرفة مع (أن إسماعيل وأمه هاجر مدفونان في حجر البيت)[١] ، وأنّ جماعة من الأنبياء (مدفونون بين زمزم والمقام)[٢] ، ويصلّون في مسجد الخيف ويقال أن جماعة من الأنبياء أيضاً مدفونون فيه[٣] .

ونقلوا عن إمام المالكية مالك بن أنس أنه كان لا يرى بأساً في الصلاة بالمقابر ، ففي المدونة الكبرى : (قلت لابن القاسم : هل كان مالك يوسع أن يصلّي الرجل وبين يديه قبر يكون سترة له ؟ قال : كان مالك لا يرى بأساً بالصلاة في المقابر وهو إذا صلّى في المقبرة كانت القبور أمامه وخلفه وعن يمينه وعن يساره .

قال : وقال مالك : لا بأس بالصلاة في المقابر قال وبلغني أن بعض أصحاب رسول الله (ص) كانوا يصلّون في المقبرة)[٤] .

وقال عبدالغني النابلسي : (وأمّا من اتخذ مسجداً في جوار صالح أو صلّى في قبره ، وقصد به الاستظهار بوجه أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا للتعظيم له والتوجه إليه فلا حرج إذ مرقد إسماعيل عند الحطيم من المسجد الحرام ، ثم إن ذلك المكان أفضل مكان يصلّى فيه)[٥] .

ويتهم الشيعة بوضع روايات في ثواب زيارة الأئمة عليهم السلام

قال الجنيد : (حتى أن الشيخ المفيد الشيعي ذكر في كتابه الإرشاد بأن زيارة واحدة

---

(١) شرح العمدة لابن تيمية الحراني ٤/٤٦٣.

(٢) شرح العمدة لابن تيمية الحراني ٤/٤٦٣.

(٣) نفس المصدر

(٤) المدونة الكبرى ١/٩٠.

(٥) الحديقة الندية ٢/٦٣١.

لقبر الحسين تساوي مئة حجة ومئة عمرة ، وأن من زاره بعد موته فله الجنة ، وأن من زار قبر أهل البيت (كذا) حرّم الله عليه النار وأوجب له الجنة .

وقد وضعوا الأحاديث المكذوبة في فضل زيارة قبورهم والبكاء عندها ونظموا لذلك أدعية خاصة تتلى هناك .

إن مثل هذا لا يرضي أهل البيت ولا يرضيهم ما قاله ابن بابويه القمي أن من زار قبر جعفر الصادق أو الحسين كان له ثواب سبعين حجة وأن من بات عند قبره كان كمن زار الله تعالى في عرشه ، وأن الله تعالى يزور بنفسه قبر أمير المؤمنين عليه السلام[1] ويزوره الأنبياء والمؤمنون .

وأي اشتياق أو حب يبقى لبيت الله الحرام إن كانت قبور الأئمة أفضل عليه في الثواب ، إن هذه دعوة إلى استبدال أماكن العبادة (وهي المساجد) بالقبور ، وتعظيم القبور أكثر منها)[2] .

أقول : أولاً : إن الجنيد يزعم أن الشيعة وضعوا الأحاديث المكذوبة في فضل وثواب زيارة الأئمة عليهم السلام ، ولا نعلم كيف علم الجنيد أن هذه الأحاديث موضوعة ومكذوبة على لسانهم عليهم السلام ومن الذي أخبره بذلك ؟ فهذا زعم منه يحتاج إثباته إلى دليل ولم يذكره لنا .

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء .

ولماذا يستعظم الجنيد أن يعطي الله عزّ وجل لزائر قبر الإمام علي بن أبي طالب

---

(١) الرواية القائلة بأن الله يزور قبر الحسين عليه السلام تخالف ما عليه الشيعة من عقيدة بالنسبة لله ، فلا بد من تأويلها بأن ذلك كناية عن إنزال الله رحماته الخاصة عليه عليه السلام وعلى زائريه .

(٢) حوار هادئ صفحة ٢١-٢٢.

عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام أو غيرهم من أئمة المسلمين ثواباً يعادل ثواب مئة حجة وعمرة أو أكثر من ذلك ؟ علماً أن المراد بالحجة والعمرة في هذه الروايات الحجة والعمرة المندوبة وليس الواجبة فإن ثواب الأمر الواجب لا يقاس بثواب المندوب .

ويزعم الجنيد أن ذلك لا يرضي أهل البيت ، ولنا أن نسأله ونقول له من أين علمت أن ذلك لا يرضي أهل البيت ؟ هل أخبروك أو واحدٌ منهم بأن ذلك لا يرضيهم ؟ لماذا تلقي كلامك هكذا دون أن تدعمه بالدليل ؟ .

ثانياً : إن الشيعة الإمامية مع إنهم يزورون قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام إلاّ أنهم لم يتركوا حج بيت الله الحرام ، ففي كل عام يقصده منهم مئات الآلاف وهذا مما لا يمكن للجنيد ولا لغيره إنكاره ، وزيارة الأئمة عليهم السلام عندهم مستحبة أما حج بيت الله الحرام فهو واجب مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا .

وفي روايات الشيعة المروية عن أهل البيت عليهم السلام التحذير من ترك هذه الفريضة ففي صحيحة ذريح المحاربي عن الإمام الصادق عليه السلام قال (من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً) [١] .

وفي رواية أخرى صحيحة عن الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إذا قدر الرجل على ما يحج به ، ثم دفع ذلك وليس له شغل يعذره الله فيه فقد ترك شريعة من شرائع الإسلام) [٢] .

---

(١) الكافي ٢٦٨/٤ .

(٢) الكافي ١٨/٥ .

وأمّا روايات الحث والترغيب فيه فكثيرة من ذلك صحيحة معاوية بن عمار عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام : (أن رسول الله صلى الله عليه وآله لقاه أعرابي فقال له : يا رسول الله إني خرجت أريد الحج ففاتني وأنا رجل مميل ، فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاج ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : انظر إلى أبي قبيس فلو أن أبا قبيس لك ذهبة حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاج ، ثم قال إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلاّ كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات فإذا ركب بعيره لم يرفع خفاً ولم يضعه إلاّ كتب الله له مثل ذلك ، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه ، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه ، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه فإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه ، قال : فعدّ رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا موقفاً إذا وقفها الحاج خرج من ذنوبه ، ثم قال : أنّى لك أن تبلغ ما بلغ الحاج ، قال ابو عبدالله عليه السلام : ولا تكتب عليه الذنوب أربعة أشهر وتكتب له الحسنات إلاّ أن يأتي بكبيرة) (١) .

وفي صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (الحاج على ثلاثة أصناف ؛ صنف يعتق من النار ، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه ، وصنف يحفظ في أهله وماله ، وهو أدنى ما يرجع به الحاج) (٢) .

ثالثاً : إن الشيعة يؤمنون بأن موطن قبر النبي صلى الله عليه وآله ومواطن قبور الأئمة من أهل بيته عليهم السلام هي أماكن لاستجابة الدعاء ، فلذلك يمارسون الدعاء عندها بشكل واسع

---

(١) تهذيب الأحكام ١٩/٥ .

(٢) الكافي ٢٦٢/٤ .

ويتوسلون ويتشفعون ويستغيثون إلى الله عزّ وجل بهم ، فلا ضير على الشيعة في ذلك ففعلهم هذا غير مخالف لتعاليم الدين الحنيف وليس ذلك عقيدة وعمل الشيعة فقط وإنما هي عقيدة وعمل غيرهم من المسلمين ، فهذا ابن حبّان وهو من كبار علماء أهل السنة وحفاظهم ومن كبار رجال الجرح والتعديل عندهم يقول في ترجمته للإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام وهو ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام : (... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد ، قد زرته مراراً كثيرة وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلاّ استجيب لي وزالت عني تلك الشدّة ، وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين) [1] .

وقال أبو بكر محمد بن المؤمل : (خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس ... فرأيت من تعظيمه – يعني ابن خزيمة – لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ماتحيرنا) [2] .

فهل يتهم الوهابيون ابن خزيمة وابن حبّان بالشرك ؟! .

اعتراض الجنيد على النذورات والتبرعات التي تلقى في أضرحة الأئمة عليهم السلام والجواب عليه

قال الجنيد : (أمّا بالنسبة إلى الشيعة فإن الذهاب إلى قبور الأئمة وإلقاء الأموال

---

(١) الثقات لابن حبّان ٤٥٧/٨ ترجمة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧.

عند عتباتهم أمر مشاهد ومعروف لدى الجميع) [1] .

أقـول : لقد أثبتنا فيما سبق بالدليل من مصادر أهل السنة وكلمات علمائهم جواز زيارة القبور بل استحبابها المؤكد ، فما يفعله الشيعة الإمامية الإثنا عشرية من زيارة قبور أئمتهم عليهم السلام هو أمر مندوب إليه من قبل الشارع المقدس وغير مخالف لتعاليم الشريعة الغراء .

أمّا الأموال التي يضعها بعض الزّوار في أضرحتهم عليهم السلام فهي إما نذور أو تبرعات منهم تصرف على إعمار مشاهدهم عليهم السلام وفي صنوف الخير والبر والإحسان ، وهذا من باب التعظيم لشعائر الله والتعاون على الخير فلا يكون محرماً ، ولا يوجد دليل في الشرع يحرم مثل هذا العمل ، فلا أدري ما هو مستند الجنيد في إنكاره ذلك على الشيعة ؟!

(١) حوار هادئ صفحة ٢١.

الفصل الخامس
التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالصالحين

قال الجنيد : (... وحفظوا وصيّةً أخرى يقول فيها : « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » ، فأخلصوا دعاءهم وعبادتهم لله ولم يترددوا على قبور الأموات ليسألوهم من دون الحي الذي لا يموت الذي بيده الضر والنفع وحده) [1].

وقال : (وأهل السنة متقربون إلى الله بحب الحسن وبحب الحسين ويقولون إن حبهم فرض على كل مسلم كما قال الإمام الشافعي إلاّ أنهم لا يرضون استغاثة الشيعة بالحسين ولا بغير الحسين ، مثل قولهم « يا علي ، يا جعفر ، يا حسين ، يا مهدي ، يا صاحب الزمان ») [2].

وقال : (وإنما يقول أهل السنة (يا الله) ويتوجهون بطلب حوائجهم وتفريج كربهم إليه وحده) .

وقال : (إذن فأهل السنة يدعون الله وحده الذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد الذي يسمع دعاء جميع عباده في وقت واحد على اختلاف أماكنهم وأعدادهم وهو أرحم بعباده وأسرع في إجابة الدعاء منهم وأعلم بحوائج عباده وإن لم يرفعوها إليه)[3].

---

(١) حوار هادئ صفحة ٢٢.

(٢) حوار هادئ صفحة ٢٥.

(٣) حوار هادئ صفحة ٢٦.

أقول : لقد أوضحنا أن زيارة القبور جائزة لا شبهة ولا إشكال على جواز زيارتها ومع ورود الدليل على ذلك فلا إشكال أيضاً على جواز التردد إليها أمّا بالنسبة للتوسل بغير الله عزّ وجل من الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين من عباد الله وطلب قضاء الحوائج منهم والإستعانة والإستشفاع بهم فلا إشكال في مشروعية ذلك وجوازه سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ، فضلاً عن أن يكون محرماً أو شركاً به سبحانه كما يزعم الوهابيون .

فلا إشكال عند المسلمين قاطبة بما فيهم ابن تيمية الحراني ومن حذى حذوه من أتباعه اليوم ومنهم الجنيد في جواز التوسل والإستغاثة والإستشفاع بدعاء الحي ، ولا يمكن لهم إنكار ذلك بعد قيام الأدلة الصحيحة الصريحة عليه من الكتاب والسنة النبوية الشريفة ، وإنما ينكرون من ذلك :

١ – التوسل والإستشفاع والإستعانة بالمخلوق أو بجاهه أو بحرمته وما في معنى ذلك كأن يقول : اللهم إني أسألك بنبيك أو بجاه أو حرمة نبيك ، فهذا ابن تيمية الحراني يقول في مجموع فتاواه : (والثاني السؤال به – أي المخلوق – فهذا يجوّزه طائفة من الناس ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف وهو موجود في دعاء كثير من الناس ، لكن ما روي عن النبي (ص) في ذلك كله ضعيف بل موضوع ...) [1] .

فابن تيمية يعترف أن التوسل والإستشفاع والإستعانة بالمخلوق إلى الله عزّ وجل جائز عند طائفة من المسلمين وأن هناك آثار فيه من السلف وأن الكثير من المسلمين يفعلونه في دعائهم ، وكل حجة ابن تيمية في عدم جوازه أنه لم يرد فيه خبر صحيح كما يزعم ، فهل يا ترى ورد في جوازه دليل أم لم يرد كما يدّعي ؟ .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢٢/١.

الحق أن في مصادر أهل السنّة العديد من الأدلة الصحيحة والحسنة على مشروعية ذلك منها :

ما رواه الطبراني في المعجم الصغير بسنده عن عثمان بن حنيف : (أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض) في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلّي فيه ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد (ص) نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك ربي جل وعز فيقضي لي حاجتي وتذكر حاجتك ورح إليّ حتى أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فأتنا ثم أن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان ابن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ.

فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله (ص) وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره فقال له النبي (ص) : أفتصبر ؟ فقال : يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ فقال له النبي (ص) : ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع الله بهذه الدعوات ، قال عثمان : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط)[١].

قال الطبراني : (لم يروه عن روح بن القاسم إلاّ شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي

---

(١) المعجم الصغير ٣٠٦/١ حديث رقم : ٥٠٨.

وهو ثقة وهو الذي يحدث عن ابن أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأبلي وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس بن شعبة والحديث صحيح).

والرواية صريحة في جواز التوسل بذات النبي ﷺ والتوجه به إلى الله عزّ وجل، قال العلامة الشوكاني في تحفة الذاكرين: (وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله إلى الله عزّ وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)[1].

وما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون)[2].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: (ويستفاد من قصة العباس استحباب الإستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة)[3].

وما رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط بسند حسن عن أنس بن مالك قال: (لمّا ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله (ص) فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي وتشبعينني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله (ص) بيده ثم خلع رسول

---

(١) عنه المباركفوري في تحفة الأحوذي ٢٥/١٠.

(٢) صحيح البخاري ٣٤٢/١ برقم: ٩٦٤ و٣/١٣٦٠ برقم: ٣٥٠٧.

(٣) فتح الباري ٤٩٧/٢.

الله (ص) قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله (ص) أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله (ص) بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله (ص) فاضطجع فيه ثم قال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين وكبر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر ...) [1] .

فتمعن في قوله ﷺ : (بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي) الصريح في التوسل بحقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وما رواه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك) [2] .

وما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلاّ الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحب الخلق

---

(١) المعجم الكبير ٣٥١/٢٤ برقم : ٨٧١، المعجم الأوسط ٦٧/١ برقم : ١٨٩ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢٥٦/١ حديث رقم : ٧٧٨.

إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك) قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد) [١] .

٢ –النوع الآخر من التوسل والإستشفاع الذي حرّمه ابن تيمية وأتباعه ورموا المسلمين ومنهم الشيعة بالشرك والكفر هو ما يكون الخطاب فيه موجهاً إلى العبد كأن يقول : يا رسول الله إشفني من مرضي ، أو إقض ديني أو ما شاكل ذلك ، وهذا النوع من التوسل لا إشكال فيه ولا حرمة أيضاً ، فإن المسلم الموحّد لله عزّ وجل يؤمن ويعتقد بأن ما سوى الله عزّ وجل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، وهو لا يقصد من التوجه إلى من ارتضاه الله واجتباه وفضله على خلقه من أنبياء وأئمة وصالحين إلاّ الشفاعة والدعاء لتيسير وتعجيل قضاء حاجته .

فلو قال : يا محمد أو يا حسين أو يا علي إقضي حاجتي أو شافني من مرضي وما شابه ذلك من دعاء فإنما هو من باب إسناد الفعل إلى السبب كالقول المشهور : (أنبت الربيع البقل) فالله عزّ وجل هو المنبت للبقل إلاّ أن الربيع سبب آخر أيضاً للإنبات لكنه غير مستقل فصح أن يسند إليه الفعل ، فالمؤمن يعلم حقيقة العلم أن هؤلاء ليست لهم استقلالية في قضاء الحوائج وإجابة الطلبات وأن غير الله لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، وإنما كل ذلك يكون من الله عزّ وجل .

فهذا مسلم بن الحجاج يروي في صحيحه عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه سأل رسول الله ﷺ بقوله : (أسألك مرافقتك في الجنة) [٢] .

ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ هذا الطلب والسؤال ومعلوم أن مرافقة المسلم

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٦٧٢/٢ حديث رقم : ٤٢٢٨.

(٢) صحيح مسلم ٣٥٣/١.

لرسول الله ﷺ في الجنة بيد الله عزّ وجل مثل شفاء المريض وغفران الذنب .

فدعاء النبي أو الإمام أو غيرهم من الأولياء والإستغاثة والإستعانة والتوسل بهم بمثل ما ذكرناه راجع إلى طلب الشفاعة والدعاء من النبي أو الإمام أو الولي إلى الله عزّ وجل ولا مانع من ذلك عقلاً وشرعاً .

٣- وقد حرّم ابن تيمية الحراني وأتباعه أيضاً التوسل والإستعانة والإستشفاع والإستغاثة بالأنبياء والأئمة والأولياء بعد موتهم واعتبروه شركاً بالله عزّ وجل ، وهذا من جهلهم فلا فرق في ذلك بين كونهم أحياء أو أمواتاً ولنا على ذلك أدلّة عديدة نحتج بها على المخالف منها : -

١ - روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ : (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلاّ عرفه فردّ عليه السلام) .

وهذا الحديث صححه العيني في عمدة القارئ [١] وابن عبدالبر كما في تفسير ابن كثير [٢] ، والحافظ العراقي كما ذكر المناوي في فيض القدير [٣] .

٢ - قال ابن كثير في تفسيره : (وثبت عنه (ص) لأمته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد [٤] والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له

(١) عمدة القارئ ٦٩/٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٩/٣ .

(٣) فيض القدير ٤٨٧/٥ .

(٤) فيكون السلام عليهم لغواً وحاشا لنبي الإسلام أن يدعو المسلمين إلى فعل ماهولغو .

ويستبشر ...) [١] .

٣ – روى مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أبي هريرة : (أن رسول الله (ص) خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) [٢] .

وهذا دليل على أنهم يسمعون وهم في قبورهم سلام من يسلم عليهم ، وإلاّ كان السلام عليهم لغواً ، فهل يأتي رسول الله ﷺ بما هو لغو ؟ حاشاه من ذلك .

٤ – دل القرآن الكريم على أن الشهداء أحياء في حياتهم البرزخية يرزقون يقول تعالى : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [٣] .

٥ – روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال : (اطلع النبي (ص) على أهل القليب [٤] ، فقال : وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ . فقيل له : تدعو أمواتاً ؟ .

فقال : ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون) [٥] .

٦ – أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين وصححه بسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : (أكثروا عليّ الصلاة في يوم الجمعة فإنه ليس أحد يصلي عليّ يوم الجمعة إلاّ عرضت عليّ صلاته) [٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٣٩/٣ .

(٢) صحيح مسلم ٢١٨/١ حديث رقم : ٢٤٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٦٩ .

(٤) قتلى بدر من المشركين الذين أمر النبي بهم أن يلقوا في قليب بدر .

(٥) صحيح البخاري ٤٦٢/١ برقم : ١٣٠٤ .

(٦) المستدرك على الصحيحين ٤٥٧/٢ حديث رقم : ٣٥٧٧ .

وفي رواية أخرى أخرجها ابن ماجه في سننه عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : (أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي عليّ إلاّ عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها .

قال : قلت وبعد الموت ؟ .

قال : وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق) [١] .

٧ — وفي مجمع الزوائد للهيثمي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام ، قال : وقال رسول الله ﷺ : حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم) قال الهيثمي : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) [٢] .

٨ — وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : (قال رسول الله (ص) : مررت على موسى وهو يصلي في قبره) [٣] .

٩ — وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون) .

قال : (رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات) [٤] .

---

(١) سنن ابن ماجه ٥٢٤/١ برقم : ١٦٣٧ .

(٢) مجمع الزوائد ٤/٩ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٤٥/٤ حديث رقم : ٢٣٧٥

(٤) مجمع الزوائد ٢١١/٨ .

١٠ –قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ [١] .

وذلك يشمل حياته ومماته ﷺ .

قال الشوكاني في نيل الأوطار : (احتج القائلون بأنها –زيارة قبر النبي (ص) – مندوبة بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ووجه الإستدلال بها أنه (ص) حي في قبره بعد موته كما في حديث الأنبياء أحياء في قبورهم وقد صححه البيهقي وألف في ذلك جزءاً قال الأستاذ أبومنصور البغدادي : قال المتكلمون المحققون من أصحابنا : إن نبينا (ص) حي بعد وفاته) [٢] .

وقال ابن حجر المكي في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف المكرّم وهو بصدد ذكر الأدلة على مشروعية زيارة النبي الأكرم ﷺ : (أمّا الكتاب فقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ دلّت على حث الأمة على المجئ إليه (ص) والاستغفار عنده ، واستغفاره لهم ، وهذا لا ينقطع بموته ، ودلّت أيضاً على تعليق وجدانهم الله تواباً رحيماً بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم) [٣] .

ولقد صرّح علماء أهل السنة بأن نبينا ﷺ وبقية الأنبياء أحياء في قبورهم : قال القسطلاني : (ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة ونبينا

---

(١) سورة النساء الآية : ٦٤ .

(٢) نيل الأوطار ١٧٨/٥ .

(٣) شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد صفحة ٤٣ .

أفضلهم ، وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته أكمل وأتم من حياة سائرهم)[١] .

وقال السمهودي : (لا شك في حياته –النبي محمد ﷺ- بعد وفاته وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم ، حياة أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز ، ونبينا (ص) سيد الشهداء ، وأعمال الشهداء في ميزانه ، وقد قال (ص) : علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي ، رواه الحافظ المنذري)[٢] .

فاتضح من كل ذلك أن الأموات أحياء في قبورهم ، وإذا ثبت ذلك جاز التوسل والإستعانة والإستشفاع بمن لديه مكانة ومنزلة وكرامة وقرب عند الله سبحانه وتعالى كالأنبياء والأئمة وغيرهم من الأولياء والصالحين ، وقد مرّ عليك حديث عثمان بن حنيف الذي هو حديث صحيح في جواز التوسل والإستشفاع والإستغاثة بالنبي ﷺ بعد وفاته ، وهذه جملة من تصريحات جماعة من علماء أهل السنة في جواز كل ذلك به ﷺ بعد وفاته :

قال القسطلاني : (ينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والإستغاثة والتشفع والتوسل به (ص) فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله) .

وقال : (ثم أن كلاً من الإستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي –كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام –واقع في كل حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث ...)[٣] .

وقال المراغي : (إن التوسل والإستغاثة والتشفع بالنبي (ص) واقع في كل حال قبل

---

(١) المواهب اللدنية ٤١٣/٣ .

(٢) وفاء الوفاء ١٣٤٩/٤ .

(٣) المواهب اللدنية ٤١٧/٣ .

خلقه وفي مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث وعرصات القيامة)[١] .

وقال الحافظ تقي الدين السبكي : (وأقول إن التوسل بالنبي (ص) جائز في كل الأحوال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة ...)[٢] .

وقال تقي الدين الحصيني الدمشقي : (ومن أنكر التوسل والتشفع به بعد موته وأن حرمته زالت بموته فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين يتوسلون به قبل بروزه إلى الوجود ، وأن في قلبه نزعة هي أخبث النزعات)[٣] .

فهل بعد هذا يحق لابن تيمية وأتباعه اليوم (الوهابية) أن يرموا المسلمين بالشرك أو الكفر بسبب توسلهم بنبيهم أو أئمتهم أو الصلحاء منهم بعد قيام الأدلة عندهم على جواز ذلك بل واستحبابه ؟ .

أما بالنسبة لما نقله من قول مروي عن النبي ﷺ « إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » فإنه لا يمكن تفسيره على ظاهره ، وإلاّ لزم منه حرمة السؤال لغير الله أو الإستعانة بغيره مطلقاً ، فهل يدّعي الجنيد ومن هم على مثل رأيه ذلك ؟! .

هل يقول الجنيد بعدم جواز سؤال التلميذ لأستاذه أو الضال للطريق عن طريقه ، أو بحرمة الإستعانة بالطبيب للعلاج والمداوات أو بالسيارة وسائقها للسفر ؟! إن تفسير هذا القول على ظاهر ألفاظه يعني عدم جواز الأخذ بالأسباب والإستعانة بها وهذا باطل من

---

(١) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة صفحة ١١٣ .

(٢) شفاء السقام صفحة ١٦١ .

(٣) دفع الشبهة عن الرسول والرسالة صفحة ١٣٧ .

جميع الوجوه ولا يقول به أحد أبداً.

والصواب أنه ليس المقصود بهذا القول النهي عن السؤال لغير الله أو الإستعانة بغيره وإنما مراد النبي ﷺ أن أولى من يستعان به ويسأل هو الله فهو كقوله ﷺ: (لا تصاحب إلاّ مؤمناً ولا يأكل طعامك إلاّ تقي) فهذا الحديث لا يدل على حرمة مصاحبة غير المؤمن ولا على حرمة تقديم الطعام لغير التقي كيف وقد رخص الله سبحانه وتعالى في كتابه إطعام الأسير الكافر بل ومدح فاعله في قوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾.

الفصل السادس
التبرك بقبور الصالحين ونقل الجثامين
إلى الأماكن والمشاهد المشرّفة

قال الجنيد : (إننا إذا ألقينا نظرة على ما يفعله الشيعة اليوم عند القبور والمزارات من تقبيل الجدران وإلقاء أموال النذور وبث الشكوى ونقل جثث موتاهم من الأماكن إلى جوار الأئمة اعتقاداً منهم أن الميت إذا دفن في واحد من مشاهد الأئمة وأضرحتهم صار مأموناً من عذاب القبر وفتح له يوم القيامة باب من قبره إلى الجنة ، إن كل هذا في الحقيقة تشبه واضح بضلال من قبلنا من اليهود والنصارى الذين استحقوا اللعن لاتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد)[1] .

أقول : لقد مضى الرّد على بعض ما أورده في كلامه هذا ، أمّا حول مسألة التبرك بقبور الأئمة عليهم السلام وآثارهم ، وكذلك حول مسألة نقل جثامين الموتى للدفن بالقرب من مراقدهم عليهم السلام ، فلم يورد الجنيد دليلاً واحداً على حرمة ذلك ، وإنمّا أشكل به على الشيعة دون أن يثبت للقارئ عدم جوازه بدليل شرعي من كتاب الله عزّ وجل أو سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا يدل على إفلاسه من الدليل .

أمّا التبرك بآثار الصالحين وقبورهم من أنبياء وأئمة فإن سيرة المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائمة على ذلك ولم يخالف في ذلك إلاّ شرذمة قليلة لا اعتداد بهم لأن خلافهم

---

(١) حوار هادئ صفحة ٢٣ .

قائم على غير دليل صحيح معتبر ، فهذا إمام الجنيد أحمد بن حنبل لا يرى بأساً في تبرك المسلم بقبر رسول الله ﷺ ومنبره بالمس والتقبيل ابتغاء الثواب من المولى جل شأنه ، ففي كتاب العلل لأحمد بن حنبل : (وسألته —السائل عبدالله والمسؤول هو والده أحمد —عن الرجل يمس منبر النبي (ص) ، ويتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله جل وعز ، قال : لا بأس بذلك) [١] .

وقال المرداوي الحنبلي في الإنصاف : (يجوز لمس القبر من غير كراهة قدمه في الرعايتين والفروع ، وعنه يكره ، وأطلقهما في الحاويين والفائق وابن تميم ، وعنه يستحب قال أبو الحسين في تمامه وهو أصح) [٢] .

ونقل أن محب الدين الطبري الشافعي قال : (يجوز تقبيل القبر ومسه ، وعليه العلماء والصالحين) [٣] .

وقد تبركت السيدة الزهراء عليها السلام بتربة قبر أبيها ﷺ فعن علي عليه السلام قال : (لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينها وأنشأت تقول :

ماذا على من شمّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صبّت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا [٤] .

وتبرك الصحابي أبو أيوب الأنصاري بالقبر الشريف ، ففي المستدرك على

---

(١) العلل لأحمد بن حنبل ٤٩٢/٢ برقم : ٣٢٤٣ .

(٢) الإنصاف ٥٦٢/٢ .

(٣) وفاء الوفاء للسمهودي ٤٤٤/٢ .

(٤) سبل الهدى والرشاد ٣٣٧/١٢ ، نظم درر السمطين صفحة ١٨١ .

الصحيحين عن أبي داود بن أبي صالح قال : (أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال أتدري ما تصنع ؟

قال : نعم ، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال : جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله !) [(١)].

قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي على تصحيحه .

وتبرك بلال بن رباح بقبره ﷺ فقد روي أنه رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني ؟ فانتبه حزيناً وركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه [(٢)].

وتبرك أحد الصحابة بتراب قبر سعد بن معاذ ، حيث أخذ منه قبضة يوم دفن ففتحها بعد ذلك فإذا هي مسك [(٣)] ، ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك ولا واحد من الصحابة .

والمسلمون يتبركون بقبرحمزة بن عبد المطلب ، يقول شمس الدين السخاوي : (وجعل على قبره قبة فهو يزار ويتبرك به وبمحله رضي الله عنه) [(٤)].

وتبرك أهل السنة بقبور علمائهم قديماً وحديثاً وهذا مما لا يخفى على أحد ، ولو أردنا أن نضع قائمة بأسماء العلماء من أهل السنة الذين يتبرك أهل السنة بقبورهم لذكرنا

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٥٦٠/٤ رواية رقم : ٨٥٧١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١، تاريخ دمشق ١٣٧/٧ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤٣١/٣ ، فضائل الصحابة لابن حنبل ٨٢٢/٢ برقم : ١٤٩٤ .

(٤) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٣٠٧/١.

العشرات بل المئات .

أمّا نقل جثامين الموتى من مكان موتهم إلى آخر قريب أو بعيد فهو مكروه عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية إلاّ أن يكون النقل إلى الدفن في بقعة شريفة كمكة المكرمة أو المدينة المنورة أو النجف الأشرف أو كربلاء المقدسة أو غيرها من أمثال هذه الأماكن فإن ذلك مستحب وعلى هذا إجماعهم وليس هذا مما انفردوا به بل وافقهم من المذاهب السنية المالكية فقالوا : يجوز نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشروط ثلاثة :

أولها : أن لا ينفجر حال نقله .

ثانيها : أن لا تهتك حرمته بأن ينقل على وجه يكون فيه تحقير له .

ثالثها : أن يكون نقله لمصلحة كأن يخشى من طغيان البحر على قبره أو يراد نقله إلى مكان ترجى بركته أو إلى مكان قريب من أهله أو لأجل زيارة أهله إياه ، فإن فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة حرم النقل [١] .

ووافقهم أيضاً الحنابلة فقالوا : (لا بأس بنقل الميت من الجهة التي مات فيها إلى جهة بعيدة عنها بشرط أن يكون النقل لغرض صحيح كأن ينقل إلى بقعة شريفة ليدفن فيها أو ليدفن بجوار رجل صالح بشرط أن يؤمن تغيّر رائحته ولا فرق في ذلك بين أن يكون قبل الدفن وبعده) [٢] .

ولا شك أن فتوى علماء المذاهب السنية الذين قالوا باستحباب النقل أو بجوازه للدفن في مثل الأماكن المذكورة مستندها قيام الدليل عندهم على انتفاع الميت من

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ٤٢١/١ .

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ٤٢٢/١ .

الدفن فيها كتخفيف العذاب عنه أو رفعه أو زيادة وصول الخير والثواب والبركة له أو ما شابه ذلك لقداسة البقعة التي دفن فيها و إكراماً للنبي أو الإمام أو الولي الذي دفن بقربه .

الفصل السابع
إشكالية التسمية بعبد النبي وعبد الحسن وعبد الحسين وما شابهها

قال الجنيد : (ولا يرضون تسمية الشيعة أبناءهم (عبد الحسين ، عبد الحسن) وموقفهم من ذلك كموقفهم من النصارى الذين يسمون أنفسهم (عبد المسيح) ، فإنه لا يستوي من يسمي ولده عبد الله ، ومن يسميه عبد المسيح أو عبد الحسين فإن المسيح والحسين عباد الله ، وإذا كان من أحب الأسماء إلى الله تعالى (عبد الله ، وعبدالرحمن) فإن من أبغض الأسماء إلى الله إسم دل على العبودية لغير الله)[1] .

أقول : إن الإشكال على الشيعة الإمامية بسبب تسميتهم بعبد الحسن أو عبد الحسين وما شاكل ذلك من أسماء ينم عن جهل وسذاجة عند المستشكل أو أنه يريد بذلك التدليس على البسطاء والجهّال من الناس ، فالشيعة عندما يسمون أبناءهم بمثل هذه الأسماء لا يعتقدون بأن الحسن أو الحسين أو غيرهما آلهة شركاء لله عزّ وجل ، وأن أبناءهم عبيد لهم يمارسون العبادة لهم أو يشركونهم في العبادة مع الله ، بل يسمونهم بذلك لأن لفظة العبد تحمل في معناها معنى الخادم ، فيكون مرادهم بعبد الحسن أو عبد الحسين خادم الحسن وخادم الحسين ويتشرّف الشيعة أن يكونوا خداماً للحسن والحسين وغيرهم من أهل البيت عليهم السلام أو ينزلون أنفسهم هذه المنزلة .

وإضافة لفظة عبد بهذا المعنى أو بمعنى المملوك ورد في القرآن الكريم في قوله

---

(١) حوار هادئ صفحة ٢٥.

سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ .

فهل جعل الله له شركاء عندما قال : (عِبَادِكُمْ) ؟! .

أو أن المستشكلين علينا لم يقرؤا القرآن الكريم ؟! .

أو أنهم قرؤوه ولكن لم يعقلوه ؟! .

الفصل الثامن
الحلف بغير الله

قال الجنيد تحت عنوان « ظاهرة الحلف بغير الله » : (ويعتقدون أن الحلف بأهل البيت من دون الله شرك حذّر منه نبينا (ص) حيث قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك» وقال : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .

إن ظاهرة الحلف بالإمام نراها عند النصارى الذين يحلفون بالمسيح من دون الله)[1] .

أقـــول : أولاً : الأدلة التي أوردها الجنيد محتجاً بها على الشيعة ومستدلاً بها على حرمة الحلف بغير الله عزّ وجل مروية في مصادر أهل السنة فليس له أن يحتج بها على الشيعة الإمامية الإثني عشرية إذا لم تثبت صحتها لديهم .

ثانياً : نقلوا عن بعض الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب السنية والعلماء منهم جواز الحلف بغير الله سبحانه ، قال شمس الدين الأسيوطي في كتابه جواهر العقود : (فصل : ولو حلف بالمصحف ، قال مالك والشافعي وأحمد تنعقد يمينه ، وإن حنث لزمته الكفارة ، ونقل في المسألة خلاف عمن لا يعتد بقوله ، وحكى ابن عبد البر في التمهيد في المسألة أقوالاً للصحابة والتابعين واتفاقهم على إيجاب الكفارة فيها ، قال : ولم

---

(١) حوار هادئ صفحة ٢٦.

يخالف إلاّ من لا من لا يعتد بقوله ...)[١].

وقال ايضاً : (وإن حلف بالنبي (ص) فقال أحمد في أظهر روايته تنعقد يمينه ولا كفارة عليه)[٢].

وقال ابن العربي : (وقال أحمد بن حنبل إذا حلف بالنبي انعقدت يمينه ولزمته الكفارة لأنه حلف بما لا يتم الإيمان إلاّ به فلزمته الكفارة كما لو حلف بالله)[٣].

وفي تفسير القرطبي : (وكان قتادة يحلف بالمصحف ، وقال أحمد وإسحاق : لا نكره ذلك)[٤].

فلو كان الحلف بغير الله عزّ وجل شركاً كما يزعم الجنيد وابن تيمية وشرذمة الوهابية فيكون الصحابة وأئمة المذاهب وغيرهم من علماء أهل السنة الذين أجازوا الحلف بالمصحف والنبي الأكرم ﷺ أجازوا ما هو شرك بالله عزّ وجل ؟!.

وهل قتادة —وهو من كبار محدثي وعلماء أهل السنة —عندما كان يحلف بالمصحف الشريف أشرك بالله عزّ وجل ؟!.

إن الشيعة الإمامية الإثني عشرية فإنهم وإن قالوا بعدم حرمة الحلف بغير الله سبحانه إلاّ أنهم لا يوجبون الكفارة على من حلف بغيره سبحانه وحنث في يمينه وإنما الكفارة عنهم تجب فقط على من حنث في الحلف بالله ولا تنعقد اليمين عندهم بغير الحلف به سبحانه .

---

(١) جواهر العقود ٢/٢٥٩.

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) أحكام القرآن ٢/١٥٠ .

(٤) تفسير القرطبي ٦/٢٧٠.

ثالثاً : إنه سبحانه أقسم في كتابه المجيد ببعض مخلوقاته فلو كان القسم بغيره شركاً يكون الله عزّ وجل هو الذي جعل له شريكاً حين أقسم بهذه المخلوقات ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

رابعاً : روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة الدوسي (أن رجلاً جاء إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟ فقال : أما وأبيك لتنبأنه ... الخ) [(١)] .

وروى ابن ماجة في سننه عن أبي هريرة (أن رجلاً جاء إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله نبئني من أحق الناس مني بالصحبة ؟ فقال : نعم وأبيك لتنبأن ... الخ) [(٢)] .

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ وهو ثائر الرأس فقال : يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة ؟ قال: الصلوات الخمس إلاّ أن تطوع شيئاً .

قال : أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الزكاة ؟ قال : فأخبره رسول الله بشرائع الإسلام.

قال : والذي أكرمك لا أطوع شيئاً ولا أنقص شيئاً مما فرض الله عليّ .

فقال رسول الله ﷺ : أفلح وأبيه إن صدق ، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق [(٣)] .

فقوله ﷺ : (وأبيك) و (وأبيه) قسم لأن الواو فيه واو القسم ، فهل أشرك رسول الله ﷺ بربّه عندما أقسم بالمخلوق ؟! .

---

(١) صحيح مسلم ٢/٧١٦ برقم : ١٠٣٢ ، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/٢٣١ برقم : ٧١٥٩ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٢) سنن ابن ماجه ٢/٩٠٣ برقم : ٢٧٠٦ .

(٣) صحيح ابن خزيمة ١/١٥٨ برقم : ٣٠٦ ، ورواه النسائي في السنن الكبرى ٢/٦١ برقم : ٢٤٠٠ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/٤٦٦ برقم : ٤٢٣٥ .

إذا كان القسم بغير الله عزّ وجل شركاً كما يزعم الوهابية فإن روايات أهل السنة هي التي جعلت من رسول الله مشركاً لأنها نسبت إليه الحلف والقسم بغير الله عزّ وجل.

فبماذا سيجيب الجنيد وإخوانه شرذمة الوهابية ؟.

هل سيتراجعون عن حكمهم بالشرك على من حلف بالمخلوق ؟ أم سيكذبون هذه الروايات ؟! أم ماذا ؟!.

* * *

الفصل التاسع
الشيعة وعصمة الأئمة عليهم السلام

قال الجنيد تحت عنوان « عصمة الأئمة والغلو فيهم » : (وأهل السنة مقرّون بفضل أهل البيت وصلاح دينهم ويرون أن ذلك لا يمنع من وقوع هفوات أو أخطاء تمثلها الطبيعة البشرية القابلة للخطأ ، فإنه ما من أحد من بني آدم يخرج عن الطبيعة البشرية التي يتصف بها كل الخلق والتي بيّنها رسول الله (ص) : « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ») [1] .

وقال تحت عنوان « عصمة الإمام المطلقة عند الشيعة » : (غير أن الشيعة يرون العصمة المطلقة عن الخطأ في أئمتهم سواء أكان الخطأ سهواً أم عمداً) [2] .

أقول : من عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية القول بعصمة الأئمة الطاهرين من أهل البيت خلفاء النبي الأكرم عليه وعليهم آلاف الصلاة والسلام ، فهم معصومون كالأنبياء عليهم السلام من الذنوب والأخطاء والنسيان والسهو ، ولم يقل الشيعة بهذه العقيدة اعتباطاً وبدون دليل ، وإنّما يستندون لإثبات ذلك إلى العديد من الأدلة العقلية والنقلية ومن جملة الأدلة النقلية ما هو مخرّج في كتب أهل السنة .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٢٧ .

(٢) حوار هادئ صفحة ٢٩ .

إن الإمام هو القائم بوظائف النبي ﷺ بعد رحيله ما عدا وظيفة الوحي – بمعنى الإتيان بالشريعة – وذلك لأن الشريعة قد اكتملت في حياة النبي ﷺ فلا حاجة لوجود شخص يشغل هذا المنصب بعده، فالإمام هو المبين للأحكام الشرعية والموضح لمعاني آيات القرآن الكريم ومفاهيمه حسب الواقع – أي حسب ما نزلت هذه الأحكام، وما نزل من بيان وتفسير لآيات القرآن من الله عزّ وجل للنبي ﷺ عن طريق الوحي –، ولا يمكن لأحد أن يؤدي ذلك ويقوم به كما كان النبي ﷺ يقوم به إلاّ إذا اتصف بصفتين : –

الأولى : أن يكون نظير النبي ﷺ في علمه بمعارف الشريعة وأحكامها وبمفاهيم القرآن الكريم وتفسير آياته وبيان معانيه.

الثانية : أن يكون معصوماً من الذنب والخطأ والنسيان والسهو.

أمّا كونه نظير النبي ﷺ فواضح، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكنه القيام بهذه الوظيفة لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

أمّا أنه يلزم أن يكون معصوماً من الذنب والخطأ والنسيان والسهو، فلأنه لو لم يكن كذلك فلربما يقتحم الذنب والمعصية فيبين معارف الشريعة أو أحكامها أو يفسر آيات الكتاب العزيز على غير وجهها الصحيح، أو يخطأ في بيان هذه المعارف والأحكام وتفسير الآيات القرآنية، أو ينسى شيئاً منها أو بيانها ومعناها أو يسهو عن ذلك.

ومن وظائف الإمام أيضاً المحافظة على الشريعة الغراء من التغيير والتبديل والتحريف، والقيام بهذا الأمر لا يتأتى إلاّ لمن كان معصوماً وعالماً بالشريعة تمام العلم.

ثم أن الداعي إلى لزوم نصب الإمام هو جواز الخطأ على الأمة، والإمام المنصوب إمّا أن يجوز عليه الخطأ أو لا يجوز، فإن جاز عليه الخطأ فلا فائدة من نصبه فيحتاج إلى

إمام آخر ، وهذا الآخر إمّا أن يكون مثل الأول أو لا يكون ، فإن كان مثله فلا فائدة أيضاً من نصبه فيحتاج إلى ثالث وهكذا فيلزم منه التسلسل أو الدّور وكلاهما باطل ، وإن لم يكن مثل الأول –أي لم يجز عليه الخطأ– ثبت المطلوب ، وهو لزوم عصمة الإمام عن الخطأ .

على أن المستفاد من آيات الكتاب المجيد لزوم عصمة ولي الأمر والإمام يقول الله عزّ وجل : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [1] ، حيث نفى سبحانه أن ينال الظالم أي عهد من عهوده ، فالآية تقرر أن الظالم لا يصلح أن يكون إماماً ، والذي لم يتصف في آن من آنات حياته بظلم هو المعصوم فثبت من الآية الكريمة أن الإمام يلزم أن يكون معصوماً .

وقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [2] وظاهر الآية الكريمة يدل على أن الله سبحانه وتعالى أمر بطاعة أولي الأمر على وجه الإطلاق والجزم في جميع الحالات دون أن يقيّد طاعتهم بحالة معيّنة أو شيء ما ، ومن كان الأمر بطاعته على هذا الشكل فإنه يجب أن يكون معصوماً ، وإلاّ لما صحّ الأمر بطاعته على وجه الإطلاق وبلا قيد أو شرط .

وقد بيّن عالم أهل السنة الفخر الرازي في تفسيره الكبير عند تفسير الآية الكريمة كيفيّة إفادتها عصمة أولي الأمر فقال : (إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ وأن يكون

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

معصوماً عن الخطأ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته فيكون ذلك أمراً بفعل الخطأ ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه ، فهذا يقضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد ، وأنه محال ، فثبت أن الله أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم ، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في الآية لا بد وأن يكون معصوماً)[1] .

والأدلة على عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عديدة منها : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي)[2] .

وفي نص آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[3] .

وهذا الحديث يعرف بحديث الثقلين ، والمراد من العترة وأهل البيت فيه هم الأئمة الإثنا عشر الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلفاء في أمته وأشار إليهم بقوله : (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش)[4] .

وحديث الثقلين صريح في دلالته على عصمة العترة ومن عدة وجوه :

أولاً : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر فيه باتباع عترته على وجه الإطلاق بدون قيد أو شرط ،

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٤/١٠ .

(٢) وقد صحح الألباني هذا الحديث في صحيح سنن الترمذي ٥٤٣/٣ حديث رقم : ٣٧٨٦ .

(٣) وقد صحح الألباني الحديث بهذا النص في صحيح سنن الترمذي ٥٤٣/٣ برقم : ٣٧٨٨ .

(٤) صحيح مسلم ١٤٥٣/٣

ومن كان الأمر بطاعته كذلك فلا يكون إلاّ معصوماً ، فحاشا النبي ﷺ أن يأمر على نحو الإطلاق باتباع من يعلم ويحتمل خطأه ومخالفته للكتاب والسنة .

ثانياً : أنه جعل التمسك بهم مانعاً من الضلال كالقرآن الكريم ، ومن كان جائزاً عليه الضلال لا يكون مانعاً منه ، فالنتيجة أن عترة النبي ﷺ غير جائز في حقهم الضلال ومن كان كذلك كان معصوماً .

ثالثاً : أنه ﷺ قرنهم بالكتاب وأمر باتباعهما معاً فكما أن الكتاب منزّه من كل باطل فأهل البيت كذلك وهو عين العصمة .

رابعاً : أنه صرّح بأنهم لا يفارقون الكتاب ، وهو لا يفارقهم ، فهم لا يخالفونه في زمن من الأزمنة ووقت من الأوقات ، فإذا كانوا كذلك كانوا معصومين .

ومنها قوله ﷺ : (مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك) [١] .

وفي لفظ آخر : (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له) [٢] .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤٨٦/٢ و١٦٣/٣ وقال عنه الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، المعجم الأوسط للطبراني ٣٥٥/٥ و٨٥/٦ ، المعجم الكبير للطبراني ٤٥/٣ و٤٦/٣ و٣٤/١٢ ، مسند الشهاب ٢٧٣/٢ ، ٢٧٤ ، فضائل الصحابة لابن حنبل ٧٨٥/٢ ، أخبار مكة للفاكهي ١٣٤/٣ ، المعرفة والتاريخ ٢٩٦/١ .

(٢) المعجم الصغير ٨٤/٢ برقم : ٨٢٥ و٢٤٠/١ برقم : ٣٩١ ، المعجم الأوسط للطبراني ١٠/٤ برقم : ٣٤٧٨ ، المعجم الكبير للطبراني ٤٥/٣ برقم : ٢٦٣٧ ، مسند البزار ٣٤٣/٩ برقم : ٣٩٠٠ ، المعرفة والتاريخ ٢٩٦/١ .

والحديث واضح الدلالة على عصمتهم لأن التخلف عنهم حال الخطأ لا يعد هلاكاً والنبي ﷺ جزم فيه بأن النجاة في اتباعهم والهلاك في التخلف عنهم ، فثبت أنهم لا يخطؤون ، فإذا هم معصومون .

ومنها قوله ﷺ : (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس) [١] .

فلو كان أهل البيت عليهم السلام يخطئون لجازت مخالفتهم في الخطأ ، ولا يكون مخالفهم – حال ذلك – من حزب إبليس ، ولما أن النبي ﷺ اعتبر مخالفهم مطلقاً من حزب إبليس علمنا أنهم لا يخطئون ، ومن لا يخطئ مطلقاً هو المعصوم ، فالنتيجة أن أهل البيت معصومون .

وآية التطهير وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ دليل على عصمة ثلاثة من الأئمة وهم الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام فقد ثبت بالأدلة الصحيحة والصريحة نزولها في أصحاب الكساء وتخصيص النبي ﷺ مفهوم أهل البيت فيها بهم دون غيرهم :

أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين عن أم سلمة رضوان الله تعالى عليها أنها قالت : (في بيتي نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ قالت : فأرسل رسول الله (ص) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي .

قالت أم سلمة : يا رسول الله ما أنا من أهل البيت قال : إنك أهلي [٢] خير ، وهؤلاء

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٦٢/٣ برقم ٤٧١٥ وقال عنه (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

(٢) أقول : كذا في نسختي من المستدرك ويظهر لي أن هذه اللفظة مصحفة والصحيح « إلى » .

أهل بيتي اللهم أهلي أحق)[1].

قال الحاكم النيسابوري : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه) وقال الذهبي في التلخيص : (على شرط مسلم).

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر المزيد من الأدلة على اختصاص آية التطهير ومفهوم أهل البيت فيها بأصحاب الكساء[2].

أمّا دلالتها على العصمة فهي في غاية الوضوح والجلاء ، فالله سبحانه وتعالى أراد لأهل البيت عليهم السلام بإرادته التكوينية[3] التي لا يختلف المراد فيها عن الإرادة أن يكونوا مطهرين من كل الأقذار المادية منها والمعنوية ، فكشف من خلال الآية الكريمة عن هذه الإرادة وتحقق ذلك بالنسبة إليهم ، فتكون آية التطهير كاشفة عن طهارة المخاطبين بها من كل الأرجاس والأدناس وذلك عين العصمة وحقيقتها .

وأمّا أدلة عصمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالخصوص من مصادر أهل السنة فعديدة ، أكتفي بذكر دليلين منها :

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤٥١/٢ حديث رقم : ٣٥٥٨.

(٢) ومن أراد الإطلاع على المزيد من الروايات والأدلة على ذلك فليرجع إلى كتابنا « الرد النفيس على أباطيل عثمان الخميس ».

(٣) إنما قلنا بأن الإرادة في آية التطهير تكوينية لأن ذلك مما ينسجم مع الحصر الموجود فيها فلو قلنا بأنها -أي الإرادة- تشريعية يكون معنى الآية ، إنما شرعنا لكم -أهل البيت- الأحكام لنذهب عنكم الرجس ونطهركم تطهيرا ، وهذا يتنافى مع الحصر المستفاد من لفظة « إنما » فمن المعلوم أن الغاية من تشريع الأحكام إذهاب الرجس عن جميع المكلفين لا عن خصوص أهل البيت عليهم السلام ولا خصوصية لهم في تشريع الأحكام ، وليست لهم أحكام مستقلة عن بقية المكلفين ، فالمطلوب من أهل البيت عليهم السلام مطلوب من غيرهم من المكلفين ، فيكون الحصر لغواً ، وحاشا الله أن يكون في كلاه لغو .

١ –ما رواه أبو يعلى في مسنده عن عبدالرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال : (كنا عند بيت النبي (ص) في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال : ألا أخبركم بخياركم ؟ قالوا بلى ، قال : خياركم الموفون المطيبون ، إن الله يحب الحفي التقي ، قال : ومر علي بن أبي طالب فقال : الحق مع ذا ، الحق مع ذا)[١] .

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : « الحق مع ذا » يخبر على نحو الإطلاق أن علياً عليه السلام لا يفارق الحق ، فهو معه دائماً وأبداً وبتاتاً ، إذ لو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يرى عصمة علي ويحتمل إمكانية وقوعه في الخطأ لما صح أن يخبر عنه بذلك وبهذا الشكل المطلق ، فثبت أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم هذا دليل على عصمة علي عليه السلام .

٢ –وما رواه الحاكم النيسابوري عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)[٢] .

والاستدلال بهذا الحديث على عصمة علي عليه السلام شبيه بالاستدلال بالحديث السابق ، فلو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يرى عصمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويحتمل وقوعه في الخطأ لما أخبر على وجه الإطلاق بأن علياً عليه السلام لا يفارق القرآن والقرآن لا يفارقه ، فلما أن أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الطريقة المطلقة عن ذلك علمنا أن علياً معصوم .

فإذا الأدلة العقلية والنقلية هي التي قادت الشيعة إلى الإعتقاد والقول بعصمة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن يستنكر عليهم ذلك عليه أن يناقشهم في أدلتهم وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الكثير من الأخبار مما يؤكد هذه العقيدة

---

(١) مسند أبي يعلى ٣١٨/٢ برقم : ١٠٥٢ ، ورواه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٥/٧ وقال : « رواه أبو يعلى ورجاله ثقات » .

(٢) المستدرك على الصحيحين ١٣٤/٣ برقم : ٤٦٢٨ وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد » .

ففي الخبر الصحيح الذي رواه العلامة الكليني في الكافي ١٩١/١ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال : (إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا) .

الفصل العاشر
إتهام الجنيد الشيعة بالغلو في الأئمة ومشابهة النصارى

قال الجنيد تحت عنوان « صور أخرى من الغلو » : (روى المجلسي في كتابه حياة القلوب أن النبي (ص) كان جالساً والحسين على فخذه الأيمن وإبنه إبراهيم على فخذه الأيسر وكان يقبّل هذا تارة وذاك تارة أخرى ، وفجأة نزل جبريل وقال : إن ربّك أرسلني وقال : لا يجتمع هذان في وقت واحد ، فاختر أحدهما على الآخر وأفد الثاني عليه فنظر النبي (ص) إلى إبنه إبراهيم وبكى وقال : يا جبرئيل أفديت إبراهيم الحسين ورضيت بموت إبراهيم كي يبقى الحسين ويعيش)[1] .

أقول : هذه الرواية نفسها ذكرها العلامة المجلسي عليه الرحمة في بحار الأنوار أيضاً ٢٦١/٤٣ باب فضائل ومناقب الحسنين والنصوص عليهما نقلها عن مناقب ابن شهر آشوب ، وابن شهر آشوب نقلها عن تفسير أبي بكر النقاش البغدادي وهو من علماء أهل السنة فالرواية مصدرها أهل السنة فإن كان فيها شيء من الغلو كما يزعم الجنيد فيرمى به أهل السنة لا الشيعة ، على أننا لا نجد فيها شيئاً من ذلك .

قال الجنيد تحت عنوان « مشابهة النصارى في الكفارة والفداء » : (ومن صور الغلو عند الشيعة اعتقادهم بأن ولاية أهل البيت أعظم من الصلاة والصيام والزكاة

---

(١) حوار هادئ صفحة ٣١ .

والحج ، فقد روى الكليني عن أبي جعفر قوله : « بني الإسلام على خمسة أشياء : الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ، وقيل له وأي شيء أفضل ؟ قال : الولاية)[١] .

أقول : مما لا شك فيه عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية أن الولاية لأئمة الهدى من أهل بيت النبي ﷺ من الفرائض والواجبات العظيمة جداً ، والقول بأن الولاية أفضل أو أعظم من الصلاة والصيام والزكاة والحج لا يعني التقليل من عظمة وأهمية ومكانة هذه الفرائض ، وقد بيّن الإمام محمد الباقر عليه السلام وجه الأفضلية في نفس الرواية — وهي صحيحة سنداً — إلاّ أن صاحبنا الجنيد لم ينقل الرواية كاملة كعادته في التدليس والتزوير .

وتكملة الرواية : (... فقال : الولاية أفضل ، لأنها مفتاحهنّ والوالي هو الدليل عليهنّ ، قلت : - أي الراوي عن الإمام الباقر — ثم الذي يلي ذلك في الفضل ؟ فقال : الصلاة ، إن رسول الله ﷺ قال : الصلاة عمود دينكم ، قال قلت : ثم الذي يليها في الفضل ؟ قال : الزكاة لأنه قرنها بها وبدأ بالصلاة قبلها ، وقال رسول الله ﷺ : الزكاة تذهب الذنوب ، قلت : والذي يليها في الفضل ؟ قال : الحج ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ وقال رسول الله ﷺ : لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة ، ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر الله له ، وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال : قلت : فماذا يتبعه ؟ قال : الصوم .

قلت : وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال : قال رسول الله ﷺ الصوم جنة

---

(١) حوار هادئ صفحة ٣٢.

من النّار ، قال : ثم قال : إن أفضل الأشياء إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤديه بعينه ، إن الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع مكانها دون أدائها ، وإن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدّيت مكانه أيّاماً غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره .

قال : ثم قال : ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمان الطاعة للإمام بعد معرفته ، إن الله عزّ وجل يقول : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله عزّ وجل حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان ، ثم قال : أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته)[1] .

فأين الغلو المزعوم ؟! .

قال الجنيد : (وجعلوا من يتولى أهل البيت من أهل الجنة وإن فعل ما فعل ، فزعموا أن أبا عبد الله قال : « إن الله كتب كتاباً قبل خلق الخلائق بألفي سنة عنده تحت العرش: يا شيعة آل محمد قد غفرت لكم قبل أن تعصوني من أتى غير منكر بولاية آل محمد أسكنته جنتي برحمتي »)[2] .

دخول الجنة مشروط بالاعتقاد الصحيح والعمل الصالح

أقول : أولاً : قوله : (وجعلوا من يتولى أهل البيت من أهل الجنة وإن فعل ما فعل)

---

(١) الكافي ١٩/٢ .

(٢) حوار هادئ صفحة ٣٢.

فجوابه ليس مجرد الولاية –عند الشيعة – هو السبب والموجب الوحيد لدخول الجنة وإنما دخولها مشروط بالاعتقاد بالعقيدة الحقة ومن ذلك الإقرار والاعتقاد بولاية أهل البيت عليهم السلام وكذلك بالعمل الصالح .

ثانياً : إن هذه الرواية ضعيفة سنداً ، فأبو سعيد المدائني الراوي عن الإمام الصادق هذه الرواية مجهول الحال لم يرد فيه توثيق أو مدح .

قال الجنيد : (وجاء في تفسير منهج الصادقين للشيخ فتح الله الكاشاني « أن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة » قال : « وإن حبنا أهل البيت ليحط الذنوب عن العباد كما يحط الريح الورق عن الشجرة ») [1] .

أقول : أولاً : إذا كان مجرد الرواية لمثل قول « حب علي حسنة لا تضر معها سيئة » يكفي عند الجنيد أن يتخذ مستمسكاً ومستنداً لرمي من يرويه بمشابهة النصارى في عقيدتهم عقيدة الفداء ، فنقول له لقد روى بعض علماء أهل السنة ذلك ، منهم الديلمي في كتابه الفردوس بمأثور الخطاب [2] وموفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي في كتابه المناقب [3] ففيهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (حب علي حسنة لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة) فهل يحق للشيعة أو لغيرهم أن يقولوا بأن أهل السنة يشابهون النصارى في عقيدة الفداء ؟ .

ثانياً : يظهر لي أن المراد بالسيئة في الحديث المعصية الصغيرة ، وبما أن حبّ الإمام عليه السلام حسنة عظيمة وكبيرة فإنه مكفر لكل معصية صغيرة كإجتناب الكبائر من الذنوب

---

(١) حوار هادئ صفحة ٣٣.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ١٤٢/٢ برقم : ٢٧٢٥ .

(٣) المناقب للخوارزمي صفحة ٧٥ حديث رقم : ٥٦.

الذي صرّح القرآن الكريم بأنه مكفر لصغائرها يقول تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبوا كَبائرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾ [١] فالآية الكريمة تصرّح بأن العبد لو اجتنب كبائر الذنوب فإن الله عزّ وجل يغفر له صغائرها ، فما الذي يمنع أن تكون حسنة من الحسنات الكبيرة – كحب الإمام علي عليه السلام مثلاً – لها هذه الخصيصة ؟ .

ثالثاً : وأما أن حب أهل البيت عليهم السلام يحط الذنوب كما تحط الريح الورق عن الشجر ، فهذا المعنى صحيح ، فما الذي ينكر منه الجنيد ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أليس حب أهل البيت حسنة ؟! بل هو من أعظم الحسنات إذْ هو أجر الأمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على الرسالة يقول تعالى : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، أو ينكر الجنيد ذلك ؟! .

وقال الجنيد : (وفي كتاب الكافي « رفع القلم عن شيعتنا ولو أتوا بذنوبٍ بعدد المطر والحصى ») [٢] .

أقول : لقد أشار في الهامش إلى أنه نقل هذا الكلام من كتاب الكافي ٧٨/٨ وهو كتاب الروضة من الكافي ولم أجد فيه – حسب تتبعي – رواية بهذا النص .

وقال الجنيد : (وفي مقدمة تفسير البرهان أن الله قال : « علي بن أبي طالب حجتي على خلقي لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني ، ولا أدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني ») [٣] .

---

(١) النساء : ٣١.

(٢) حوار هادئ صفحة ٣٣.

(٣) المصدر السابق .

أقول : أما أن علي بن أبي طالب عليه السلام من حجج الله عزّ وجل على عباده فهذا صحيح وهو مما يؤمن به الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ويتدينون إلى الله عزّوجل به ، والروايات عندهم في هذا المعنى متواترة ، أما قول : (لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني) فإنه وإن كان ورد ذلك فيما نسب إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام من روايات إلاّ أن الشيعة لا يتكلون على مثل ذلك ، فيتركون الطاعة ويمارسون المعصية زاعمين أن الله لا يدخلهم النار لأنهم يحبون علياً ويقولون بإمامته .

وأما قوله (ولا أدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني) فإنما ذلك خاص بمن ينكر ولاية علي عليه السلام وإمامته بعد ثبوتها له عناداً ومكابرة .

وقال الجنيد : (وقيل لأحد أئمة أهل البيت « إني أحبُّ الصّوامين ولا أصوم ، وأحب المصلين ولا أصلي ، فقال له : أنت مع من أحببت »)[1] .

أقول : **أولاً** : لقد لبّس ودلّس وزوّر وحرّف هذا الجنيد في ما نقله ، حين جعل المسؤول هو الإمام عليه السلام مع أن المسؤول هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال : (... إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أحب المصلين ولا أصلي ، وأحب الصوامين ولا أصوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت ...) .

ثانياً : لا أعلم ماذا سيقول الجنيد عن الرواية التي رواها البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود أنه قال : (جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله (ص) : المرء مع

---

(١) حوار هادئ صفحة ٣٤.

من أحب)[١].

وما رواه ابن حبان في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أنه قال : (جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله متى قيام الساعة ؟ فقام النبي (ص) إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال : أين السائل عن ساعته ؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله . قال : ما أعددت لها؟ قال : ما أعددت لها كبير شيء ولا صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا إني أحب الله ورسوله فقال النبي (ص) : المرء مع من أحب أو قال أنت مع من أحببت ، قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام مثل فرحهم بهذا)[٢].

ثالثاً : لعل المراد بالصلاة والصوم هنا المندوب منهما وليس الواجب ، وهذا هو المرجّح ، وهو ما أشار إليه بعض المعلقين على الرواية والشرّاح لها وبذلك ينتفي الإشكال الوارد عليها .

قال الجنيد : (لو كان مجرد الحب حسنة لا تضر معها سيئة :

١ – فأي حاجة تبقى لشرائع الأحكام إذن ؟

٢ – وهل حب علي والأئمة أهم عند الله من طاعته والعمل بمقتضى دينه ؟

٣ – وإذا كان حب الله ورسوله غير كاف في النجاة من العذاب بدون إيمان وعمل صالح فكيف يكون حب علي مغنياً عن العمل الصالح وماحياً لكل العمل السيء ؟ .

٤ – إن هذا المفهوم يحوّل الناس عن السبب الأساسي الذي خلقهم الله من أجله ، ويجعل محبة علي سبب خلق الخلائق في حين أن الله خلقهم ليعملوا الصالحات كما

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٨٣/٥ ، وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ٢٠٣٤/٤ .

(٢) صحيح ابن حبان ٣٠٨/١ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾)[1] .

أقـول : إذا كان قول الجنيد صحيحاً فلماذا لا يكتفي الشيعة بحب علي عليه السلام ؟ .

لماذا يصلّون ويصومون ويحجون ويزكون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويفعلون صنوف البرّ والخير والإحسان ، ويلتزمون بفرائض الله وواجباته وينتهون عن نواهيه ومحرماته ؟

أليس فعلهم هذا دليل على افتراء الجنيد عليهم ؟

أليس فعلهم هذا دليل على عدم اعتبارهم لمثل هذه الروايات التي ذكرها الجنيد ؟ .

إنهم — أي الشيعة الإمامية الإثني عشرية — وإن كانوا يؤمنون كغيرهم من المسلمين بلزوم محبة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأن حبّه من الإيمان وعلامة من علاماته وعلامة حب الله عزّ وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنهم لا يقولون بأن حبّه هو السبب الوحيد لدخول الجنة والتنعم بنعيمها ، والموجب الوحيد للنجاة من النار وعذابها وإنما يكون ذلك بالإيمان الصحيح والعمل الصالح .

بلا شك أن الجنيد مطّلع على ذلك وعالم به ولكنّه شنّع بتلك الروايات على الشيعة إنطلاقاً من نواياه الخبيثة وأهدافه المغرضة ، ثم ألم يقرأ وهو يبحث وينقب في كتب الشيعة عن الروايات التي يتوهّم أن فيها إدانة الشيعة ما أخرجه البرقي في كتابه المحاسن بسنده عن سليمان بن خالد أنه قال : (قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك أخبرني عن الفرائض التي افترض الله على العباد ما هي ؟

فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإقام الصلاة والخمس

---

(١) حوار هادئ صفحة ٣٤.

والزكاة وحج البيت وصوم رمضان والولاية ، فمن أقامهنّ وسدد وقارب واجتنب كل منكر دخل الجنة) (١) .

وما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه التوحيد ومعاني الأخبار وثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام أنه قال : (من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة ، وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلاّ الله عما حرم الله عزّوجل) (٢) .

وما قاله الباقر عليه السلام : (فو الله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه) (٣) .

وما قاله الباقر عليه السلام لجابر الجعفي : (يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب ، حسب الرّجل أن يقول : أحبّ علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً ؟ فلو قال : إني أحب رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من علي عليه السلام ثم لا يتبّع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحد قرابة ، أحبّ العباد إلى الله عزّ وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته .

يا جابر : والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة وما معنا براءة من النار ، ولا على الله لأحد من حجة ، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليٌّ ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوٌّ وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع) (٤) .

وما قاله الإمام الصادق عليه السلام لخيثمة : (أبلغ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله والعمل الصالح ، وأن يعود صحيحهم مريضهم ، وليعد غنيهم على فقيرهم ، وأن يشهد

---

(١) المحاسن للبرقي ٢٩/١ .

(٢) التوحيد صفحة ٢٨ ، معاني الأخبار صفحة ٣٧٠ ، ثواب الأعمال صفحة ٥ .

(٣) صفات الشيعة صفحة ١٢ .

(٤) الكافي ٧٤/١ — ٧٥ .

حيّهم جنازة ميتهم ، وأن يتلاقوا في بيوتهم ، وأن يتفاوضوا علم الدين ، فإن في ذلك حياة لأمرنا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا ، وأعلمهم يا خيثمة أنه لا نغني عنهم من الله شيئاً إلاّ بالعمل الصالح ، فإن ولايتنا لا تنال إلاّ بالورع ، وإن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره)[١] .

ونحن نعرض عن الإسهاب في دفع هذه الشبهة لوضوح زيفها عند كل من له اتصال ومعرفة بالشيعة الإمامية الإثني عشرية أو إطلاع على كتبهم في العقائد والأحكام .

وقال الجنيد تحت عنوان « علي بن أبي طالب بطل الإسلام وفخر المسلمين » : (إن أهل السنة يقولون أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج الزهراء وأبو الحسنين وبطل الإسلام ومصدر فخرهم واعتزازهم ومن أعظم بناة الإسلام المدافعين عن النبي (ص) منذ حداثة سنّه ، حبّه هو وأهل البيت إيمان ، وبغضهم نفاق .

غير أنهم لا يوافقون ما يقوله الشيعة من أن حبّه كفّارة للذنوب وأن بغضه لا تنفع معه حسنات ، وأن النظر إلى وجه علي عبادة .

فإن هذه الكفارة شبيهة بفكرة الكفارة والفداء عند النصارى الذين يقولون إن مجرد حب المسيح كافٍ في الخلاص والكفارة يوم القيامة ولو من غير عمل)[٢] [٣] .

أقول : أولاً : لقد مرّ الكلام حول أن حبّ علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معه سيئة فيما سبق فراجع .

---

(١) وسائل الشيعة ٧/١٢.

(٢) حاشا لشيعة أهل البيت عليهم السلام أن يقولوا ويعتقدوا بمثل ذلك ولكن ما نفعل للأفاكين الذين يفترون على عباد الله وخلقه دون أدنى خجل أو استحياء أو رادع من دين .

(٣) حوار هادئ صفحة ٣٥.

ثانياً : لقد ثبت وصح عن النبي ﷺ أن مبغض علي بن أبي طالب عليه السلام منافق ، وذلك في الخبر الذي رواه الفريقان سنة وشيعة ، وممن أخرج ذلك مسلم في صحيحه بسنده عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام أنه قال : (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق)[١] .

وبموجب هذا الحديث الشريف فإن المبغض لعلي عليه السلام منافق رغم أنف الجنيد ، والله عزّ وجل يقول : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ فعلى هذا يصح القول بأن بغض علي عليه السلام سيئة لا تنفع معها حسنة .

ثالثاً : أمّا أن النظر إلى وجه علي عبادة فهو من قول رسول الله ﷺ ومما اتفق على إخراجه الفريقان الشيعة والسنة ، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين قال : (حدثنا دعلج بن أحمد السجزي ، حدثنا علي بن عبدالعزيز بن معاوية حدثنا إبراهيم بن إسحاق الجعفي ، حدثنا عبد الله بن عبدربه العجلي ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد الخدري ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله (ص) : النظر إلى علي عبادة)[٢] قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد وشواهده عن عبد الله بن مسعود صحيحة) .

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق[٣] .

---

(١) صحيح مسلم ٨٦/١ برقم : ٧٨ ، وأنظره أيضاً في صحيح ابن حبّان ٣٦٧/١٥ برقم : ٦٩٢٤ ، والسنن الكبرى للنسائي ٤٧/٥ برقم : ٨١٥٣ و١٣٧/٥ برقم : ٨٤٨٥ ، ومسند أبي يعلى ٢٥٠/١ برقم : ٢٩١ ، ومصنّف ابن أبي شيبة ٤٢/١ برقم : ١١٤ ، ومسند أحمد بن حنبل ٩٥/١ برقم : ٧٣١ و١٢٨/١ برقم : ١٠٦٢ ، وغيرهم .

(٢) المستدرك على الصحيحين ١٥٢/٣ حديث رقم : ٤٦٨١ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٥٣/٤٢ .

وأخرج الحاكم في نفس المصدر قال : (حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى القارئ ، حدثنا المسيب بن زهير ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا المسعودي ، عن عمرو ابن مرة ، عن إبراهيم ، عن علمقة ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : النظر إلى وجه علي عبادة) [١] .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٢] ، والحافظ ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق وابو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء [٣] ، والخوارزمي في المناقب [٤] .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير قال : (حدثنا أبومسلم الكشي حدثنا أبو نجيد عمران بن خالد بن طليق الضرير ، عن أبيه عن جده قال : رأيت عمران بن حصين يحد النظر إلى علي فقيل له فقال سمعت رسول الله (ص) يقول : النظر إلى علي رضي الله عنه عبادة) [٥] .

وهو مروي أيضاً عن غير من ذكرناهم من الصحابة منهم :

أبو بكر بن أبي قحافة [٦] .

عثمان بن عفان [٧] .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٥٢/٣ حديث رقم : ٤٦٨٣ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٧٦/١٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٥١/٤٢ ، حلية الأولياء ٥٨/٥ .

(٤) المناقب للخوارزمي صفحة ٣٦١ .

(٥) المعجم الكبير للطبراني ١٠٩/١٨ .

(٦) تاريخ دمشق ٣٥٠/٤٢ ، الرياض النضرة ٢١٩/٢ .

(٧) تاريخ دمشق ٣٥٠/٤٢ .

جابر بن عبدالله الأنصاري [١].

أنس بن مالك [٢].

ثوبان [٣].

عائشة [٤].

أبو هريرة الدوسي [٥].

معاذ بن جبل [٦].

وفي رواية أخرجها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله ﷺ : (مثل علي فيكمَ –أو قال : في هذه الأمة –كمثل الكعبة المستورة النظر إليها عبادة والحج إليها فريضة) [٧].

وعليه فعدم قبول الجنيد لذلك هو رد على رسول الله ﷺ ، وهو يعلم ما هو الحكم على من ردّ عليه ﷺ .

إذا كان الجنيد يعترف بأن مبغض علي عليه السلام وأهل بيته منافق كما هو صريح الخبر الصحيح فلماذا يوالي هو ومن هم على شاكلته أعداء علي عليه السلام ومبغضيه ؟!.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٥٥/٤٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٣٥٥/٤٢، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٥٢/٢.

(٥) لسان الميزان ٢٢٩/٢.

(٦) لسان الميزان ٨١/٥.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٣٥٦/٤٢.

إنتجاء الله لعلي من خصائصه عليه السلام

قال الجنيد : (وبلغ الغلو بشيخهم الملقب بالمفيد حتى زعم أن الله كان يناجي علياً) [١] .

أقول : إن الشيخ المفيد قدس سره نقل في كتابه الاختصاص مجموعة من الروايات التي تفيد أن الله عزّ وجل ناجى علياً بن أبي طالب عليه السلام ، وقد نقل بعض الحفاظ وكبار العلماء عند أهل السنة مثل بعض الروايات التي نقلها الشيخ المفيد منهم الترمذي في جامعه الصحيح المعروف بسنن الترمذي فقال : (حدثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن الأجلح عن الزبير عن جابر قال : دعا رسول الله (ص) علياً يوم الطائف فانتجاه ، فقال الناس لقد طال نجواه مع ابن عمه ، فقال رسول الله (ص) ما انتجيته ولكن الله انتجاه) [٢] وقد حسن الترمذي هذه الرواية .

ورواه أيضاً الحافظ الطبراني في المعجم الكبير [٣] ، وابن أبي عاصم في السنة [٤] ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد [٥] ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق [٦] ، والحافظ أبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان [٧] ، ومحب الدين الطبري في ذخائر

---

(١) حوار هادئ صفحة ٣٦ — ٣٧.

(٢) سنن الترمذي ٦٣٩/٥ حديث رقم : ٣٧٢٦ .

(٣) المعجم الكبير ١٨٦/٢ برقم : ١٧٥٦ .

(٤) السنة لابن أبي عاصم ٥٩٨/٢ برقم : ١٣٢١ .

(٥) تاريخ بغداد ٤٠٢/٧ .

(٦) تاريخ دمشق ٣١٥/٤٢ و٣١٦ و٣١٧.

(٧) تاريخ أصبهان ١٧٧/١ .

العقبى [١] ، وابن الأثير في أسد الغابة [٢] ، وابن كثير في البداية والنهاية [٣] ، والخوارزمي الحنفي في المناقب [٤] .

نعم هؤلاء كلهم من كبار علماء القوم وحفاظهم فهل سيحكم عليهم الجنيد بما حكم به على الشيخ المفيد عليه الرحمة ؟

هل سيحكم عليهم بالغلو والمبالغة فيه لأنهم رووا أن الله عزّ وجل قد انتجى علياً أم ماذا سيفعل ؟

إنني أقول أن انتجاء الله عزّ وجل لعلي عليه السلام من خصائصه عليه السلام فهو مما اتفق الفريقان السنة والشيعة على روايته ، ولا يعد القول بمثل ذلك أو اعتقاده -بعد ثبوته والاتفاق على روايته- غلواً ولا شيئاً من هذا القبيل .

ويتهم الشيعة بوضع الأحاديث في تفضيلهم على سائر الناس

قال الجنيد : (ووضعوا الأحاديث في تفضيل الشيعة على غيرهم من البشر وأن الله خلقهم من طينة خاصة تختلف عن البشر ، وأن الله لا يغفر إلاّ لهم وأنهم هم الفائزون يوم القيامة) .

وقال : (وعن الصادق قال : « إن الله خلقنا من عليين ، وخلق أرواح شيعتنا من عليين ») [٥] .

---

(١) ذخائر العقبى صفحة ٨٥.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٢٧/٤ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣٩٣/٧ .

(٤) المناقب للخوارزمي صفحة ١٣٨ .

(٥) حوار هادىء صفحة ٣٣.

أقول : زعمه أن الشيعة وضعوا الأحاديث في تفضيلهم على غيرهم باطل لأنه قول بلا دليل فمن أين علم الجنيد أن هذه الأحاديث موضوعه ؟!

ولمَ لم يذكر دليل حكمه هذا ؟!

لماذا حكم عليها هكذا رجماً بالغيب وبدون دليل ؟!.

وفي روايات أهل السنة ما يؤيد روايات الشيعة القائلة بأفضلية شيعة أهل البيت والموالين لهم عليهم السلام على غيرهم ، وأنهم أهل الفوز والنجاة والرضوان يوم القيامة ، ونذكر هنا نماذج من هذه الروايات من مصنفاتهم :

ففي تاريخ دمشق لابن عساكر روى بسنده عن علي عليه السلام قال : (قال لي رسول الله (ص) : أنت وشيعتك في الجنة) [1] .

وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (« يا علي إذا كان يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم لباسهم النور ، على نجائب من نور ، أزمتها يواقيت حمر ، تزفهم الملائكة إلى المحشر » فقال علي : تبارك الله ما أكرم هؤلاء على الله ، قال رسول الله (ص) : « يا علي هم أهل ولايتك وشيعتك ومحبوك يحبونك بحبي ويحبوني بحب الله هم الفائزون يوم القيامة ») [2] .

وعن أبي سعيد الخدري قال : (نظر النبي (ص) إلى علي فقال : هذا وشيعته الفائزون يوم القيامة) [3] .

---

(١) تاريخ دمشق ٣٣٢/٤٢ ، تاريخ بغداد ٢٨٤/١٢ ، كنز العمال ٣٢٣/١١ برقم : ٣١٦٣١ .

(٢) تاريخ دمشق ٣٣٢/٤٢ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٣٢/٤٢ ، شواهد التنزيل ٨٩/١ .

وعنه عليه السلام قال : (قال لي سلمان : قلما طلعت على رسول الله (ص) وأنا معه إلاّ ضرب بين كتفي فقال : يا سلمان هذا وحزبه المفلحون)[١] .

وعن محمد بن علي قال : سألت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي فقالت : (سمعت رسول الله (ص) يقول : إن علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة)[٢] .

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري رضوان الله عليه قال : (كنا جلوساً عند رسول الله (ص) إذ أقبل علي بن أبي طالب فلما نظر إليه النبي قال : قد أتاكم أخي ، ثم التفت إلى الكعبة فقال : وربّ هذه البنية إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة)[٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (لما نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ قال لعلي : هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين)[٤] .

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال : (شكوت إلى رسول الله (ص) حسد الناس إياي فقال : أما ترضى أن تكون رابع أربعة ، أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين ، وأزواجنا عن أيماننا وعن شمائلنا ، وذرارينا خلف أزواجنا ، وشيعتنا من ورائنا)[٥] .

---

(١) تاريخ دمشق ٣٣٣/٤٢.

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) شواهد التنزيل ٤٦٧/٢ ، تاريخ دمشق ٣٧١/٤٢ ، المناقب للخوارزمي صفحة ١١١ .

(٤) نظم درر السمطين صفحة ٩٢ ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٤٦٢/٢ برقم : ١١٢٦ ، ينابيع المودة للشيخ سليمان القندوزي الحنفي ٣٥٧/٢.

(٥) فضائل الصحابة لابن حنبل ٦٢٤/٢ حديث رقم : ١٠٦٨ ، المعجم الكبير للطبراني ٣١٩/١ برقم : ٩٥٠ و٤١/٣ برقم : ٢٦٢٤ ، تاريخ دمشق ١٦٩/١٤ ، سبل الهدى والرشاد ٧/١١.

وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها ، فهل يخرج من الطيب إلاّ الطيب ، وأنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أرادها فليأت الباب) [١] .

ويحاول اتهام الشيعة بأنهم يقولون بإلوهية أئمتهم !

قال الجنيد : (لقد فتح هذا الغلو أبواباً خطيرة لدى الفرق الشيعية الأخرى كالنصيرية والإسماعيلية حتى عبدوا علياً رضي الله عنه وزعموا أنه إله أهل الأرض وإله أهل السماء ، ومع أن الشيعة الإمامية يحكمون بكفر هؤلاء من الناحية النظرية إلاّ أنهم من الناحية العملية على توافق وانسجام تام) [٢] .

وقال : (ولقد تنبأ أهل البيت أن طائفة من الناس ستغلوا فيهم ، قال علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه : « إن يهوداً أحبّوا عزيزاً حتى قالوا فيه ما قالوا ، فلا عزيزٌ منهم ولا هم منه ، وإن النصارى أحبّوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا ، فلا عيسى منهم ولا هم منه .

وإن قوماً من شيعتنا سيحبونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير ، وما قالت النصارى في عيسى ، فلا هم منّا ولا نحن منهم » .

وروي عن علي إنه قال : « سيهلك فيّ صنفان : محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير الناس فيّ حالاً النمط

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٨٤/٤٢.

(٢) حوار هادىء صفحة ٣٧.

الوسط »[1].

أقـول : لا أعلم بأي ديـن يتدين هـذا الجنيـد ! ، لأن ديـن الإسـلام يحـرّم الكـذب والإفتراء وبهت الآخرين والتقول عليهم بما هم منه براء ، فالشيعة الإماميـة الإثنـا عـشرية براء مما يحاول أن يلصقه بهم ويتهمهم به ، لأن عقيـدتهم فـي أئمـتهم عليهم السلام أنهـم بـشر مخلوقون لله عزّ وجل وعبادٌ مكرمون لا يعـصون الله مـا أمـرهم ويفعلـون مـا يـؤمرون ، خلفاء لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم على أمته من بعده واحـداً بعـد الآخـر ، أوجـب الله محبـتهم وفرض على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم طاعتهم وولايتهم ليس لهـم حـول ولا قـوة إلاّ بحـول الله وقوته ، ويبـرؤون إلـى الله عـزّ وجـل ممـن يزعـم فـيهم أنهـم آلهـة أو ليـسوا ببـشر ويحكمون بكفره .

فلم يقولوا في أئمتهم ما قالته اليهود في عزير ولا ما قالته النصارى في عيسى عليه السلام ، ولم يفرطوا في حبّهم بحيث ذهـب بهـم حبّهم هـذا إلـى غيـر الحق بـل كـانوا الـنمط الأوسط بين المحب المغالي والمبغض القالي .

إشكال الجنيد على الشيعة ببعض عناوين أبواب كتاب الكافي

قال الجنيد : (ولا يسعنا إلاّ أن نلقي نظرة سريعة على فهارس مواضيع كتاب الكافي للكليني ونقرأ بعض عناوين الأبواب والفصول من دون التطرق إلى المضمون :

١ - « باب » الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء .

٢ - « باب » أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلاّ باختيارهم .

٣ - « باب » أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وما لم يكن لو كـان كيـف يكـون

---

(١) حوار هادىء صفحة ٣٨- ٣٩.

وأنه لا يخفى عليهم شيء .

٤ - « باب » أن الأئمة يعرفون جميع الكتب على اختلاف ألسنتها .

٥ - « باب » أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود ، ولا يسئلون عن البينة .

٦ - « باب » أنه لم يجمع القرآن كله إلاّ الأئمة .

٧ - « باب » أنه ليس من الحق في أيدي الناس إلاّ ما خرج من عند الأئمة ، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل .

٨ - « باب » أن الأرض كلها للإمام [1] .

أقول : أولاً : يعتقد الشيعة الإمامية الإثنا عشرية أن النبي محمداً ﷺ هو أفضل وأكمل مخلوق خلقه الله عزّ وجل من بين الإنس والجن والملائكة على وجه الإطلاق وبلا شك أنه لكونه أفضلهم وأكملهم فهو أعلم منهم ، ويعتقدون أيضاً أن الأئمة الإثني عشر عليهم السلام قد ورثوا علم رسول الله ﷺ هذا ورواياتهم في ذلك مستفيضة وصحيحة منها :

روى الصفار في بصائر الدرجات بسند صحيح قال : (حدثنا محمد بن عبد الحميد عن منصور بن يونس عن ابن أذينة عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : نزل جبرائيل على محمد ﷺ برمانتين من الجنة فلقيه علي عليه السلام فقال له : ما هاتان الرمانتان في يديك ؟ .

قال : أمّا هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب ، وأما هذه فالعلم ثم فلقها رسول الله ﷺ فأعطاه نصفها وأخذ نصفها رسول الله ﷺ ثم قال : أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه

---

(١) حوار هادىء صفحة ٢٩- ٣٠.

قال : فلم يعلم والله رسول الله ﷺ حرفاً إلاّ علّمه علياً عليه السلام ثم انتهى ذلك العلم إلينا ثم وضع يده على صدره)[١] .

ورواه الكليني في الكافي من طريق الصفار بنفس السند[٢] .

وروى الصفار في بصائر الدرجات بسند صحيح قال : (حدثنا عبد الله بن عامر عن عبد الله بن محمد الحجال عن داود بن أبي يزيد الأحول عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : إنّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ، ولكنها آثار رسول الله ﷺ وأصول علم نتوارثها كابر عن كابر ، نكتزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضّتهم)[٣] .

وروى الصّفار رحمه الله في بصائر الدرجات بسند صحيح ، قال : (حدثنا أحمد بن محمد عن البرقي عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران ، عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الأرض لا تترك بغير عالم ، قلت : الذي يعلمه عالمكم ما هو ؟ قال : وراثة من رسول الله ﷺ ومن علي بن أبي طالب عليه السلام علم يستغني عن الناس ولا يستغني الناس عنه .

قلت : وحكمة يقذف في صدره أو ينكت في أذنه .

قال : ذاك وذاك)[٤] .

ورواه الشيخ الصفار في نفس المصدر بسند صحيح عن الإمام الصادق أو الكاظم

---

(١) بصائر الدرجات صفحة ٢٨٠ .

(٢) الكافي ١/١٦٣ .

(٣) بصائر الدرجات صفحة ٢٨٤ .

(٤) بصائر الدرجات صفحة ٣٠٧ .

قال : (حدثنا عبد الله بن عامر عن عبد الله بن محمد الحجال عن داود بن أبي يزيد عن أحدهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي جنة عدن غرسها بيده فليتول علي بن أبي طالب عليه السلام والأوصياء من بعده فإنهم لحمي ودمي أعطاهم الله فهمي وعلمي)[1].

وروى أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله بسند صحيح في كتابه الإمامة والتبصرة من الحيرة قال : (وعنه — سعد بن عبد الله الأشعري القمي — عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي هاشم قال : حدثنا سلام بن أبي عميرة الخراساني عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ، ويدخل جنة عدن غرسها ربي بيده فليتول علياً عليه السلام وليعاد عدوّه وليأتم بالأوصياء من بعده أعطاهم الله علمي وفهمي ، وهم عترتي من لحمي ودمي ، إلى الله أشكو من أمتي المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتي ، وأيم الله ليقتلن إبني الحسين عليه السلام لا أنالهم الله شفاعتي)[2].

ورواه أيضاً في نفس المصدر من طريق سعد بن طريف عن الإمام الباقر عليه السلام بسند صحيح قال : (وعنه — سعد بن عبد الله — عن محمد بن عبد الحميد العطار ، عن منصور بن يونس ، عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب أن يحيى حياة تشبه حياة الأنبياء عليهم السلام ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء ويسكن الجنان التي غرسها الرحمن ، فليتول علياً عليه السلام وليوالي وليه ، وليقتد بالأئمة من بعده ،

---

(١) بصائر الدرجات صفحة ٦٤.

(٢) الإمامة والتبصرة من الحيرة صفحة ١٧٢ برقم : ٢٤ ، وأخرجه من طريق ابان بن تغلب أيضاً الصفار في بصائر الدرجات صفحة ٦٢ و٦٣ و٦٤ ، والعلامة الكليني في الكافي ٢٠٩/١.

فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ، اللهم ارزقهم فهمي وعلمي ويل للمخالفين من أمتي ، اللهم لا تنلهم شفاعتي)[١] .

ورواه الصفار في بصائر الدرجات من طريق أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام قال الصفّار : (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي عدن منزلي قضيب من قضبانها غرسها ربي بيده فليتول علياً والأئمة من بعده ، فإنهم أئمة الهدى أعطاهم الله فهماً وعلماً ، فهم عترتي من لحمي ودمي ، إلى الله أشكو من عاداهم من أمتي ، والله ليقتلن ابني لا أنالهم الله شفاعتي)[٢] .

ورواه الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليتول علياً بعدي وليوال وليه ، وليقتد بالأئمة من بعده ، فإنهم عترتي خلقهم الله من لحمي ودمي ، وحباهم فهمي وعلمي ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي لا أنالهم الله شفاعتي)[٣] .

ولقد صحّت الأدلة من طرق الشيعة على أن الأئمة من أهل البيت ملهمون محدثون منها :

---

(١) الإمامة والتبصرة من الحيرة صفحة ٤٥ ، ورواه من طريق سعد بن طريف الصفّار في بصائر الدرجات صفحة ٦١ بسند صحيح .

(٢) بصائر الدرجات صفحة ٦٢ .

(٣) الأمالي صفحة ٥٧٨ حديث رقم : ١١٩٥ .

ما رواه الصفار في بصائر الدرجات بسند صحيح قال : (حدثنا يعقوب بن يزيد عن محمد بن إسماعيل بن بزيغ قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : الأئمة علماء صادقون مفهمون محدّثون)[1] .

ورواه الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي من طريق الصفار بنفس السند[2] .

وما رواه محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات بسند صحيح قال : (حدثنا محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : كان أبو جعفر عليه السلام محدثاً)[3] .

وما رواه النعماني في كتابه الغيبة بسند موثق قال : (وأخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي قال : حدثنا يحيى بن زكريا بن شيبان من كتابه سنة ثلاث وسبعين ومائتين قال : حدثنا علي بن سيف بن عميرة قال : حدثنا أبان بن عثمان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن من أهل بيتي إثني عشر محدّثاً ، فقال له رجل يقال له عبد الله بن زيد وكان أخا علي بن الحسين عليهما السلام من الرضاعة سبحان الله محدّثاً ؟ - كالمنكر لذلك –قال : فأقبل عليه أبو جعفر عليه السلام فقال له : أما والله إن ابن أمك كان كذلك –يعني علي بن الحسين عليهما السلام -)[4] .

وما رواه الكليني في الكافي بسنده عن سماعة بن مهران قال : (كنت أنا وأبو بصير ومحمد بن عمران مولى أبي جعفر عليه السلام في منزله بمكة ، فقال محمد بن عمران :

---

(١) بصائر الدرجات صفحة ٣٠٢.

(٢) الكافي ٢٧١/١ .

(٣) بصائر الدرجات صفحة ٣٠٣.

(٤) الغيبة صفحة ٦٦ .

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : نحن إثنا عشر محدّثاً ، فقال له أبو بصير سمعت من أبي عبد الله عليه السلام ؟ فحلفه مرة أو مرتين أنه سمعه ، فقال أبو بصير : لكني سمعته من أبي جعفر عليه السلام) [١] .

ويؤكد ذلك الكثير من الروايات المأثورة عنهم عليهم السلام من أنهم يلقى العلم في صدورهم أو يحدّثون به في آذانهم منها :

ما رواه الصفار في بصائر الدرجات بسند صحيح قال الصفار رحمه الله : (حدثنا أحمد ابن محمد ، عن البرقي عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الأرض لا تترك بغير عالم ، قلت : الذي يعلمه عالمكم ما هو؟ قال : وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن علي بن أبي طالب عليه السلام علم يستغني عن الناس ولا يستغني الناس عنه .

قلت : وحكمة يقذف في صدره أو ينكت في أذنه .

قال : ذاك وذاك) [٢] .

وما روي أيضاً في نفس المصدر السابق بسند صحيح قال : (حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب عن داود بن فرقد عن الحارث بن المغيرة النصري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك الذي يسأل عنه الإمام وليس عنده فيه شيء من أين يعلمه ؟ قال : ينكت في القلب نكتاً أو ينقر في الأذن نقراً) [٣] .

وقريب منه رواه العلامة الكليني رحمه الله في الكافي ٢٦٤/١ .

---

(١) الكافي ٥٣٥/١ .

(٢) بصائر الدرجات صفحة ٣٠٧ .

(٣) بصائر الدرجات صفحة ٢٩٩ .

وما رواه العلامة الكليني قدس سره في الكافي بسند صحيح قال : (محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن إسماعيل عن عمه حمزة بن بزيغ عن علي السائي ، عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال : مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماض وغابر وحادث فأمّا الماضي فمفسر ، وأمّا الغابر فمزبور وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا) (١) .

فقوله عليه السلام : (ولا نبي بعد نبينا) بعد قوله : (وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع) لعلّه أراد به عليه السلام دفع لما قد يتوهم من التلازم بين تحديث الملائكة والنبوة ، وقد أثبتنا فيما سبق عند الحديث عن مصحف فاطمة عليها السلام بالدليل أن لا تلازم بينهما فراجع .

وفي رواية أخرجها الصفار رحمه الله في بصائر الدرجات بسند صحيح قال : (حدثنا محمد بن عبد الحميد عن يونس بن يعقوب عن الحارث بن المغيرة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : هذا العلم الذي يعلمه عالمكم شيء يلقى به في قلبه أو ينكت في أذنه فسكت حتى غفل القوم ثم قال : ذاك وذاك) (٢) .

وفي رواية أخرى أخرجها في نفس المصدر بسند صحيح قال : (حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن الحسين بن علي بن يقطين عن أبيه قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من أمر العالم فقال : نكت في القلب ونقر في الأسماع وقد يكونان معاً) (٣) .

---

(١) الكافي ١/٢٦٤ .

(٢) بصائر الدرجات صفحة ٣٠٠.

(٣) المصدر السابق .

إذا علمت هذا فنقول أن علم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام علم لدني فلا يستبعد أن يكون الإمام منهم يعلم بوقت موته من خلال واحد من طرق العلم والمعرفة لديه ، ولا يستبعد أيضاً أن يخيّر بين الموت والحياة كما كان الله عزّ وجل يخيّر أنبياءه ورسله فيختارون الموت على الحياة طمعاً في لقاءه عزّ وجل .

وإذا كان أهل السنة يروون أن بعض الصحابة وغيرهم كانوا يعلمون بوقت موتهم فلماذا يستنكر الجنيد أو الوهابية ما يرويه الشيعة من ذلك بالنسبة لأئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام فقد رووا : (أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت لأبي بكر ، فقال الحارث لأبي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله (ص) ، والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد ! قال : فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة)[١] .

ورووا أن عثمان بن عفان علم بموته من خلال رؤيا رآها فعن ابن عمر قال : (أن عثمان أصبح يحدث الناس ، قال : رأيت رسول الله (ص) الليلة في المنام فقال : يا عثمان أفطر عندنا غداً فأصبح الصبح صائماً وقتل في يومه)[٢] .

ورووا أيضاً أن عبد الله الأنصاري والد جابر بن عبد الله الأنصاري لما حضر أحد أخبر إبنه جابر ليلاً بأنه سيقتل غداً وأنه أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[٣] .

ثانياً : يعتقد الشيعة الإمامية الإثنا عشرية بأن علم الغيب الذاتي مختص بالله عزّ

---

(١) عمدة القاري ٢١٩/٨ ، الطبقات الكبرى ١٩٨/٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٠٩/٣٠ ، صفوة الصفوة ٦٣/١ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٨٤/٣٩ .

(٣) صحيح البخاري ٤٥٣/١ حديث رقم : ١٢٨٦ .

وجل ، فهو صفة من صفاته الذاتية ، فليس هناك عالم بالغيب بالذات إلاّ هو سبحانه ، ومن يدّعي عليهم بأنهم يعتقدون أن أئمتهم يعلمون الغيب كعلم الله به ، فما هو إلاّ أفاك كذاب إفترى عليهم ورماهم بما هم منه براء ، وعلى هذه العقيدة اتفاقهم .

نعم لقد تضافرت الروايات من جهة الفريقين سنة وشيعة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر ببعض المغيبات ، وكذلك الروايات من طرق الشيعة تفيد أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أخبروا ببعض ما يعد أمراً غيبياً وإخباراً بالغيب ، ولكن لا يقولون بأن علمهم بذلك ذاتي وإنما هو بتعليم ممن يعلم الغيب وهو الله عزّ وجل وصل إليهم ذلك وعلموا به من خلال الطرق التي يستقي النبي أو الإمام المعصوم منها علمه .

قال الشيخ المفيد قدس سره : (إن الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ، ويعرفون ما يكون قبل كونه ، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطاً في إمامتهم وإنما أكرمهم الله تعالى وأعلمهم إياه للطف في طاعتهم والتمسك بإمامتهم وليس ذلك بواجب عقلاً ولكنه وجب لهم من جهة السماع ، فأمّا إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بين الفساد لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد ، وهذا لا يكون إلاّ الله – عزّ وجل – وعلى هذا جماعة أهل الإمامة إلاّ من شذّ عنهم من المفوّضة ومن انتمى إليهم من الغلاة) [1] .

وقال العلامة الطبرسي ردّاً على من اتهم الشيعة الإمامية الإثني عشرية بأنهم يدّعون علم الغيب لأئمتهم : (إن هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم – يعني الشيعة – ولا نعلم أحداً منهم بل أحداً من أهل الإسلام يصف أحداً من الناس بعلم الغيب ، ومن وصف

(١) أوائل المقالات صفحة ٦٧.

مخلوقاً بذلك فقد فارق الدين والشيعة الإمامية براء من هذا القول فمن نسبهم إلى ذلك فا الله فيما بينه وبينهم) [١].

وقال أيضاً : (ولا نعلم أحداً منهم –الشيعة –استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق ، فإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المخلوقات ، وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيها أحد من المخلوقين ، ومن اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة خارج عن ملة الإسلام) [٢].

وقال العلامة المجلسي رحمه الله : (اعلم أن الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بإلوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في المعبودية أو في الخلق والرزق أو أن الله تعالى حل فيهم أو اتحد بهم ، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى أو بالقول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي .

والقول بكل منها إلحادٌ وكفرٌ وخروج عن الدين كما دلت عليه الأدلة العقلية والآيات والأخبار ...) [٣].

وقال العلامة الطباطبائي : (وأما قوله : ﴿ **قُلْ لاَّ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ** ﴾ [٤] فلا يدل إلاّ على اختصاص علم الغيب بالذات به تعالى كسائر آيات اختصاص الغيب به ، ولا ينفي علم الغير به بتعليم منه تعالى كما يشير إليه

(١) مجمع البيان ٤٤٧/٣.

(٢) مجمع البيان ٣٥٣/٥.

(٣) بحار الأنوار ٣٤٦/٢٥.

(٤) سورة النمل الآية : ٦٥.

قوله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [(١)] وقد حكى الله سبحانه نحواً من هذه الأخبار عن المسيح عليه السلام إذ قال: ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ [(٢)]، ومن المعلوم أن القائل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخبر الناس بما يكون في نحو لا ينفي كون ذلك بتعليم من الله له.

وقد تواترت الأخبار على تفرقها وتنوعها من طرق الفريقين على إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بكثير من الحوادث المستقبلية) [(٣)].

وقال الشيخ محمد تقي فلسفي: (إن علم الغيب في هذا العالم بأسره يختص به وحده وإن أي موجود آخر أرضياً كان أو سماوياً بشراً كان أو من غير البشر لا علم له بالغيب ولا يمكنه الدخول في هذا المجال المقدس بصورة مستقلة من تلقاء ذاته).

وقال: (ولكن هناك بعض الأشخاص يحظون — إلى حد ما — بمعرفة بعض الأمور الغيبية وذلك وفقاً لما تسمح به مشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته، وهذا ما نصّت عليه بعض آيات القرآن الكريم: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) [(٤)].

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾.

إذن فالطريقة الأولى للإطلاع على غيب العالم هي أن يأذن الله سبحانه بذلك.

---

(١) سورة الجن الآية: ٢٦-٢٧.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٤٩.

(٣) تفسير الميزان ٣٩٣/١٥.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٧٩.

فهناك أشخاص مقربون من الله وأوليائه المنتجبين الكرام تحدثوا خلال فترة وجودهم في هذه الدنيا عن الأمور الغيبية ، وهذا كان بإذن الله سبحانه وتعالى واستناداً إلى الإلهام الرباني) (١) .

وقال : (إن العلم بغيب هذا العالم والأمور الغيبية المرتبطة بسائر عوالم الوجود هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى الذي يختص وحده بهذا العالم . أما عندما يتحدث الأنبياء والأئمة في اليقظة عن أمور غيبية فهذا يكون بإذن من الله) (٢) .

وقال الشيخ محمد جواد مغنية : (إن كلمة الغيب لا تدل على معناها فحسب بل تدل أيضاً على أن الغيب لله وحده وبالإضافة إلى هذه الدلالة فإن أقرب الناس إلى ربه يعلن للأجيال بأن أمام الغيب بشر لا فرق بينه وبين غيره من الناس ، ثم لا يكفي بهذا الإعلان بل يستدل على ذلك بالحس والوجدان وهو أنه لو علم الغيب لعرف عواقب الأمور) (٣) .

وقال : (فلا يكون إخبار الرسول به –بالأمور الغيبية –علماً بالغيب ، بل نقلاً عمن يعلم الغيب ، والفرق بعيد بين مصدر العلم وبين النقل عن مصدره ، لأن الأول أصل والثاني فرع) (٤) .

وقال السيد أمير محمد الكاظمي : (ليس في الشيعة من يقول بأن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم الغيب من عند أنفسهم ، ومن ينسب ذلك إليهم فهو مفترٍ عليهم ، لأن علم

---

(١) المعاد بين الروح والجسد ٢٧٣/١-٢٧٤ .

(٢) المعاد بين الروح والجسد ٢٨١/١ .

(٣) الكاشف ٤٣١/٣-٤٣٢ .

(٤) الكاشف ٤٣٣/٣ .

الغيب مخصوص بالله وحده ، وإنما يقولون : إنهم ينبئون عن بعض المغيبات بتعليم الله لهـم ، وليس فـي هذا شيء من الغلو وإلاّ كان ما قصّه الله تعـالى عـن نبيـه عيسى عليه السلام بقوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ غلـواً بـاطلاً ، وهـو كفـر صراح) [1] .

وقال السيد محمد جواد فضل الله : (والواقع الذي لا جدال فيـه أن علـم الغيـب مـن حيث كونه صفة ذاتية مما يختص به سبحانه وتعالى ، الذي هـو عـالم الغيـب والـشهادة دون أن يشاركه فيه أي موجود مهما كانـت منزلتـه ، ومهمـا كـان مقامـه ، ومعنـى علـم الغيب هنا هو انكشاف واقع الأشياء ذاتاً دون الحاجة إلـى الإسـتعانة بـأي شـيء آخـر ، لتحقيق ذلك الانكشاف ، ولا يمكن نسبة علم الغيب بهذا المعنى للأئمة فإنه الغلو بل هو الشرك بعينه .

أمّا علم الغيب بمعنى انكشاف الواقع في بعض الحالات للنبي أو الإمام بمعونة من الله لاقتضاء بعض الضرورات الرسالية ، أو لإظهار تميز النبي أو الإمام عن غيره مـن البـشر الذي ربما يكون في بعض الحالات ضرورة رسـالية ملحة فلا نرى أي محـالية في نسبته للأئمة بل هو أمر ممكن عقـلاً قابليـة ووقوعـاً ، فـإذا ثبـت إمكانـه العقلـي ثبـت إمكانـه الوقوعي بالضرورة .

ويظهر من هذا أن الإتهام الظالم الـذي ألـصقه بعـض كـتبة التـاريخ — من القـدماء والمحدثين — بالشيعة من أنهـم يعتقـدون فـي أئمـتهم علـم الغيـب ، هـو مـن الـصفات المختصة بالله سبحانه وتعالى لا يعدو كونه تجن مفتعل وتجاوز على الحقيقة) [2] .

---

(١) محاور عقائدية صفحة ٣٢.

(٢) الإمام الصادق خصائصه مميزاته صفحة ٧٥- ٧٦.

وقال الشيخ غلام رضا كاردان : (تعتقد الشيعة الإمامية بأن الله عزّ وجل وحده يعلم الغيب والشهادة ، ولا أحد غيره يعلم ذاتاً بشيء ، وإنما علم كل عالم وجميع الكمالات الأخرى وأصحابها مملوكة لله عزّ وجل ولكن قد يُعلم الله عزّ وجل بعض الأشخاص من علمه بحسب المصلحة كما يقول القرآن المجيد : ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي من رُسُلِه مَنْ يَشَاءُ** ﴾ أو كما في قوله : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى من رَسُول** ﴾ فالمستفاد من الآيتين أن الله عزّ وجل قد يصطفي أحداً من أنبيائه فيطلعه على الغيب)[1] .

والباب الذي عنونه العلامة الكليني بقوله : « باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم » أورد تحته ست روايات ليس في واحدة منها ما يثبت أن الأئمة يعلمون الغيب بذاتهم كالباري جل ذكره بل هي صريحة في أن كل ما يعلمونه إنما هو بتعليم من ذي علم .

فالرواية الأولى : رواها العلامة الكليني بسنده عن سيف التمار قال : (كنا مع أبي عبد الله عليه السلام في جماعة من الشيعة في الحجرفقال : علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً فقلنا : ليس علينا عين ، فقال : وربّ الكعبة وربّ البنية — ثلاث مرات — لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما ، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله وراثة) .

ففي هذه الرواية نجد الإمام يطلب من أصحابه أن يتأكدوا من عدم وجود عين

(١) الرّد على شبهات الوهابية صفحة ١٥-١٦ .

للسلطة تتجسس عليهم ، ولو كان يعلم الغيب لما احتاج لأن يسأل أصحابه ولعلم ذلك بذاته ، وفيها نجده عليه السلام يقول : (وقد ورثناه من رسول الله وراثة) وهذا دليل على أن علمهم عليهم السلام ببعض الغيب مكتسب .

والرواية الثانية يقول فيها الإمام عليه السلام : (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون ، قال ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عزّوجل ، إن الله عزّ وجل يقول : فيه تبيان كل شيء)[1] .

وفي هذه الرواية عزى الإمام عليه السلام مصدر علمه بما ذكر إلى كتاب الله عزّ وجل الذي صرّح سبحانه وتعالى فيه بأن فيه تبيان كل شيء ، ولم يدعي العلم والمعرفة الذاتية بذلك .

والرواية الثالثة : يسأل فيها المفضل بن صالح الإمام الصادق عليه السلام فيقول : (جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء ؟ قال : لا ، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساء) .

وفي هذه الرواية يخبر الإمام أن الإمام المفترض الطاعة على العباد لا يعدم من قنوات الإتصال مع عالم الغيب والأدلة قائمة على أن ذلك يكون من خلال الإلهام أو تحديث الملائكة له فما يكشف له من غيب إنما هو ممن يعلم الغيب بالذات وهو الله عزّ وجل .

---

(١) هذا اقتباس معنى الآية وهي قوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل٨٩.

والرواية الرابعة : يقول فيها الإمام الباقر عليه السلام : (عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يكسرون حجتهم ويخصمون ألسنتهم بضعف قلوبهم فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان معرفتنا والتسليم لأمرنا ، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم ؟!

فقال له حمران : جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره ، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام يا حمران : إن الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ، ثم أجراه فبتقدم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام علي والحسن والحسين عليهم السلام ، وبعلم صمت من صمت منّا ، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجل وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزّ وجل أن يدفع عنهم ذلك وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم ، إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد ، وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله ، أراد الله أن يبلغوها ، فلا تذهبن بك المذاهب فيهم) .

والرواية صريحة في أن ما يعلمه الأئمة عليهم السلام هو من الله عزّ وجل .

والرواية الخامسة : يقول فيها الإمام عليه السلام لهشام بن الحكم : (... ويك يا هشام لا

يحتج الله تبارك وتعالى على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه).

وهي بعيدة كل البعد عن إثبات علم الغيب للإمام بل أقصى ما تفيده أن الإمام لا بدّ وأن يكون عنده علم ما يحتاج إليه الناس لكونه حجة عليهم ولم تشر هذه الرواية إلى مصدر هذا العلم.

والرواية السادسة: عن أبي حمزة قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا والله لا يكون عالم جاهلاً أبداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء، ثم قال: الله أجل وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه ثم قال: لا يحجب ذلك عنه).

وهذه تفيد أن علم الإمام مكتسب من الله عزّ وجل.

والخلاصة: لقد ثبت أن جميع الروايات التي ذكرها العلامة الكليني تحت الباب المذكور لا دلالة فيها على شيء مما حاول الجنيد إثباته، ولذلك رأيناه اكتفى بنقل عنوان الباب دون أن ينقل ما تضمنه الباب من روايات وهذا من تدليسه وتزويره.

ثم نقول: لو جاءت رواية ما في أي مصدر من مصادر الشيعة ومهما كانت درجة صحتها تحمل في مضمونها أن واحداً من البشر – إماماً كان أو غيره – يعلم الغيب بذاته كعلم المولى سبحانه به فإن لم يمكن تأويلها بما لا يتنافى مع ذلك فإن الشيعة الإمامية الإثني عشرية يضربون بها عرض الجدار.

وعليه فالفرية القائلة بأن الشيعة يقولون بأن أئمتهم يعلمون الغيب كعلم الله به التي يحاول البعض إلصاقها بهم، هم منها براء، براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام.

ثالثاً: أمّا حول عنوان الباب: « أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود ولا يسألون عن البينة » فإن العلامة الكليني رحمه الله أورد في هذا الباب خمس روايات مفادها أنه عندما يظهر أمر أهل البيت يوم أن يحكم المعمورة خليفة الله في أرضه الإمام

الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري المهدي عجل الله فرجه فإنه سيقضي بين الناس بحكم نبي الله داود عليه السلام ، فكما أن داود عليه السلام قضى بين الناس بما آتاه الله من العلم والحكمة وفصل الخطاب وبما أوحي إليه فكذلك الإمام المهدي عليه السلام يحكم بما آتاه الله من العلم والحكمة وبما يلهمه عزّ وجل أو يحدثه به الملك ، فلا يحتاج في قضائه وحكمه إلى بينة أو شهادة شاهد وإنما تكشف له حقيقة القضايا وتظهر له جهة الحق وجهة الباطل فيها ، وإذْ لم يكن حكم داود عليه السلام خلاف الحق وتعاليم الله عزّ وجل فكذلك حكم المهدي عليه السلام لن يكون خلاف الشرع الشريف فلا ندري ما هو الإشكال على الشيعة في ذلك ، فالجنيد انتقى هذه العناوين من بين عناوين كثيرة لأبواب كتاب الكافي وحاول تمريرها والخداع بها في حواره الهادئ ! مكتفياً بذلك دون أن يبين وجه الإشكال حولها .

رابعاً : وحول عنوان الباب : « أن الأئمة يعرفون جميع الكتب على اختلاف ألسنتها» فلا يوجد مانع يمنع من ذلك ولا يعد أمراً مستحيلاً ، ولقد قرأت وسمعت بل أعرف أشخاصاً يجيدون أكثر من سبع لغات قراءة وكتابة فإذا كان ذلك حاصل بالنسبة للإنسان العادي فكيف بأئمة الهدى ومصابيح الدجى أئمة أهل البيت ورثة علوم الأنبياء والأوصياء عليهم جميعاً من الله آلاف التحية والصلاة والسلام ؟

خامساً : وأمّا حول « أنه لم يجمع القرآن كله إلاّ الأئمة » فقد أوضحنا هذا المعنى فيما سبق .

سادساً : وأمّا بالنسبة لعنوان الباب : « أنه ليس من الحق في أيدي الناس إلاّ ما خرج من عند الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل » فإن العلامة الكليني قدس سره ذكر تحت هذا العنوان ست روايات وأهم ما يمكن أن يستنتج منها أن ما خرج إلى

الناس عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام من تعاليم الشريعة الإسلامية الغراء — سواء كان ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة الهداة عليهم السلام - فهو الحق والصح والصواب ، وأن ما خرج من غير طريق أهل البيت عليهم السلام فيحتمل فيه الصح ويحتمل فيه الخطأ وذلك لأنهم عليهم الصلاة والسلام معصومون لا يمكن وقوعهم في الخطأ أو الإشتباه أو ما شابه .

سابعاً : إذا كان الإمام هو خليفة الله في أرضه مخوّل فيها منه سبحانه وله حق التصرف فيها كيف شاء وكيف ما أراد فلا يبقى وجه للإشكال على الشيعة بما ذكره الكليني وأشارت إليه الروايات « أن الأرض كلها للإمام » .

الفصل الحادي عشر
محاولة الجنيد إشراك زوجات النبي (ص) مع أهل البيت في آية التطهير

قال الجنيد : (غير أنهم –أهل السنة –يقولون إن عائشة رضي الله عنها من أهل بيته) .

ثم قال في هامش الصفحة : (الأدلة على ذلك كثيرة من القرآن :

(١) قول امرأة العزيز ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي أراد سوءاً بزوجته .

(٢) لما خاطبت الملائكة زوجة إبراهيم قالت ﴿ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ وقال تعالى ضمن خطابه الموجه إلى نساء النبي ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وقد اعترض البعض بأن الضمير «عنكم» جاء بصيغة التذكير ولو كان عائداً على الزوجات لجاء بصيغة التأنيث « عنكن» والجواب على ذلك يتضح في الجواب .

(٣) قال تعالى حاكياً عن موسى ﴿ قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ قال مفسّروا الشيعة : أي قال لامرأته [انظر مجمع البيان للطبرسي ٤: ٢١١ و٤: ٢٥٠ ، والقمي ٢: ١٣٩ ، والكاشاني في تفسير منهج الصادقين ٧: ٩٥] .

إذن فقال موسى لأهله « امكثوا » ولم يقل « امكثن » مع أن خطابه إنما كان لزوجته

باعتراف مفسري الشيعة .

(٤) قال تعالى للوط : ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ ﴾ فهذا دليل على أن لفظ الأهل يشملها ، إذ لو أنها آمنت لكانت من الناجين من أهله ، ولو أنها لم تكفر لم يحصل استثناءها من أهله)[1] .

أقول : لا أحد ينكر أن لفظة « أهل » قد تستخدم مع القرينة ويراد بها الزوجة ، أما إذا كان يريد أن يثبت أن آية التطهير ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ نزلت في زوجات النبي ﷺ وأن مفهوم أهل البيت فيها خاص بهنّ — كما هو ظاهر كلامه — أو أنه يشملهن فهذا مردود للآتي :

أولاً : إن النبي ﷺ خص آية التطهير ومفهوم أهل البيت فيها به وبعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم من زوجاته وأقربائه ، وهذا مما صرحت به الروايات المتواترة عند أهل السنة ، نذكر بعضاً منها تأكيداً وتأييداً لصحة ما نقول :

أخرج الترمذي في سننه عن عطاء بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال : (لما نزلت هذه الآية على النبي (ص) : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٤٠.

قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك وإنك على خير)[1] .

وأخرج النسائي في كتابه خصائص الإمام علي عليه السلام عن سعد بن أبي وقاص قال : (أمر معاوية سعداً فقال : ما منعك أن تسبّ أبا تراب ؟ فقال : إني ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله (ص) فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منها أحبّ إليّ من حمر النعم ، سمعت رسول الله (ص) يقول له وخلفه في بعض مغازيه ، فقال علي : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله (ص) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي ؟ وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا إليها فقال : ادعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ، ولما نزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي)[2] .

وأخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه عن عائشة قالت : (خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾)[3] .

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني ٣٠٦/٣ حديث رقم : ٣٢٠٥ وحكم عليه بالصحة ، وذكره أيضاً في نفس المصدر ٥٤٣/٣ حديث رقم : ٣٧٨٧ وحكم عليه بنفس الحكم .

(٢) خصائص الإمام علي للنسائي صفحة ٣٢ حديث رقم : ٩ وقال محقق الكتاب الشيخ أبو إسحاق الحويني الأثري عن هذا الحديث « إسناده صحيح » .

(٣) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤ .

فهذه الروايات صريحة وظاهرة في تخصيص الآية الكريمة –آية التطهير– ومفهوم أهل البيت فيها بأصحاب الكساء عليهم السلام، وبعد هذا التخصيص منه صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز لأحد أن يجتهد مقابل هذا النص والإدعاء بخلاف ما نص عليه نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم فكل من قال بغير ما تثبته هذه الروايات الصحيحة فقد اجتهد في مقابل النص الصريح وهو من الكبائر العظام.

ثانياً: لقد صرّح العديد من علماء أهل السنة باختصاص الآية الكريمة بأصحاب الكساء:

قال أبو بكر الحضرمي: (والذي قال به الجماهير من العلماء وقطع به أكابر الأئمة وقامت به البراهين وتظافرت به الأدلة أن أهل البيت المرادين في الآية هم سيدنا علي وفاطمة وابناهما، وما تخصيصهم بذلك إلاّ عن أمر إلهي ووحي سماوي).

وقال: (والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبما أوردته منها يعلم قطعاً أن المراد بأهل البيت هم علي وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم، ولا التفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان من أن تخصيص الخمسة المذكورين بكونهم من أهل البيت من أقوال الشيعة لأن ذلك محض تهوّر يقتضي بالعجب، وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنة السنية يسفر الصبح لذي عينين) [1].

وقال السمهودي: (وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد من الآيتين –آية المباهلة وآية التطهير–) [2].

وقال الطحاوي في مشكل الآثار تحت عنوان « باب بيان مشكل ما روي عنه (ص)

---

(١) رشفة الصادي ١٣ – ١٤ الباب الأول.

(٢) جواهر العقدين صفحة ٢٠٤ الباب الأول.

في المراد بقول الله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ من هم ؟ » قال : (حدثنا الربيع المرادي ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا حاتم بن سليمان ، حدثنا بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : لمّا نزلت هذه الآية دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي) .

ثم قال الطحاوي : (ففي هذا الحديث أن المرادين بما في هذه الآية هم رسول الله (ص) وعلي وفاطمة وحسن وحسين) .

ثم قال : (حدثنا فهد ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، عن جعفر بن عبد الرحمن البجلي ، عن حكيم بن سعد ، عن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية في رسول الله (ص) وعلي وفاطمة وحسن وحسين ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾) .

ثم قال الطحاوي : (ففي هذا الحديث مثل الذي في الأول) .

وقال بعد أن ذكر مجموعة من الروايات لحديث الكساء من طريق السيدة أم المؤمنين أم سلمة رضوان الله تعالى عليها : (فدل ما روينا في هذه الآثار مما كان من رسول الله (ص) إلى أم سلمة مما ذكر فيها لم يرد به أنها كانت ممن أريد به ما في الآية المتلوة في هذا الباب ، وأن المرادين فيها هم رسول الله (ص) وعلي وفاطمة وحسن وحسين ، دون من سواهم) [(١)] .

وقال العلامة يوسف بن موسى الحنفي (أبو المحاسن) : (روي أن رسول الله (ص) لما نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

---

(١) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٤٧٦/٨.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي، وروي أنه جمع (علياً) وفاطمة والحسن والحسين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر إلى الله تعالى، رب هؤلاء أهلي، قالت أم سلمة: يا رسول الله فتدخلني معهم؟ قال: أنت من أهلي يعني من أزواجه كما في حديث الإفك: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، لا أنها أهل الآية المتلوة في هذا الباب.

يؤيده ما روي عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بيتي فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: أنت على خير، إنكِ من أزواج النبي، وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين ...) إلى أن قال: (وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ استئناف تشريعاً لأهل البيت وترفيعاً لمقدارهم ألا ترى أنه جاء على خطاب المذكر فقال «عنكم» ولم يقل «عنكن» فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية، يدل عليه ما روي أن رسول الله (ص) كان إذا صبح الصبح أتى باب فاطمة فقال: السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)[1].

وقال ابن عساكر بعد أن ذكر رواية عن أم سلمة قالت فيها: (وأهل البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين) قال: (هذا حديث صحيح).

ثم قال: (وقولها وأهل البيت هؤلاء الذين ذكرتهم إشارة إلى الذين وجدوا في البيت في تلك الحالة، وإلاّ فآل رسول الله (ص) كلهم من أهل البيت، والآية نزلت خاصة في هؤلاء المذكورين، والله أعلم)[2].

---

(١) معتصر المختصر ٢/٢٦٦ — ٢٦٧.

(٢) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين صفحة ١٠٦.

وقال العلامة الشوكاني وهو يرد على من قال بأن الآية في نساء النبي ﷺ: (ويجاب عن هذا الجواب بأنه قد ورد الدليل الصحيح أنها نزلت في علي وفاطمة والحسنين)[١].

وقال العلامة سيدي محمد حبسوس : (ثم جاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معهم ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، وفي ذلك إشارة إلى أنهم هم المراد بأهل البيت في الآية)[٢].

وقال العلامة محمد أحمد بنيس : (﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ أكثر المفسرين أنها نزلت في علي وفاطمة والحسنين رضي الله عنهم)[٣].

وقال توفيق أبو علم وهو يرد على عبدالعزيز البخاري : (أما قوله : أن آية التطهير المقصود بها الأزواج فقد أوضحنا بما لا مزيد عليه أن المقصود من أهل البيت هم العترة الطاهرة لا الأزواج)[٤].

وقال العلامة السيد حسن السقاف : (وأهل البيت هم سيدنا علي والسيدة فاطمة وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وذريتهم من بعدهم ومن تناسل منهم للحديث الصحيح الذي نص النبي ﷺ فيه على ذلك ، ففي الحديث الصحيح : نزلت هذه

---

(١) إرشاد الفحول صفحة ١٥٢ .

(٢) شرح الشمائل ١٠٧/١.

(٣) لوامع الكوكب الدري ٨٦/٢.

(٤) أهل البيت صفحة ٣٥.

الآية على النبي ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟! قال : أنت على مكانك وأنت إلى خير) [1] .

وقال في هامش صفحة ٦٥٧ من صحيح شرح العقيدة الطحاوية وهو يرد على الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حول قوله : (وتخصيص الشيعة لأهل البيت في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم دون نسائه (ص) من تحريفهم لآيات الله تعالى انتصاراً لأهوائهم كما هو مشروح في موضعه) .

فقال السقاف رداً عليه : (وهذا من تلبيساته وتحمله في رد السنة الثابتة في تفسيره لأهل البيت ، وهو بهذا أراد أن يلبس على القارئ بأن من قال إن أهل البيت هم أهل الكساء أنهم الشيعة ! والحق أن من قال ذلك جميع أهل السنة والجماعة وقبلهم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، ولكن هذا هو النصب الذي يفضي بصاحبه إلى ما ترى كما شرحنا في موضعه) .

أقول : ردّ السقاف لكلام الألباني قوي ومتين ، فالحديث النبوي الصحيح عندهم وعندنا يحصر المقصودين بأهل البيت في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وقد ورد عندنا بالدليل المعتبر أن النبي ﷺ أضاف بعد الحسن والحسين تسعة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام آخرهم المهدي ، إلاّ أن قول السقاف : (وذريتهم من

(١) صحيح شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٦٥٥ .

بعدهم ومن تناسل منهم) فلم تدل عليه رواية واحدة بل الدليل العقلي والنقلي على ضده ، إذ كيف يكون كل من تناسل من ذرية علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام مطهراً من المعاصي ، وفيهم الفساق والفجار ، بل فيهم الكفار ؟!.

ثالثاً : لم تدّع أي واحدة من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختصاص الآية الكريمة بهن ولا حتى شمولها لهن ولا أثر ذلك عن أي منهن مع أن المعلوم للجميع بأن عائشة كانت حريصة على بيان ما يمكن أن يكون فضيلة لها ، بل نلاحظ أنها والسيدة أم سلمة روتا اختصاص الآية بأصحاب الكساء .

يقول ابن الجوزي وهو يذكر الآراء حول المعنيين بآية التطهير ، ومفهوم أهل البيت فيها : (والثاني : أنه خاص في رسول الله (ص) وفاطمة والحسن والحسين ، قاله أبو سعيد الخدري ، وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك)[1] .

فهل صار الجنيد ملكياً أكثر من الملك نفسه ؟!.

وإذا كانت آية التطهير أو مفهوم أهل البيت فيها يشمل زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا لم يجلل النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوجاته بالكساء ؟ لماذا خص نفسه وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بالتجليل فقط ؟ لماذا منع أم سلمة من الدخول معهم تحت الكساء ؟ إن كل ذلك يفيد أنه لا الزوجات ولا بقية أقرباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخلون أو يندرجون تحت مفهوم أهل البيت عليهم السلام في هذه الآية إلاّ من ذكرنا .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣٨١/٦ – ٣٨٢.

الفصل الثاني عشر
إتهام الجنيد الشيعة بالطعن في عائشة !

قال الجنيد : (إن الطعن في عائشة طعن في النبي (ص) لأن الله يقول : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ فهل كان رسول الله يقتني خبيثة في بيته ويقره الله على ذلك ؟! إن كتب الشيعة لم تخل من الطعن في عائشة وحفصة لقد زعموا أن رسول الله (ص) أشار إلى بيت عائشة وقال : « رأس الكفر من هاهنا » وأن عائشة وحفصة دبّرتا السّم لرسول الله (ص) لقتله) [1].

أقول : الذي ينتقده الشيعة الإمامية الإثنا عشرية من أفعال أم المؤمنين عائشة هو موقفها السلبي من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخروجها من بيتها بعد أن أمر الله عزّ وجل زوجات نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالقرار في بيوتهن [2] لقتاله — وهو إمام زمانها — مع سماعها النهي الصريح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها عن الخروج لقتاله [3] زاعمة أنها تطالب بدم عثمان بن عفان وهي التي ألبت عليه المسلمين من قبل ، ويستنكرون من

---

(١) حوار هادئ صفحة ٤٠ — ٤١.

(٢) قال تعالى مخاطباً زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) .

(٣) أخرج نعيم بن حماد في كتابه الفتن صفحة ٨٤ حديث رقم : ١٨٩ قال : حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن طاؤوس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لنسائه : أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب ماء كذا وكذا ، إياك يا حميراء ، يعني عائشة .

أعمالها أيضاً ركوبها بغلاً وإفصاحها عن عدم رغبتها في دفن الإمام الحسن عليه السلام بالقرب من قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم ظناً منها أن بني هاشم جاؤوا بجنازته إلى قبر جده لهذا الغرض بل كل مواقفها السلبية من أهل البيت عليهم السلام.

أمّا أن الطعن في زوجة النبي طعن فيه فليس على إطلاقه، فهذا القرآن الكريم قد طعن في زوجة النبي نوح عليه السلام وزوجة النبي لوط عليه السلام ولا يوجد طعن أعظم من الطعن بالكفر فعلى قول الجنيد يكون الله سبحانه وتعالى قد طعن في نبيه نوح ونبيه لوط عليهما السلام حين طعن في زوجتيهما بالكفر والخيانة.

ويكون أهل السنة هم الذين طعنوا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما رووا في مصنفاتهم أن عائشة وحفصة تواطأتا على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة المغافير المعروفة والمخرجة في أصح الكتب لديهم، لأن وصف عائشة أو حفصة بالكذب طعن فيهما، ووفق كلام الجنيد يكون ذلك طعن في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنها قالت: (إن النبي (ص) كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي (ص) فلتقل إني لأجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال: لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك إلى أن تتوبا إلى الله لعائشة وحفصة وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه)[1].

وإذا كان الجنيد يقصد الطعن في العرض فإن الشيعة الإمامية الإثني عشرية يقولون بطهارة ونزاهة أعراض الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) صحيح البخاري ١٦٧/٦.

يقول السيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله : (... ولذا صرّح فقيه الطائفة وثقتها أستاذنا المقدس الشيخ محمد طه النجفي أعلى الله مقامه وهو على منبر الدرس بوجوب عصمتها – أي عائشة – من مضمون الإفك عملاً بما يستقل بحكمه العقل من وجوب نزاهة الأنبياء عن أقل عائبة ولزوم طهارة أعراضهم عن أدنى وصمة ، فنحن والله لا نحتاج في براءتها إلى دليل ولا نجوّز عليها ولا على غيرها من أزواج الأنبياء والأوصياء كل ما كان من هذا القبيل .

قال سيدنا الإمام الشريف المرتضى علم الهدى في المجلس ٣٨ من الجزء الثاني من أماليه رداً على من نسب الخنا إلى إمرأة نوح ما هذا لفظه : « إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب عقلاً أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تشين وتغض من القدر ، وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً لكل ما ينفر عن القبول منهم ... » إلى آخر كلامه الدال على وجوب نزاهة إمرأة نوح وإمرأة لوط من الخنا وعلى ذلك إجماع مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علمائهم) [1] .

أما استشهاد الجنيد بقوله تعالى : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ ثم تعقيبه على ذلك بقوله : (فهل كان رسول الله يقتني خبيثة في بيته ويقرّه الله على ذلك ؟!) .

فنقول في جوابه – فقط لبيان خطأ استدلاله هذا – : لقد كانت زوجتا نوح ولوط وهما نبيان كافرتين ومع ذلك بقيتا في بيتيهما وأقرّهما الله على ذلك فلم يأمرهما بفراقهما إلى أن أهلكهما الله ، فلا أعلم بماذا سيجيب الجنيد ؟! .

---

(١) الفصول المهمة صفحة ٢١٠ – ٢١١.

ثم لا أدري ماذا سيقول الجنيد عن الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قام خطيباً (فأشار إلى نحو مسكن عائشة فقال : ها هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان) [١] .

وروايات الشيعة تفيد أن النبي ﷺ قد سمّ من قبل إمرأة يهودية وليس بيد عائشة أو حفصة ففي بصائر الدرجات يروي الصفار بسند حسن عن الإمام الصادق عليه السلام قال : سمت اليهودية النبي ﷺ في ذراع ، قال : وكان رسول الله ﷺ يحب الذراع والكتف ويكره الورك لقربها من المبال ، قال : لما أوتي بالشواء أكل من الذراع وكان يحبها فأكل ما شاء الله ثم قال الذراع : يا رسول الله إني مسموم فتركه وما زال ينتقض به سمه حتى مات ﷺ [٢] .

ويؤيده ما رواه الصفار أيضاً في نفس المصدر بسنده عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال : سم رسول الله ﷺ يوم خيبر فتكلم اللحم فقال : يا رسول الله إني مسموم قال : فقال النبي ﷺ عند موته : اليوم قطعت مطاياي الأكلة التي أكلت بخيبر وما من نبي ولا وصي إلاّ شهيداً [٣] .

---

(١) صحيح البخاري ١١٣٠/٣ برقم : ٢٩٣٧ .

(٢) بصائر الدرجات صفحة ١٤٨ .

(٣) نفس المصدر السابق .

الفصل الثالث عشر
الشيعة والصحابة

قال الجنيد تحت عنوان « موقف أهل السّنة من الصحابة » : (أما فيما يتعلق بأصحاب النبي (ص) فإن قلوب أهل السنة سليمة تجاههم ، ويقولون بأن شرف صحبة النبي شرف لا يساويه شرف .

ويحفظون وصية نبيهم (ص) فيهم : « ولا تسبوا أصحابي » فلا يسبون أحداً من المهاجرين ولا من الأنصار بعد أن قال الله : ﴿ لَّقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ التوبة : ١١٧ .

إن السب واللعن ليس من سمات المؤمنين الورعين وإنما كان يفعل ذلك المنافقون في عهد النبوة حيث نقل القرآن شيئاً من ذلك : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة : ٧٩) [١] .

أقول : أولاً : مما لا شك ولا شبهة فيه أن مصاحبة النبي ﷺ شرف عظيم ولكن الصحبة بذاتها ليست عاصمة لأحد من الضلالة والإنحراف ، وهذا الرجل يصوّر الشيعة وكأن شغلهم الشاغل هو سب الصحابة ! فسب المسلم المؤمن حرام عند

---

(١) حوار هادئ صفحة ٤٢.

الشيعة ، نعم الشيعة في مقام الإحتجاج وإثبات الحقائق التاريخية والبحث في عدالة أو عدم عدالة رواة الحديث النبوي الشريف أو غير ذلك يتعرضون بالحديث عن بعض الصحابة ومواقفهم الإيجابية أو السلبية وموارد التزامهم بالشريعة وموارد عدم الإلتزام ، وسيرتهم الحسنة أو السيئة ، وأكثر ما يستشهد الشيعة على ذلك من كتب أهل السنة وتصريحات علمائهم ، فإذا كان ذلك سبّاً فإن أولى من يرمى بالقول بسب الصحابة هم أهل السنة لا الشيعة ، أما مسألة اللعن وزعمه أن ذلك ليس من صفات المؤمنين الورعين وإنما هو من صفات المنافقين فهو مجازفة منه وكلام من ليس له علم بكتاب الله عزّوجل وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فالله عزّوجل قد لعن في القرآن الكريم أقواماً وأفراداً ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد فعل مثل ذلك ، فالشيعة إن صدر منهم لعن لأحد فإنما يلعنون من ثبت لديهم أنه يستحق اللعن .

ثانياً : وإذا كان السب واللعن ليس من سمات المؤمنين الورعين وإنما كان يفعل ذلك المنافقون كما يقول الجنيد ، فهل ينطبق كلامه هذا على من سبّ علياً عليه السلام بدءاً بمعاوية بن أبي سفيان وبني أمية وإنتهاء بكل ناصبي نال وينال من أمير المؤمنين علي عليه السلام فيحكم بنفاقهم أم أن المكيال هنا آخر ؟!

قال الجنيد : (أمّا الشيعة فقد كثر تعرّضهم لأصحاب النبي (ص) حتى زعموا أنهم ارتدوا على أعقابهم بعد موته إلاّ ثلاثة : أبو ذر وسلمان الفارسي والمقداد ، وأن من شكّ في كفرهم فهو كافر)[1] .

أقول : أولاً : إن الشيعة الإمامية الإثني عشرية يلتزمون بالولاء لمن التزم بتعاليم

---

(١) حوار هادئ صفحة ٤٣.

الشريعة الغراء وقيمها صحابياً كان أو غيره، ويتبرؤون ممن غيّر وبدّل وحرّف في شريعة محمد ﷺ وضرب بتعاليمها عرض الجدار صحابياً كان أو غيره، ولذلك يمارسون الدعاء لأصحاب محمد ﷺ المخلصين حيث يقرؤون الدعاء المشهور عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وهو الإمام الرابع من أئمتهم والذي يقول فيه: «... اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وفارقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، ومن كانوا منظومين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ... الخ».

فرأي الشيعة في الصحابة هو الرأي الوسط الذي يدعمه القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وأهل بيته المطهرة، وواقع حال هؤلاء الصحابة وما أثر لنا من سيرتهم وحياتهم، يقول السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي قدس سره: «إن من وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء إذ لم نفرّط فيه تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعاً ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم أجمعين، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة، وقال أهل السنة بعدالة كل فرد ممن سمع النبي ﷺ أو رآه من المسلمين مطلقاً واحتجوا بحديث كل من دبّ أو درج منهم أجمعين أكتعين أبصعين، أما نحن فإن الصحبة بمجرّدها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة لكنها ـ بما هي من حيث هي ـ غير عاصمة فالصحابة كغيرهم منهم العدول وهم عظماؤهم وأولياء هؤلاء، ومنهم البغاة ومنهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة، أمّا البغاة على الوصي أخي النبي وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطأة

وأمثالهم فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم ، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى يتبين أمره ... »[(١)] .

فمن يتهم الشيعة بأنهم يقولون بارتداد جميع الصحابة عن الدين إلاّ ثلاثة أو أربعة فما هو إلاّ مفتر كذاب ، فرأي الشيعة يؤخذ من أفواه علمائهم المتفق عليه بينهم ، وما ذكرته من كلام للعلامة شرف الدين هو الرأي المتفق عليه والسائد بين علماء الشيعة بالنسبة للصحابة ، وعليه فلا يلزمون برواية رواها فلان أو علان ، وقد قلنا مراراً أن للشيعة في قبول الرواية والعمل عليها والقول بمضمونها شروطاً ، وليس صحة السند إلاّ شرطاً واحداً من هذه الشروط ، فالرواية القائلة بأن الصحابة جميعهم ارتدوا إلاّ ثلاثة أو أربعة لا يمكن قبولها على ظاهرها فلا بد من طرحها أو تأويلها كأن يراد بالارتداد فيها التخلف عن إحدى أهم الواجبات الدينية وهي ولاية الإمام علي عليه السلام أو عن نصرته عندما اعتدي عليه وأخذ منه حقه الذي جعله الله عزّ وجل ورسوله له ، وليس الارتداد عن الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله .

كتب أهل السنة تصرّح بارتداد جماعة من الصحابة ودخولهم النار

ثانياً : إن صحاح ومسانيد وكتب السنن والأحاديث عند أهل السنة مليئة بالروايات التي تصرّح بأن جماعة ليست بالقليلة من الصحابة سيرتدون ويغيّرون ويبدلون في شريعة الإسلام بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنهم سيذادون عن الحوض يوم القيامة ويؤمر بهم إلى النار ، وروراياتهم في ذلك متواترة ، فقد إثر حديث الإرتداد هذا عن جماعة من الصحابة منهم :

---

(١) أجوبة مسائل جار الله صفحة ١٤ — ١٥.

١- حذيفة بن اليمان

أخرج روايته أحمد بن حنبل في مسنده قال : (حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشيم عن المغيرة ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود وحصين عن أبي وائل ، عن حذيفة قالا : قال رسول الله (ص) : أنا فرطكم على الحوض أنظركم ليرفع لي رجال منكم حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) [١].

وأخرجه بنفس اللفظ أو باختلاف يسير فيه نعيم بن حماد في كتابه الفتن [٢]، وابن أبي شيبة في مصنّفه [٣].

٢ – أنس بن مالك

أخرج روايته مسلم بن الحجاج في صحيحه قال : (وحدثني محمد بن حاتم ، حدثنا عفان بن مسلم الصفار ، حدثنا وهيب ، قال : سمعت عبد العزيز بن صهيب يحدث قال : حدثنا أنس بن مالك أن النبي (ص) قال : ليردن عليّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصيحابي أصيحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) [٤].

---

(١) مسند أحمد ٣٩٣/٥ حديث رقم : ٢٣٣٨٥ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (هذا الحديث له إسنادين ، الأول إسناده صحيح ، والإسناد الثاني رجاله ثقات رجال الصحيح) ، وأخرجه بنفس اللفظ أو باختلاف يسير فيه في نفس المصدر ٤٠٠/٥ حديث رقم : ٢٣٤٤١.

(٢) الفتن ٨٧/١ برقم : ٢٠٠.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة ٤٥٥/٧ حديث رقم : ٣٧١٧٧.

(٤) صحيح مسلم ١٨٨/٤ برقم : ٢٣٠٤.

٣ – نفيع بن الحارث (أبو بكرة)

أخرج روايته أحمد بن حنبل في مسنده قال : (حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنا علي بن زيد عن الحسن ، عن أبي بكرة أن رسول الله (ص) قال : ليردن عليّ الحوض رجال ممن صحبني ورآني حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[1].

وأخرجه أيضاً بنفس اللفظ أو باختلاف يسير فيه الطبراني في مسند الشاميين[2] وابن أبي شيبة في مصنّفه[3] وابن عساكر في تاريخ دمشق[4].

٤ – سمرة بن جندب

أخرج روايته الطبراني في المعجم الأوسط قال : (حدثنا محمد بن جعفر نا الحسن ابن بشر ، حدثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله (ص) : يرد عليّ قوم ممن كانوا معي فإذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني فأقول يا رب أصيحابي أصيحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[5].

٥ – عمر بن الخطاب

أخرج روايته البزار في مسنده قال : (حدثنا الفضل بن سهل ، قال : نا مالك بن

---

(١) مسند أحمد ٤٨/٥ برقم : ٢٠٥١٢ ، وأخرجه أيضاً في نفس المصدر ٥٠/٥ برقم : ٢٠٥٢٦.

(٢) مسند الشاميين للطبراني ٣٤/٤ برقم : ٢٦٦٠.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة ٢٠٧/٦ برقم : ٣١٦٧٣.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٨/٣٦.

(٥) المعجم الأوسط ٣٥١/٦ برقم : ٦٥٩٨.

إسماعيل ، قال : نا يعقوب بن عبدالله العمي ، عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله (ص) : إني ممسك بحجزكم هلمّ عن النار وأنتم تهافتون فيها أو تقاحمون تقاحم الفراش في النار والجنادب — يعني في النار — وأنا ممسك بحجزكم ، وأنا فرط لكم على الحوض فتردون عليّ معاً وأشتاتاً فأعرفكم بسيماكم وأسمائكم كما يعرف الرجل الفرس ، وقال غيره كما يعرف الرجل الغريبة من الإبل في إبله ، فيؤخذ بكم ذات الشمال فأقول إليّ يارب أمتي أمتي ، فيقول : أو يقال : يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[1].

وأخرجه باللفظ المذكور أو باختلاف يسير فيه ابن أبي شيبة في مصنّفه[2]، والقضاعي في مسند الشهاب[3]، ويعقوب السدوسي في مسند عمر بن الخطاب[4]، وابن حجر في المطالب العالية[5]، والهيثمي في مجمع الزوائد[6].

٦ — عبدالله بن عباس

أخرج روايته البخاري في صحيحه قال : (حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثنا المغيرة بن النعمان قال : حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ص) قال : إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ

---

(١) مسند البزار ٣١٤/١ برقم : ٢٠٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣٠٩/٦ برقم : ٣١٦٧٨.

(٣) مسند الشهاب ١٧٥/٢ برقم : ١١٣٠.

(٤) مسند عمر بن الخطاب صفحة ٨٤.

(٥) المطالب العالية ٥٤٩/٩ برقم : ٢٠٨٠.

(٦) مجمع الزوائد ٨٥/٣ وقال : (رواه أبو يعلى في الكبير والبزار ... ورجال الجميع ثقات).

وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْحَكِيمُ ﴾)[١].

وأخرجه بنفس اللفظ أو باختلاف فيه مسلم بن الحجاج في صحيحه[٢] والنسائي في السنن الكبرى[٣] ، والترمذي في جامعه الصحيح[٤] ، والطبراني في المعجم الكبير[٥] ، وأحمد بن حنبل في مسنده[٦] ، ويعقوب السدوسي في مسند عمر بن الخطاب[٧] ، والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٨] .

وفي لفظ آخر أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط قال : (حدثنا محمد بن المنهال أخو حجاج ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدثنا ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : أنا آخذ بحجزكم أقول اتقوا النار واتقوا الحدود !

---

(١) صحيح البخاري ١٢٢٢/٣ برقم : ٣١٧١ ، وأيضاً في نفس المصدر ١٢٧٢/٣ برقم : ٣٢٦٣ و١٦٩١/٤ برقم : ٤٣٤٩ و١٧٦٦/٤ برقم : ٤٤٦٣ .

(٢) صحيح مسلم ٢١٩٤/٤ برقم : ٢٨٦٠ .

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٣٣٩/٦ برقم : ١١١٦٠ .

(٤) الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٦١٥/٤ برقم : ٢٤٢٣ وقال : (هذا حديث حسن صحيح) و٣٢١/٥ برقم : ٣١٦٧ وقال : (هذا حديث حسن صحيح) .

(٥) المعجم الكبير ٩/١٢ برقم : ١٢٣١٢ .

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٢٥٣/١ برقم : ٢٢٨١ .

(٧) مسند عمر بن الخطاب صفحة ٨٩ و٩٠ .

(٨) تاريخ مدينة دمشق ٢٢٣/٦ ، ٢٤٥ .

ثلاثاً ، ثم أنا فرطكم على الحوض فمن ورد فقد أفلح ، فيؤتى برجال حتى إذا عرفتهم وعرفوني اختلجوا دوني فأقول رب أصحابي فيقال لم يزالوا يرتدون على أعقابهم)[١] .

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده باختلاف يسير في اللفظ ، والهيثمي في مجمع الزوائد[٢] وقال : (رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه ... والبزار وفي إسناده عندهم ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجالهم ثقات) .

٧ – أبو سعيد الخدري

أخرج روايته أبو يعلى الموصلي في مسنده قال : (حدثنا زهير ، حدثنا أبو عامر عن زهير عن عبد الله بن محمد عن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول على هذا المنبر : ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله (ص) لا تنفع قومه بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة ، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض فإذا جئتم قال رجل : يا رسول الله أنا فلان بن فلان وقال آخر : أنا فلان بن فلان فأقول أما النسب فقد عرفته ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى)[٣] .

ورواه عن أبي يعلى الهيثمي في مجمع الزوائد[٤] وقال : (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد بن عقيل وقد وثق) .

---

(١) المعجم الأوسط ١٨٥/٣ برقم : ٢٨٧٤ .

(٢) مجمع الزوائد ٣٦٤/١٠.

(٣) مسند أبي يعلى ٤٣٣/٢ حديث رقم : ١٢٣٨ .

(٤) مجمع الزوائد ٣٦٤/١٠.

وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده [(١)] وعبد حميد في مسنده [(٢)].

٨ – أبو هريرة الدوسي

أخرج روايته البخاري في صحيحه قال: (حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا محمد بن فليح، حدثنا أبي قال: حدثني هلال عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟

قال: إلى النار والله.

قلت: وما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى.

ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟.

قال: إلى النار والله.

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم) [(٣)].

وفي لفظ آخر عن أبي هريرة أخرجه أحمد في مسنده قال: (حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة، عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة يحدث أن رسول الله (ص) قال: والذي نفسي بيده لأذودنّ رجالاً منكم عن حوضي كما تذاد الغريبة من

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١٨/٣ برقم: ١١١٥٤.

(٢) مسند عبد حميد ٣٠٤/١ برقم: ٩٨٦.

(٣) صحيح البخاري ٢٤٠٧/٥ برقم: ٦٢١٥.

الإبل عن الحوض)[١].

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

وفي لفظ آخر عن أبي هريرة أخرجه مسلم في صحيحه قال : (حدثنا يحيى بن أيوب وسريج بن يونس وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر جميعاً ، عن إسماعيل بن جعفر قال ابن أيوب : حدثنا إسماعيل أخبرني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟.

قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد.

فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟

فقال : أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟

قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً)[٢].

وأخرجه ابن ماجة في سننه[٣] ، وابن خزيمة في صحيحه[٤] ، والبيهقي في سننه[٥] ،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢٩٨/٢ برقم : ٧٩٥٥.

(٢) صحيح مسلم بن الحجاج ٢١٨/١ برقم : ٢٤٩.

(٣) سنن ابن ماجة ١٤٣٩/٢ برقم : ٤٣٠٦.

(٤) صحيح ابن خزيمة ٦/١ برقم : ٦.

(٥) سنن البيهقي ٧٨/٤ برقم : ٧٠٠١.

وأحمد بن حنبل في مسنده [١]، وأبو يعلى في مسنده [٢]، وابن حبان في صحيحه [٣].

وفي لفظ آخر لأبي هريرة أخرجه البخاري في صحيحه قال: (وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي، حدثنا أبي، عن يونس، عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله (ص) قال: يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى) [٤].

وأخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه [٥] وابن عبد البر في الاستذكار [٦] والطبراني في مسند الشاميين [٧]، ويعقوب السدوسي في مسند عمر بن الخطاب [٨]، وابن عبد البر في التمهيد [٩]، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق [١٠]، والدار قطني

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣٠٠/٢ برقم: ٧٩٨٠ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم) و٤٠٨/٢ برقم: ٩٢٨١ وقال الشيخ المذكور: (حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات).

(٢) مسند أبي يعلى ٣٨٧/١١ برقم: ٦٥٠٢ وقال الشيخ حسين أسد: (إسناده صحيح).

(٣) صحيح ابن حبان ٣٢١/٣ برقم: ١٠٤٦ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم) و٢٢٤/١٦ برقم: ٧٢٤٠.

(٤) صحيح البخاري ٢٤٠٧/٥ برقم: ٦٢١٣.

(٥) مصنّف عبد الرزاق ٤٠٦/١١ برقم: ٢٠٨٥٤.

(٦) الاستذكار لابن عبد البر ١١١/٥.

(٧) مسند الشاميين ١٦/٣ برقم: ١٧٠٨.

(٨) مسند عمر بن الخطاب صفحة ٨٦.

(٩) التمهيد لابن عبد البر ٢٩٧/٢ و٢٩٨.

(١٠) تاريخ مدينة دمشق ١٠٨/٨.

في العلل الواردة [١] ، والعسقلاني في تغليق التعليق [٢] .

٩ — عبد الله بن مسعود

أخرج روايته البخاري في صحيحه قال : (وحدثني عمرو بن علي ، حدثنا محمد ابن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة قال : سمعت أبا وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي (ص) قال : أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن إليّ رجال منكم ثم ليختلجن دوني ، فأقول يارب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) [٣] .

وأخرجه بنفس اللفظ أوباختلاف يسير فيه أحمد بن حنبل في مسنده [٤] والشاشي في مسنده [٥] ، والطبراني في المعجم الكبير [٦] .

وفي لفظ آخر لابن مسعود أخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه قال : (حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : قال عبد الله قال رسول الله (ص) : أنا فرطكم فلأنازعن رجالاً منكم ثم لأغلبن عليهم فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) [٧] .

وأخرجه باختلاف يسير في اللفظ الشاشي في مسنده [٨] ، وأحمد بن حنبل في

---

(١) العلل الواردة للدار قطني ٢٩٩/٧ برقم : ١٣٦٦ .

(٢) تغليق التعليق للعسقلاني ١٨٦/٥ برقم : ٦٥٨٥ .

(٣) صحيح البخاري ٢٤٠٤/٥ برقم : ٦٢٠٥ ، وفي نفس المصدر ٢٥٨٧/٦ برقم : ٦٦٤٢ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤٣٩/١ برقم : ٤١٨٠ و ٤٥٥/١ برقم : 4351 .

(٥) مسند الشاشي ٤١/٢ برقم : ٥١٨ .

(٦) المعجم الكبير ٢٠١/١٧ برقم : ٥٣٨ دون قوله : (أنا فرطكم على الحوض) .

(٧) صحيح مسلم ١٠٢/٩ برقم : ٥١٦٨ ، وأيضاً في نفس المصدر ١٢٦/٩ برقم : ٥١٩٩ .

(٨) مسند الشاشي ٤١/٢ برقم : ٥١٩ .

مسنده [١] .

وفي لفظ آخر عن ابن مسعود أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده قال : (حدثنا هاشم وحسن بن موسى قالا : حدثنا شيبان ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن رجالاً من أصحابي ولأغلبن ثم ليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) [٢] .

ورواه بنفس اللفظ أو باختلاف في بعضه الشاشي في مسنده [٣] ، وابن حجر العسقلاني في تغليق التعليق [٤] .

١٠ – جابر بن عبد الله الأنصاري

أخرج روايته أحمد بن حنبل في مسنده قال : (حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله (ص) : أنا على الحوض أنظر من يرد عليّ قال فيؤخذ ناس دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي قال : فيقال وما يدريك ما عملوا بعدك ، ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم ... الرواية) [٥] .

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير ، فمن رجال مسلم) .

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد [٦] عن أحمد وقال : (رواه أحمد ورجاله

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤٥٣/١ برقم : ٤٣٣٢ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤٠٦/١ برقم : ٣٨٥٠ .

(٣) مسند الشاشي ٤١/٢ برقم : ٥١٧ .

(٤) تغليق التعليق لابن حجر العسقلاني ١٨٥/٥ .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣٨٤/٣ برقم : ١٥١٦١ .

(٦) مجمع الزوائد ٣٦٧/١٠ .

رجال الصحيح).

١١ – سهل بن سعد

أخرج روايته البخاري في صحيحه قال : (حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي(ص) يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم ، قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا فقال هكذا سمعت سهلاً ؟

فقلت : نعم .

قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال : إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي) [١].

وأخرجه مسلم في صحيحه [٢]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٣]، والروياني في مسنده [٤]، وابن أبي عاصم في السنة [٥].

واخرجه باختلاف في بعض الألفاظ الطبراني في المعجم الكبير [٦].

---

(١) صحيح البخاري ٢٥٨٧/٦ برقم : ٦٦٤٣.

(٢) صحيح مسلم ١٧٩٣/٤ برقم : ٢٢٩٠.

(٣) مسند أحمد ٣٣٣/٥ برقم : ٢٢٨٧٣ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين) ، و٣٣٩/٥ برقم : ٢٢٩٢٤ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن في المتابعات).

(٤) مسند الروياني ١٩٢/٢ برقم : ١٠٢٢ و٢١٢/٢ برقم : ١٠٥٣.

(٥) السنة لابن أبي عاصم ٣٥٩/٢ برقم : ٧٧٤.

(٦) المعجم الكبير للطبراني ١٣٤/٦ برقم : ٥٧٨٣ و١٥٦/٦ برقم : ٥٨٣٣ و١٧١/٦ برقم : ٥٨٩٤ و٢٠٠/٦ برقم : ٥٩٩٦.

١٢ - أبو الدرداء

أخرج روايته الطبراني في مسند الشاميين قال : (حدثنا أحمد بن خليد الحلبي حدثنا أبو توبة الربيع بن نفاع حدثنا محمد بن مهاجر ، عن يزيد بن أبي مريم ، عن أبي عبيد الله بن مسلم بن مشكم ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله (ص) : لألفين ما نوزعت أحداً منكم على الحوض فأقول : هم أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك !.

قال أبو الدرداء : يا نبي الله ادع الله أن لا يجعلني منهم .

قال : لست منهم) [١] .

وأخرجه بنفس اللفظ أو باختلاف يسير فيه أبو تمام الرازي في الفوائد [٢] وابن عساكر في تاريخ دمشق [٣] ، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب [٤] وبقي بن مخلد القرطبي في الذيل [٥] ، وابن عبد البر في الإستيعاب [٦] ، ويعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ [٧] .

١٣ - أسماء بنت أبي بكر

أخرج روايتها البخاري في صحيحه قال : (حدثنا سعيد بن أبي مريم ، عن نافع بن عمر قال : حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر (رض) قالت : قال النبي

---

(١) مسند الشاميين ٣١٧/٢ برقم : ١٤١٣ ، ورواه أيضاً في نفس المصدر ٣١١/٢ برقم : ١٤٠٥ .

(٢) الفوائد ٦٣/٢ برقم : ١١٥١ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١١٧/٤٧ و٧٦/٥٤ .

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ٥٠/١ برقم : ١٢٩ .

(٥) الذيل على جزء بقي بن مخلد صفحة ١١٩ برقم : ٥٤ .

(٦) الإستيعاب ١٢٢٩/٣ .

(٧) المعرفة والتاريخ ١٩٠/٢ .

(ص) : إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يا رب مني ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم .

فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا)[١] .

وأخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه[٢] ، والطبراني في المعجم الكبير[٣] ، والبزار في مسنده[٤] ، ويعقوب السدوسي في مسند عمر بن الخطاب[٥] ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق[٦] .

١٤ – عائشة بنت أبي بكر

أخرج روايتها مسلم في صحيحه قال : (وحدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا يحيى بن سليم عن أبي خثيم ، عن عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة أنه سمع عائشة تقول : سمعت رسول الله (ص) يقول – وهو بين ظهراني أصحابه – : إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم فوالله ليقتطعن دوني رجال فلأقولن أي رب مني ومن أمتي فيقول : إنك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم)[٧] .

---

(١) صحيح البخاري ٢٤٠٩/٥ برقم : ٦٢٢٠ .

(٢) صحيح مسلم ١٧٩٤/٤ برقم : ٢٢٩٣ .

(٣) المعجم الكبير ٩٤/٢٤ برقم : ٢٥١ .

(٤) مسند البزار ٤٣٢/٦ .

(٥) مسند عمر بن الخطاب صفحة ٩٢ .

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٤/٦٩ .

(٧) صحيح مسلم ١٧٩٤/٤ برقم : ٢٢٩٤ .

وأخرجه بنفس اللفظ أو باختلاف يسير فيه أبو يعلى في مسنده [١]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢].

فانظر أيها القارئ المنصف كيف أن روايات أهل السنة تحكم على جماعة ليست بالقليلة من الصحابة بالإرتداد وأنهم سيذادون عن حوض النبي ﷺ يوم القيامة ويساقون إلى نار جهنم والعياذ بالله .

وبهذا يتبين من هو الذي يحكم على الصحابة بالإرتداد .

وقفة مع الشيخ عثمان الخميس حول روايات الارتداد

وقد حاول الشيخ عثمان الخميس في كتابه (حقبة من التاريخ) توجيه هذه الروايات زاعماً أنها تشمل واحداً من الأصناف الأربعة التي ذكرها فقال : (**أولاً** : إن المراد بالصحابة هنا هم المنافقون ، الذين كانوا يظهرون الإسلام في عهد النبي (ص) كما قال تبارك وتعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ وأولئك من المنافقين الذين لم يكن يعلمهم النبي (ص) كما قال جل وعلا : ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ** ﴾ ، فهؤلاء من المنافقين الذين كان يظن النبي (ص) أنهم من الصحابة ولم يكونوا كذلك) [٣] .

أقول : هذا الوجه في تأويل روايات الإرتداد باطل وذلك :

---

(١) مسند أبي يعلى ٤٣٣/٧ برقم : ٤٤٥٥ .

(٢) مسند أحمد ١٢١/٦ برقم : ٢٤٩٤٥ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (حديث صحيح) .

(٣) حقبة من التاريخ صفحة ١٥١ .

١ – أن الروايات تقول أن النبي ﷺ عندما يستفهم عن سبب طردهم عن حوضه والأمر بهم إلى النار يجاب بالقول : (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) !

(إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)!

(إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)!

(إنهم قد بدلوا بعدك)!

(وما يدريك ما عملوا بعدك ، ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم)!

٢ – بعض هذه الروايات يقول أن هؤلاء الصحابة عندما يأتون إلى النبي ﷺ يطلبون منه الشفاعة ويعرفونه بأنفسهم وأنسابهم يقول لهم : (ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى) .

وكل ذلك يفيد أن هؤلاء الصحابة كانوا على دين الإسلام في حياته ﷺ ولم يكونوا من المنافقين لأن المنافقين لم يسلموا قط وإنما أظهروا الإسلام وأبطنوا الشرك والكفر فلا يصح وصفهم بالمرتدين وبأنهم رجعوا على أعقابهم ، وإنما الذي يصح وصفه بذلك هو من آمن بالإسلام واعتقد به ثم كفر به ورجع عنه ، فتوجيه عثمان الخميس لهذه الروايات على أنها تعني المنافقين الذين كان النبي ﷺ لا يعلم نفاقهم فاسد وغير صحيح لماذكرنا .

قال عثمان الخميس : (ثانياً : المراد بهم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي (ص) فبعد وفاة النبي (ص) ارتد أكثر العرب حتى لم يبق على الإسلام إلاّ أهل مكة وأهل المدينة وأهل الطائف ، وقيل أهل البحرين أما بقية العرب فقد ارتدوا على أدبارهم فأولئك الذين كان النبي (ص) يقول : أصحابي : فيقال له : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك

وإنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم منذ فارقتهم)[1] .

أقول : أولاً : هذا تخصيص بلا مخصص ، فلم يأت الخميس بدليل يؤيد به هذا هذا التخصيص .

ثانياً : الذي يظهر من هذه الروايات أن الرّدة فيها ليست عن الإسلام والخروج عنه إلى الكفر والشرك والإلحاد أو إلى إحدى الديانات المنسوخة أو الفاسدة ، بدليل أن بعض الروايات تقول بأنه لا يسلم من هؤلاء إلاّ مثل همل النعم (أي القليل) والمرتدون عن الإسلام الخارجون منه الكافرون به لا يمكن أن يسلم منهم أحد بل مصيرهم جميعاً إلى النار .

قال عثمان الخميس : (ثالثاً : المراد المعنى العام أي كل من صحب النبي (ص) ولو لم يتابعه فلا يدخلون تحت المعنى الإصطلاحي لكلمة صحابي ، ويدل على هذا أن النبي (ص) لما قال عبد الله بن أبي بن سلول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل ، وعبد الله بن أبي بن سلول كان رأس المنافقين في مدينة رسول الله (ص) فلما نقل لعمر هذا الكلام قال للنبي (ص) : يا رسول الله أضرب عنقه ؟ فقال النبي (ص) : « لا ، لا يقال إن محمداً يقتل أصحابه » رواه البخاري .

فجعله النبي (ص) من أصحابه ولكن هذا على المعنى اللغوي لا على المعنى الإصطلاحي لأن عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وكان ممن فضحه الله تبارك وتعالى وكان ممن أظهر نفاقه جهرة)[2] .

---

(١) حقبة من التاريخ صفحة ١٥١ .

(٢) حقبة من التاريخ صفحة ١٥١ — ١٥٢ .

أقول : وهذا الوجه كالوجه الأول واضح البطلان والفساد ، لأن المنافق أو غير المسلم لا يوصف بالإرتداد عن الإسلام أو الدين لأنه لم يدخل فيه ولم يؤمن به .

قال عثمان الخميس : (رابعاً : قد يراد بكلمة أصحابي كل من صحب النبي (ص) على هذا الطريق ولو لم يره ويدل على هذه رواية « أمتي ، أمتي » أو « إنهم أمتي » .

أما قول النبي (ص) أعرفهم ، فالنبي (ص) قد بين أنه يعرف هذه الأمة فقيل يا رسول الله كيف تعرفهم ولم ترهم ؟ فيقول : « إني أعرفهم من آثار الوضوء ») [1] .

أقول : وهذا التوجيه يبطله ما ورد في بعض الروايات :

(يرد عليّ قوم ممن كانوا معي ...)

(يرد عليّ الحوض رجال ممن صحبني ورآني ...)

(ليردن عليّ الحوض رجال ممن صاحبني ...) .

وهذا واضح في أن أولئك الذين يذادون عن الحوض ويساقون إلى النار هم ممن أسلم وصاحب النبي ﷺ ممن يعرفهم النبي ويعرفونه ورآهم ورأوه ، ومات النبي وهم على دين الإسلام إلاّ أنهم بعد رحيله ﷺ إلى الرفيق الأعلى غيّروا وبدّلوا وأحدثوا في الدين ما ليس منه ، ورجعوا على أدبارهم القهقرى .

يؤكد إمكانية حصول ذلك بالنسبة للصحابة قوله تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ .

---

(١) حقبة من التاريخ صفحة ١٥٢ .

بل أكد حصوله الصحابي أبو أيوب الأنصاري ففي الخبر الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : (لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت طوبى لك صحبت النبي (ص) وبايعته تحت الشجرة فقال يابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)[1].

فهذا أحد الصحابة يقر ويشهد على أنهم أحدثوا بعد النبي ﷺ .

وإذا كان في الصحابة منافقون لا يعرفهم حتى النبي ﷺ .

وإذا كان النبي ﷺ يخبر بأن من الصحابة من سيرتد .

وإذا كان الصحابة أنفسهم يخبرون بأنهم أحدثوا بعد رسول الله ﷺ .

فهل يصح بعد هذا القول بأنهم كلهم عدول ، لا يحتاج أن نبحث في عدالتهم ؟!.

إن عدالة الصحابة التي يزعمها أهل السنة وأنهم لا يكذبون على رسول الله ﷺ هي من مبتدعاتهم فالصحابة لم يدّعوا ذلك لأنفسهم ولم يكن لها وجود في زمن رسول الله ﷺ وإلى فترة من بعد وفاته إلى أن أخترعت هذه المزعومة بعد ذلك لدوافع سياسية غير خافية على المتتبع البصير للأحداث التي أعقبت وفاة النبي ﷺ وما حصل بين الصحابة من حروب واقتتال وإعتداء بعضهم على بعض ، والأدلة على ذلك عديدة منها على سبيل المثال ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال :

(... وأعطاني –أي رسول الله ﷺ – نعليه قال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ، فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت : هاتان نعلا رسول الله (ص) بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده بين

---

(١) صحيح البخاري ١٥٢٩/٤ برقم : ٣٩٣٧.

ثديي فخررت لأستي فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله (ص) فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله (ص) : ما لك يا أبا هريرة ؟ قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لأستي قال ارجع فقال له رسول الله (ص) : يا عمر ما حملك على ما فعلت ؟ قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال : نعم .

قال : فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ، قال رسول الله : فخلهم)! [(١)].

فهذا عمر بن الخطاب عندما أخبره أبو هريرة أن رسول الله ﷺ طلب منه أن يبشر من لقيه يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بالجنة لم يصدقه ! بل اعتدى عليه وضربه حتى وقع على أسته وذهب إلى رسول الله ﷺ يبكي من شدة الألم الذي سببه له اعتداء عمر عليه ، بل نجد في الرواية أن عمر بن الخطاب استفهم من النبي ﷺ عن ذلك بقوله: (أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقيه يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟) ! فلو كان معلوماً لدى الصحابة أن الصحابي لا يكذب على رسول الله ﷺ وكانت هذه الحقيقة ثابتة لدى الصحابة لما شك عمر فيما أخبره به أبو هريرة ولما كان هناك داع لأن يستفهم من رسول الله ﷺ .

دعوى السكوت عن الخلاف الذي وقع بين الصحابة والجواب عليها

قال الجنيد : (وأهل السنة يسكتون عما حدث بين أصحاب النبي (ص) ويقولون

---

(١) صحيح مسلم ٤٤/١.

تلك فتنة قد طهّر الله منها أيدينا ، فلماذا لا نطهر منها ألسنتنا ، لا سيما وأن الله (لا) يؤاخذنا بما حدث بينهم ، فقد قال في كتابه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ « البقرة : ١٣٤ »)[1] .

أقول : البحث في أحوال الصحابة وسيرتهم ومواقفهم والتحدث عمّا حصل بينهم من خلاف واختلاف ضروريٌ جداً ومن الأهمية بمكان ، لأن هؤلاء الصحابة نقلت عنهم الكثير من الأقوال مما يتعلق بتعاليم الشريعة الإسلامية الغراء والتي نسبوها إلى رسول الله ﷺ فلا بد من معرفة حال الصحابي من حيث العدالة والوثاقة لنقبل منه مارواه عن رسول الله ﷺ ونسبه إليه إن كان ثقة عادلاً ، أو رده إن لم يكن كذلك ، وهذا لا يعلم إلاّ بالبحث في حالة الصحابي وسيرته ومواقفه وهل كان ملتزماً بالشريعة متبعاً لها أو مخالفاً لها ومغيراً ومبدلاً ومحرفاً فيها وفي أي جهة كان حين حصل الاختلاف بين الصحابة ، هل كان ناصراً للحق أم للباطل ، وهل كان موقفه من أهل البيت عليهم السلام موقفاً إيجابياً أو سلبياً ؟

فكون الصحابي يقف موقفاً سلبياً منهم ، يكون ذلك وحده كاف في سقوط عدالته وثبوت فسقه ، لأن محبة أهل البيت عليهم السلام هي علامة الإيمان وبغضهم علامة الفسق والنفاق .

حقيقة عبد الله بن سبأ

قال الجنيد تحت عنوان : « من الذي بدأ سبّ الصحابة ؟ » : (لقد بدأ سبّ الصحابة وسنّ هذه السنة رجل يهودي تستّر بالإسلام اسمه عبد الله بن سبأ حسب اعتراف أحد

---

(١) حوار هادئ صفحة ٥١.

أكبر وأقدم أئمة الشيعة وهو النوبختي)[1].

أقول : إن عبد الله بن سبأ هذا الذي يحاول خصوم الشيعة إلصاقه بهم قد اختلفت آراء الباحثين والمحققين حول شخصيته من حيث حقيقتها وعدمها وتحديد هويتها ، فذهب البعض إلى أنه شخصية مختلقة لا وجود لها في الخارج .

قال الدكتور طه حسين : (إن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منحولاً قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية ، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم)[2].

وقال الدكتور الأستاذ سهيل زكار محقق كتاب (المنتظم لابن الجوزي) في المجلد الثالث من المنتظم هامش صفحة ٣٠٢ : (المرجح أن ابن سبأ لم يوجد بالمرّة بل هو شخصية مخترعة) .

وقال الدكتور عبدالعزيز الهلابي الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض : (الذي نخلص إليه في بحثنا هذا أن ابن سبأ شخصية وهمية لم يكن لها وجود ، فإن وجد شخص بهذا الإسم فمن المؤكد أنه لم يقم بالدور الذي أسنده إليه سيف وأصحاب كتب الفرق ، لا من الناحية السياسية ولا من ناحية العقيدة)[3] .

وقال الكاتب أحمد عباس صالح : (وهنا يتردد إسم عبد الله بن سبأ وهو شخص كان يهودياً وأسلم ، تصوّره كتب التاريخ على أنه كان الشيطان وراء الفتنة التي قتل فيها

---

(١) حوار هادئ صفحة ٥٢.

(٢) علي وبنوه صفحة ٥١٨.

(٣) عبدالله بن سبأ صفحة ٧١.

عثمان ، بل وراء الأحداث جميعاً ... وقد وقف منه الكتّاب مواقف متعارضة فمنهم من ينكر وجوده أصلاً ، ومنهم من يعتبره أساس كل ما جرى ، بل أساس ما دخل في الإسلام من مذاهب غريبة منحرفة .

وعبد الله بن سبأ شخص خرافي بغير شك ، فأين هو من هذه الأحداث جميعاً ؟ وأين هو من الصراعات الناشئة في هذا العالم الكبير المتعدد ... وماذا يستطيع شخص مهما تكن قيمته أن يلعب بمفرده بين هذه التيارات المتطاحنة ؟ .

إن الأحداث السريعة العنيفة المتلاحقة لم تكن في حاجة إلى شخص ما حتى ولو كان الشيطان نفسه لأن أصولها بعيدة الغور ، وقوة اندفاعها لا قبل لأحد بالسيطرة عليها أو توجيهها ، فضلاً عن تشابكها وتعددها بما لا يدع لأي قوة أن تزيدها تعقيداً .

وساذج بغير شك التفكير الذي يتّجه إلى خلق شخصية خرافية كهذه ليعطيها أي أثر فيما حدث من أحداث ، وأكثر سذاجة منه من يظن لهذا الرجل تأثيراً ما على كبار الصحابة ، ومنهم أبو ذر الغفاري نفسه الذي لم يقبل مناقشة من أبي هريرة المحدث المعروف ، وضربه فشجّه قائلاً في ازدراء : « أتعلمنا ديننا يا ابن اليهودية » إنما كل ما حيك من قصص حول عبد الله بن سبأ هو من وضع المتأخرين ، فلا دليل على وجوده في المراجع القديمة فضلاً عن سخافة التفكير في احتمال وجوده أصلاً) [1] .

وذهب آخرون إلى أن عبد الله بن سبأ هو نفسه الصحابي الجليل عمار بن ياسر ومن هؤلاء الدكتور كامل مصطفى الشيبي حيث قال في كتابه : « الصلة بين التصوف والتشيع » : (والسبئية على هذا الأساس فرقة قادها عمار الذي أطلقت عليه قريش ذلك اللقب الرمزي وأضافت إلى آرائه في علي مبالغات وأضاليل لتضيف إلى أفكار عمار ما

---

(١) اليمين واليسار في الإسلام صفحة ٩٥.

يخرج بها عن المعقول، ويسلبها قوة الإقناع، ويقنّعها بقناع الشك والبطلان، فينصرف الناس عنه وعن آرائه وعن مبدئه في أحقيّة علي وفضله على سائر المسلمين من معاصريه زمن عثمان)[1].

ومنهم الدكتور علي الوردي فقد قال في كتابه « وعاظ السلاطين » : (إن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر، فلقد كانت قريش تعتبر عماراً رأس الثورة على عثمان ولكنها لم تشأ – في أول الأمر – أن تصرّح باسمه، فرمزت عنه بابن سبأ أو ابن السوداء وتناقل الرواة هذا الأمر غافلين وهم لا يعرفون ماذا يجري وراء الستار)[2].

ومنهم الدكتور علي سليمان النشار في كتابه « تيارات الفكر الإسلامي » قال : (ومن المحتمل أن تكون شخصية عبد الله بن سبأ شخصية موضوعة أو أنها رمزت إلى شخصية ابن ياسر كما فعل الأمويون بكلمة تراب والترابيين، ومن المحتمل أن يكون عبد الله بن سبأ هو مجرد تغليف لاسم عمار)[3].

وهناك من ذهب إلى أن عبد الله بن سبأ هو نفسه عبد الله بن وهب الراسبي وقد جزم بذلك الأشعري في المقالات والفرق حيث قال : (السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني)[4].

وقال البلاذري في أنساب الأشراف : (وأما حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثم العرني وعبدالله بن وهب الهمداني وهو ابن سبأ،

(١) الصلة بين التصوف والتشيع صفحة ٨٩/١.

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ٣٦/١.

(٣) تيارات الفكر الإسلامي صفحة ٢٠٣.

(٤) المقالات والفرق صفحة ٢٠.

فإنهم أتوا علياً فسألوه عن أبي بكر وعمر)[١].

وهناك من ذهب إلى أن عبدالله بن سبأ شخصية حقيقية وزعموا صحة ما نسب إليه من مشاغبات ومن إثارة للفتنة وتأليب الناس ضد عثمان بن عفان وغيرها مما ادّعوه عليه ونسبوه إليه من أفكار وعقائد، ولكن لم يكن لهؤلاء مستند في إثبات هذه الشخصية وما نسب إليها إلاّ روايات سيف بن عمر التميمي، وسيف هذا زنديق كذاب وضّاع للحديث غير معتمد الرواية.

قال ابن العجمي: (وكان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندق)[٢]، وقال النسائي: (ضعيف)[٣]، وقال الأصفهاني في ضعفائه: (متهم في دينه مرمي بالزندقة ساقط الحديث لاشيء)[٤]، وقال الحاكم: (اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط)[٥]، وقال ابن حبان: (يروي الموضوعات عن الأثبات)[٦]، وقال ابن معين: (ضعيف الحديث) وقال أيضاً: (فلس خير منه)[٧]، وقال أبو داود: (ليس بشيء)[٨]،وقال الدار قطني: (ضعيف)[٩].

---

(١) أنساب الأشراف ٣٨٣/٢.

(٢) الكشف الحثيث صفحة ١٣١.

(٣) الضعفاء للنسائي صفحة ٥٠، تهذيب التهذيب ٢٥٩/٤.

(٤) ضعفاء الأصفهاني ٩١/١.

(٥) تهذيب التهذيب ٢٥٩/٤.

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر.

(٨) نفس المصدر.

(٩) نفس المصدر.

ونحن نستطيع أن نجزم بأن شخصية عبد الله بن سبأ بالصورة التي رسمها سيف بن عمر التميمي لها وما أعطاها من أدوار بطولية وحاك حولها من قصص وأساطير ومشاغبات لا وجود لها أصلاً وإنما هي شخصية من مختلقاته ، فقول من قال بوهمية وخرافية واختلاق شخصية ابن سبأ هذه هو الراجح عندنا على جميع الآراء الأخرى ، ونؤكد ذلك بأن ما ذكره سيف بن عمر عن هذه الشخصية لم تتعرض له كتب التاريخ الموثوقة التي تعرضت لمسألة الخلاف والأحداث الحاصلة في أيام عثمان بن عفان فلم يذكر ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ في طبقاته شيء من ذلك ، ولا البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ في أنساب الأشراف ، ولا أبو حنيفة الدنيوري المتوفى سنة ٢٩٠ هـ في الأخبار الطوال ولا المسعودي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ في مروج الذهب ولا في التنبيه والاشراف ، ولا ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في الإمامة والسياسة ، ولا اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ في تاريخه ولا المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ في كامله ، وغيرهم ، فقد خلت مؤلفات المؤرخين القدامى من ذكر ذلك ، غير الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ في تاريخه وعنه أخذ الذين جاؤوا من بعده ممن ذكروا قصة ابن سبأ .

وهذا دليل على أن ما نسبه سيف بن عمر لهذه الشخصية من دور كبير في الأحداث والفتنة أيام عثمان بن عفان كله مختلق في وقت متأخر عن ذلك الزمن إذ لو كان ما ذكره صحيحاً وكان له هذا الدور الخطير لما أغفله هؤلاء المؤرخون .

نعم هناك شخصية تحمل هذا الإسم (عبد الله بن سبأ) تعرضت لها الروايات الشيعية ولم تذكر عنها شيئاً مما ذكره الطبري في تاريخه سوى أنه غالى في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فادّعى له الربوبية ولنفسه النبوة ، فعرض عليه أمير المؤمنين التوبة فلم يفعل فأحرقه بالنار ، فقد روى الكشي في رجاله بسنده عن هشام بن سالم أنه

قال : (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهو يحدث أصحابه بحديث ابن سبأ ، وما ادّعى من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : إنه لما ادّعى ذلك فيه استتابه أمير المؤمنين عليه السلام فلم يتب فأبى أن يتوب فأحرقه بالنار)[١] .

وفيه أيضاً أخرج الكشي بسنده عن أبان بن عثمان قال : (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لعن الله عبد الله بن سبأ أنه ادّعى الربوبيّة في أمير المؤمنين عليه السلام وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً ، الويل لمن كذب علينا ، وأن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم)[٢] .

وفيه روى الكشي بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال : (قال علي بن الحسين عليهما السلام : لعن الله من كذب علينا ، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادّعى أمراً عظيماً ما له لعنه الله ، كان علي عليه السلام والله عبداً صالحاً ، أخو رسول الله ، ما نال الكرامة من الله إلاّ بطاعته لله ولرسوله ، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكرامة من الله إلاّ بطاعته الله)[٣] .

وأخرج الكشي في رجاله بسنده عن أبي جعفر عليه السلام : (أن عبد الله بن سبأ كان يدّعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى عن ذلك فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب ، فأبى فحبسه ، واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب ، فأحرقه

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٣٢٤/١.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

بالنار وقال: إن الشيطان استهواه، فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك)[١].

فبإحراق أمير المؤمنين له انتهى أمره، ولا يبعد أن يكون سيف بن عمر التميمي قد سمع بابن سبأ هذا وغلوّه، فاختلق شخصية أخرى من خياله تحمل نفس الإسم ونسب إليها ما نسبه من قصص وأساطير مما ذكره الطبري عنه أو غيره وأعطاها دوراً بطولياً هائلاً في خلق الفتنة وإثارة الأحداث في تلك الحقبة من الزمن، وجعلها من وراء كل الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان، تغطية على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى إجهاز المسلمين عليه وقتله.

وابن سبأ الذي وردت الإشارة إليه في روايات الشيعة ترجم له رجال الجرح والتعديل منهم فأصدروا حكمهم ضدّه حيث حكموا بكفره ولعنه والبراءة منه فقال العلامة الحلي رحمه الله: (عبد الله بن سبأ غال ملعون، حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، كان يزعم أن علياً عليه السلام إله وأنه نبي لعنه الله)[٢].

ومثل قوله قاله الشيخ حسن بن زين الدين في التحرير الطاووسي[٣]، والعلامة الأردبيلي في جامع الرواة، والسيد البروجردي في طرائف المقال[٤] وقال الأخير: (ونعم ما قاله في المنتهى: عبد الله بن سبأ ألعن من أن يذكر).

وقال السيد الخوئي قدس سره بعد أن نقل بعض الروايات عن بعض الأئمة الطاهرين عليهم السلام المصرّحة بكفر ابن سبأ ولعنهم له: (فهذه الروايات تدل على أنه كفر وادّعى الإلوهية

(١) اختيار معرفة الرجال ٣٢٣/١.

(٢) خلاصة الأقوال صفحة ٣٧٢.

(٣) التحرير الطاوسي صفحة ٣٤٦.

(٤) جامع الرواة ٤٨٥/١٢، طرائف المقال ٩٦/٢

في علي عليه السلام لا أنه قائل بفرض إمامته عليه السلام، مضافاً إلى أن أسطورة عبد الله بن سبأ وقصص مشاغباته الهائلة موضوعة مختلقة، اختلقها سيف بن عمر الوضاع الكذاب، ولا يسعنا المقام الإطالة في ذلك والتدليل عليه، وقد أغنانا العلامة الجليل والباحث المحقق السيد المرتضى العسكري في ما قدم من دراسات عميقة دقيقة عن هذه القصص الخرافية وعن سيف وموضوعاته في مجلدين طبعا باسم (عبد الله بن سبأ) وفي كتابه الآخر (خمسون ومائة صحابي مختلق) [١].

أما حول قوله أن النوبختي وهو أحد أقدم أئمة الشيعة اعترف بأن ابن سبأ أول من سبّ الصحابة فالنوبختي من أعلام القرن الثالث الهجري، وابن سبأ المختلق المزعوم قالوا عنه بأنه عاش في زمن الإمام علي عليه السلام فهو من أعلام القرن الأول الهجري، وعليه فلا يمكن أن نقبل هذا القول من النوبختي ما لم يكن له مستند صحيح، وكلامه هذا بلا سند، والكتاب الذي أورد فيه ذلك هو كتاب فرق الشيعة، ومن عادة الذين يكتبون في الفرق أن يذكروا الفرق ويشيروا إلى أقطابها ورؤسائها ويذكروا شيئاً من أقوالهم وعقائدهم فيعتمدون في ذلك على أخبار من سبقهم من المؤرخين وكتاب الفرق ولا يتحققون من صحة أقوالهم من عدمها، فيحتمل أن يكون ما نقلوه صحيحاً ويحتمل خلاف ذلك، وإذا وجد الإحتمال بطل الإستدلال والنوبختي نقل ذلك عمن سبقه أو عاصره ويحتمل أن يكون نقلها من كتب سيف بن عمر التميمي الذي اختلق شخصية ابن سبأ ونسب إليها من الأقوال والعقائد وغيرها ما نسبه إليها، أو أنه نقل عن من نقل عن سيف كالطبري أو غيره، والشيعة لا يسبون الصحابة، ولا يعد ذكر بعض المخالفات للشريعة أو التصرفات المنافية لتعاليمها لبعض الصحابة بقصد وهدف إثبات

---

(١) معجم رجال الحديث ٢٠٧/١١.

حقيقة تاريخية ما أو لإثبات عدالة الصحابي ووثاقته لقبول الروايات التي نسبها إلى رسول الله ﷺ سبّاً، وإلاّ فإن أهل السنة هم الذين يسبون الصحابة لأن كتبهم حافلة بذكر الكثير من مخالفات الصحابة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وارتكابهم ما ينافي تعاليم الشريعة الغراء.

فاعجب أيها القارئ من تناقض القوم فإنهم في حين يتهمون الشيعة بسب الصحابة ويرمونهم بالفسق والزندقة بل بلغ الغلو ببعضهم أن يرمي الشيعة بالكفر لزعمه أنهم يسبون الصحابة فإنهم يترضون عن معاوية بن أبي سفيان الذي أثبتت رواياتهم الصحيحة وكلمات مؤرخيهم ومحدثيهم أنه كان ينتقص علياً ويسبّه وينال منه ففي سنن ابن ماجة بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: (قدم معاوية في بعض حجاته فدخل عليه سعد فذكروا علياً فنال منه فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله (ص) يقول من كنت مولاه فعلي مولاه، وسمعته يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي وسمعته يقول: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله)[1].

ورواه ابن ابي شيبة في مصنفه[2].

فكان انتقاصه وسبّه لعلي عليه السلام معلوماً معروفاً مشهوراً حتى أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام عندما اضطر إلى مصالحة معاوية حقناً لدماء المسلمين كان من جملة شروطه التي شرطها على معاوية أن لا يشتم ويسب علياً عليه السلام ففي الكامل في التاريخ قال ابن الأثير: (وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف وخراج دارابجرد من فارس وأن لا يشتم علياً فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي

---

(١) سنن ابن ماجة ٤٥/١ حديث رقم: ١٢١.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة ٣٦٦/٦ حديث رقم: ٣٢٠٧٨.

فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ثم لم يف له به أيضاً)[١] .

وفي تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بيك قال : (وبعد قتل الإمام علي رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين بويع لابنه الحسن في العراق والحجاز وباقي البلاد الإسلامية ما عدا الشام ومصر ثم جمع معاوية جيشاً لمحاربته واستعد الحسن كذلك للقتال لكن ثارت الفتنة بين عساكره وتسحب كثير ممن كان حوله فلما رأى ذلك كتب إلى معاوية أنه مستعد للتنازل إليه عن حقه في الخلافة بشرط أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة وخراج دارابجرد من فارس وأن لا يسب علياً فأجابه معاوية على الشرطين الأولين ولم يقبل الثالث فطلب منه الحسن أن لا يسبه وهو يسمع فأجابه ولم يف بذلك فيما بعد)[٢] .

وفي تاريخ الطبري : (وقد كان صالح الحسن معاوية على أن جعل له ما في بيت ماله وخرج دارابجرد على ألا يشتم علي وهو يسمع)[٣] .

وفي العبر في خبر من غبر قال الذهبي : (ثم كتب إلى معاوية على أن يسلم إليه بيت المال وأن لا يسب علياً بحضرته وأن يحمل إليه خراج فسا ودارابجرد كل سنة فأجابه)[٤] .

وفي الوافي بالوفيات قال صلاح الدين الصفدي : (واشترط عليه أخذ ما في بيت المال وكان سبعة آلاف درهم وأن لايسب علياً وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج فسا ودارابجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي فأجابه معاوية إلى ذلك)[٥] .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٧٢/٣ .

(٢) تاريخ الدولة العثمانية ٣١/١ .

(٣) تاريخ الطبري ١٦٥/٣ .

(٤) العبر في خبر من غبر ٤٨/١ .

(٥) الوافي بالوفيات ٦٨/١٢ .

وقال القلقشندي في مآثر الإنافة : (وكان شروطه عليه أن لا يسب علياً وأن يعطيه ما ببيت مال الكوفة فأجابه معاوية إلى ذلك وسلم الأمر إليه على ذلك ورجع إلى المدينة فبقى بها إلى أن توفي) [١] [٢] .

ويترضون عن المغيرة بن شعبة وهو أيضاً ممن كانوا يسبون الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وهذا ما أثبتته رواياتهم الصحيحة فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن زياد بن علاقة عن عمه : (أن المغيرة بن شعبة سب علي بن أبي طالب فقام إليه زيد بن أرقم فقال : يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله (ص) نهى عن سب الأموات ؟ فلم تسبّ علياً وقد مات ؟) قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ...) [٣] .

ورواه ابن حنبل في مسنده [٤] ، والطبراني في المعجم الكبير [٥] ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه [٦] ، ولم يصرّح أحمد في إحدى روايتيه وكذلك الطبراني في إحدى روايتيه وابن أبي شيبة في روايته باسم المغيرة وإنما قالوا : (سب أمير من الأمراء علياً) ! .

وقد كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون علياً عليه السلام [٧] إلى أن

---

(١) مآثر الإنافة ١٠٨/١ .

(٢) أقول : زعم الذهبي والصفدي والقلقشندي أن معاوية أجاب الحسن ووفى له بشرطه على أن لا يسب علياً عليه السلام مطلقاً أو وهو يسمع غير صحيح فإنه لم يف له بذلك كما ذكر ابن الأثير ومحمد فريد بيك .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٥٤١/١ برقم : ١٤١٩ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣٦٩/٤ برقم : ١٩٣٠٧ و٣٧١/٤ برقم : ١٩٣٣٤ .

(٥) المعجم الكبير للطبراني ١٦٧/٥ برقم : ٤٩٧٤ و١٦٧/٥ برقم : ٤٩٧٣ .

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٤٥/٣ برقم : ١١٩٨٦ .

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩٣/٥ ، تاريخ الخلفاء ٢٤٣/١ .

ولي السلطة عمر بن عبد العزيز فكف عن ذلك وأمر ولاته بالكف عن شتمه وسبه ، فمعاوية ومن أتى بعده من بني أمية والمروانيين ممن تولوا السلطة هؤلاء كلهم كانوا يسبون علياً عليه السلام ويشتمونه والقوم يطلقون عليهم لقب أمير المؤمنين وكذلك ولاتهم مثلهم كانوا في خطبهم ومجالسهم يتناولون علياً عليه السلام وينتقصونه ، ولم يكونوا هؤلاء عندهم لا من المبتدعة أو الفساق أو الكفرة بل يدافعون عنهم بالغالي والنفيس ويتسترون عليهم ويختلقون لهم المناقب والفضائل ويؤلفون فيهم الكتب ، مع أن الحكم على الساب لعلي بالفسق والكفر أولى لأنه ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من سب علياً فقد سبني) [1] والساب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس فقط فاسق بل هو كافر .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي عليه السلام : (لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق) [2] .

وإذا أردت أيها القارئ المنصف أن تزداد عجباً وتعرف شيئاً مما تنطوي عليه سريرة القوم فتعال معي لأوقفك على أمر آخر وهو أن بعضهم يوثق ويقبل رواية من ثبت لديه أنه ينال ويشتم ويسب علياً عليه السلام في حين يصرّح في جهة أخرى بأنه لا يقبل رواية من يسب الصحابة أو ينتقص واحداً منهم وكأن علي بن أبي طالب عليه السلام ليس بصحابي ولم يرد في النهي عن سبه شيء من الأثر ، فهذا يحيى بن معين وهو من كبار علماء

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٣٠/٣ برقم : ٤٦١٥ وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) و١٣٠/٣ برقم : ٤٦١٦ ، السنن الكبرى للنسائي ١٣٣/٥ برقم : ٨٤٧٩، مسند أحمد بن حنبل ٣٢٣/٦ برقم : ٢٦٧٩١ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح) ، فضائل الصحابة لابن حنبل ٥٩٤/٢.

(٢) تقدم صفحة ١٠٣.

الجرح والتعديل عند أهل السنة يقول : (كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو واحداً من أصحاب رسول الله (ص) دجّال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ! [١] .

وإذا علمت هذا عنه فاعلم أيضاً أن الرجل قد وثق العديد من النواصب الذين كانوا ينالون من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فممن وثقه ابن معين من هؤلاء : (إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي التميمي البصري) [٢] ، قال عنه العجلي: (وكان يحمل على علي بن أبي طالب)[٣] .

وقال أبو العرب الصقلي : (كان يحمل على علي تحاملاً شديداً) [٤] .

وقال ابن حجر العسقلاني : (تكلم فيه للنصب) [٥] .

ومنهم : (حريز بن عثمان الرحبي الحمصي) [٦] وهو ممن اشتهر نصبه وعداؤه لعلي عليه السلام وعلمه القاصي والداني ، قال أحمد بن حنبل : (حريز صحيح الحديث إلاّ أنه كان يحمل على علي) [٧] .

وقال : (حديث حريز نحو من ثلاث مئة ، وهو صحيح الحديث إلاّ أنه كان يحمل

---

(١) تهذيب التهذيب ٤٤٧/١ ترجمة تليد بن سليمان ، تحفة الأحوذي ١١٨/١٠ ، الكامل لابن عدي ٨٦/٢ ، تاريخ بغداد ١٤٥/٧ ، تهذيب الكمال للمزي ٣٢٢/٤ .

(٢) أنظر توثيقه له في تهذيب التهذيب ١٥٢/١ ، تهذيب الكمال ١٨٩/١ ، مقدمة فتح الباري صفحة ٣٨٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٥٢/١ ، معرفة الثقات ٢٩١/١ .

(٤) تهذيب التهذيب ١٥٢/١ .

(٥) تقريب التهذيب ٧٠/١ .

(٦) أنظر توثيقه له في تهذيب الكمال ٩٠/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٧٥/١ .

(٧) تهذيب التهذيب ٤٦٦/١ ، موسوعة أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله ٢٤١/١

على علي)[١] ، وقـال الفلاس : (كان ينال من علي)[٢] ، وقال العجلي : (وكان يحمل على علي)[٣] ، وقال عمرو بن علي : (كان ينتقص علياً وينال منه)[٤] .

وقال أحمد بن سعيد الدارمي عن أحمد بن سليمان المروزي : (سمعت إسماعيل ابن عياش قال : عادلت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه)[٥] .

وقـال ابن حبّان : (كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة ، وبالعشي سبعين مرة ، فقيل لـه في ذلك فقال : هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي)[٦] .

وقال غنجار : (قيل ليحيى بن صالح : لمَ لمْ تكتب عن حريز ؟ فقال : كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة)[٧] .

وذكروا أنه قال : (لا أحبّه — يريد علياً — لأنه قتل من قومي يوم صفين جماعة)[٨] ، وأيضاً قال : (لا أحبّه قتل آبائي) ، وكان يقول : (لنا إمامنا ولكم إمامكم)[٩] يعني معاوية وعلياً عليه السلام ، وعن يحيى بن المغيرة أن جريراً قال : (أن حريزاً كان يشتم علياً

(١) تهذيب الكمال ٩٠/٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٤٧٥/١.

(٣) تهذيب التهذيب ٣٦٦/١ ، معرفة الثقات ٢٩١/١ ، تهذيب الكمال ٩٠/٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٤٦٦/١ ، تهذيب الكمال ٩٠/٢.

(٥) تهذيب التهذيب ٤٦٦/١ ، تهذيب الكمال ٩١/٢ ، تاريخ دمشق ٣٤٨/١٢.

(٦) تهذيب التهذيب ٤٦٧/١.

(٧) نفس المصدر السابق .

(٨) سير أعلام النبلاء ٦٦/٧.

(٩) سير أعلام النبلاء ٦٦/٧ ، ميزان الاعتدال ٤٧٥/١ ، تهذيب التهذيب ٤٦٦/١ ، تهذيب الكمال ٩١/٢.

على المنابر)[١]، وقال الذهبي في ترجمته في الكاشف : (وهو ناصبي)[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني : (رمي بالنصب)[٣].

وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي : (يتهمونه أنه كان ينتقص علياً ويروون عنه ، ويحتجون بحديثه وما يتركونه) !!![٤].

ومنهم : (خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي الكوفي أبو سلمة المعروف بالفأفأ)[٥] وهو ناصبي بغيض كان يسب علياً عليه السلام، قال عنه الذهبي : (وكان مرجئاً ينال من علي رضي الله عنه)[٦].

وعن جرير : (كان رأساً في المرجئة ، كان يبغض علياً)[٧].

وقال الذهبي : (وهو من عجائب الزمان كوفي ناصبي ويندر أن تجد كوفياً إلاّ وهو يتشيّع)[٨].

وقال ابن حجر العسقلاني : (رمي بالإرجاء والنصب)[٩].

---

(١) تهذيب الكمال ٩١/٢.

(٢) الكاشف ١٦٩/١.

(٣) تقريب التهذيب ١٦٢/١.

(٤) تهذيب الكمال ٩٠/٢.

(٥) أنظر توثيقه له في تهذيب التهذيب ٦٠/٢، تهذيب الكمال ٣٤٨/٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٧٢/٦.

(٧) تهذيب الكمال ٣٤٨/٢، تهذيب التهذيب ٦٠/٢، ميزان الاعتدال ٦٣١/١.

(٨) سير أعلام النبلاء ١٧٢/٦.

(٩) تقريب التهذيب ٢١٢/١

وذكروا أنه : كان ينشد بني مروان الأشعار التي هجي بها النبي [١] .

ومنهم : (قيس بن أبي حازم الأحمسي) وهو من المتحاملين على سيد الوصيين عليه السلام [٢] .

قال ابن حجر والذهبي : (ومنهم من حمل عليه في مذهبه وقالوا : كان يحمل على علي) [٣] .

وقال الذهبي : (وقيل : كان يحمل على علي رضي الله عنه) [٤] .

ومنهم : (مغيرة بن مقسم أبو هشام الضبي الكوفي) [٥] ، وهذا البغيض قال عنه الذهبي : (وكان عثمانياً يحمل بعض الحمل على علي) [٦] ، وقال العجلي : (وكان عثمانياً إلاّ أنه كان يحمل على علي بعض الحمل) [٧] .

ومنهم : (محمد بن زياد الألهاني) [٨] وهو من المشتهرين بالنصب ، قال الحاكم : (اشتهر عنه النصب كحريز بن عثمان) [٩] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦٠/٢ .

(٢) أنظر توثيقه له في تهذيب التهذيب ٦٥٢/٤ ، تهذيب الكمال ١٣٠/٦ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٣/٥ بل قال عنه بأنه أوثق من الزهري .

(٣) تهذيب التهذيب ٥٦٢/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٥ ، تهذيب الكمال ١٣٠/٦ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣٩٣/٣ .

(٥) أنظر توثيقه له في تهذيب التهذيب ٥١٧/٥ ، سير أعلام النبلاء ٢٦١/٦ ، تهذيب التهذيب ٢٠٢/٧ فقد قال عنه بأنه ثقة مأمون .

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٦١/٦ .

(٧) تهذيب الكمال ٢٠٢/٧ .

(٨) أنظر توثيقه له في تهذيب التهذيب ١١١/٥ ، تهذيب الكمال ٣١٢/٦ ، وقال عنه بأنه ثقة مأمون .

(٩) تهذيب التهذيب ١١١/٥ .

ومنهم : (عبدالله بن شقيق العقيلي) وثقه مع تصريحه بأنه كان ينال من علي عليه السلام قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : (ثقة وكان عثمانياً يبغض علياً) [١] ، وقال العجلي: (ثقة بصري وكان يحمل على علي) [٢] وقال ابن حنبل : (ثقة وكان يحمل على علي) [٣] وقال ابن خراش : (كان ثقة وكان عثمانياً يبغض علياً) [٤] وقال ابن حجر: (بصري ثقة فيه نصب) [٥] .

واعجب أيضاً من أحمد بن حنبل الذي ترك الحديث عن عبيد الله بن موسى العبسي لما سمعه يتناول معاوية بن أبي سفيان وبعث رسولاً إلى يحيى بن معين يقول له : (أخوك أبو عبد الله أحمد بن حنبل يقرأ عليك السلام ويقول لك : هو ذا تكثر الحديث عن عبيد الله وأنا وأنت سمعناه يتناول معاوية بن أبي سفيان ، وقد تركت الحديث عنه) فأجاب يحيى بن معين رسوله بالقول : (إقرأ على أبي عبد الله السلام وقل له : يحيى يقرأ عليك السلام وقال لك : أنا وأنت سمعنا عبد الرزاق يتناول عثمان بن عفان فاترك عنه الحديث فإن عثمان أفضل من معاوية) [٦] .

فهذا ابن حنبل يرسل رسوله إلى ابن معين يطلب منه أن يكف عن الحديث وكتابته عن عبيد الله بن موسى العبسي لأنه كان يتناول الباغي معاوية بن أبي سفيان ! في حين نجده يصرّح بنفسه بنصب العديد من الأشخاص وأنهم كانوا يتناولون علياً عليه السلام ولا

---

(١) تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ .

(٢) معرفة الثقات ٣٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ .

(٣) تهذيب الكمال ١٦٢/٤ ، تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ ، الكاشف ٥٦١/١ .

(٤) تهذيب الكمال ١٦٢/٤ .

(٥) تقريب التهذيب ٣٠٧/١ .

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٢٧/١٤ .

يتحرج أو يتحرز من وصفهم بالثقة وصحة الحديث ، يقول عن الناصبي حريز بن عثمان : (حريز صحيح الحديث إلاّ أنه كان يحمل على علي) [١] .

وقال عنه أيضاً : (حديث حريز نحو من ثلاث مئة ، وهو صحيح الحديث إلاّ أنه كان يحمل على علي) [٢] ولم يكتف بالقول فيه بأنه ثقة مرة واحدة بل قال لما أن سئل عنه: (ثقة ، ثقة ، ثقة) يكررها ثلاث مرات [٣] .

ويقول عن الناصبي الآخر عبد الله بن شقيق العقيلي : (ثقة وكان يحمل على علي) [٤] .

فلم يمنع تناول هؤلاء النواصب لعلي عليه السلام وسبهم وشتمهم له أحمد بن حنبل من تصحيح حديثهم والحكم عليهم بالوثاقة ولم يكونوا متهمين في إسلامهم [٥] ولا كانوا روافض ولا مبتدعة [٦] ولا مارقين من الإسلام [٧] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٤٦٦/١ ، موسوعة أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله ٢٤١/١ .

(٢) تهذيب الكمال ٩٠/٢ .

(٣) موسوعة الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله ٢٤١/١ ، تهذيب الكمال ٩٠/٢ .

(٤) تهذيب الكمال ١٦٢/٤ ، تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ ، الكاشف ٥٦١/١ .

(٥) أقول : أثر عن أحمد بن حنبل قوله : إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله بسوء فاتهمه على الإسلام «اعتقاد أهل السنة ١٢٥٢/٧ ، تاريخ دمشق ٢٠٩/٥٩ » .

(٦) ونقل عنه أنه قال : من سبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو واحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليهم ، أو عرّض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، « درء الغاوية صفحة ٢٥ نقله بتصرف عن كتاب طبقات الحنابلة ٣٠/١ » .

(٧) كان أحمد بن حنبل يقول : من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تأمن أن يكون قد مرق من الدين « شرح السنة للالكائي ١٣٢٦/٧ » .

الفصل الرابع عشر
الإمامة عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية

قال الجنيد تحت عنوان « الإمامة عند الشيعة » : (يحدد الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء مفهوم الإمامة عند الشيعة فيقول : الإمامة منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله يختار من عباده للنبوة فكذلك يختار للإمامة من يشاء فيأمر نبيّه بالنص عليه »)[1].

أقول : إن الشيعة الإمامية الإثني عشرية مجمعون على أن منصب الإمامة كمنصب النبوة منصب إلهي ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار من يراه صالحاً لشغل هذا المنصب تماماً كاختياره من يراه مناسباً لشغل منصب النبوة ، فليس للناس دخل في هذا الاختيار ولا هو من اختصاصهم ، فهذه آيات الكتاب المجيد صريحة في إثبات هذه الحقيقة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ والآية صريحة في أن الإمامة هي عهد الله عزّ وجل ، وفيها رد على من يزعم أنها من عهود البشر لا من عهود ربّ البشر ، كما أن قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** ﴾ صريح في أن تعيين الإمام واختياره إماماً هو من الله ، ويؤكد ذلك آيات أخرى منها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً**

---

(١) حوار هادئ صفحة ٥٣.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ فقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم أئمة .

ومنها قوله : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [١].

(إن نبي الله موسى مع عصمته يسأل الله أن يجعل له وزيراً ، والوزارة فرع من الإمامة فموسى عرف أن الجعل بيد الله لذلك نسب الجعل إلى الله ، واستجاب الله طلب موسى ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ [٢] فلو كان الاختيار للبشر ، لرفض الله طلب موسى وطلب منه أو من أتباعه أن يتشاروا ويختاروا وزيراً ، فعلم من هذا أن الاختيار بيد الله لا شأن للبشرية به) [٣].

قال الجنيد : (وبما أن الشيعة يعتقدون أن الله قد نصّ في القرآن على إمامة علي رضي الله عنه وأبنائه من بعده ، وبما أن أبا بكر قد تولى الخلافة بعد النبي (ص) ثم عمر ثم عثمان ، اعتقد الشيعة حينئذٍ أن هؤلاء الثلاثة قد ظلموا علياً وأخذوا حقه هو وأولاده وغصبوه حق الخلافة .

لذا كان كل من اعتقد شرعية خلافة هؤلاء الثلاثة عند الشيعة فاسقاً بل كافراً عند بعضهم ، فقد قال المجلسي : « اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحدٍ من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر مستحق للخلود في النار » .

---

(١) سورة طه الآية : ٢٩ — ٣٢.

(٢) سورة طه الآية : ٣٦.

(٣) وركبت السفينة صفحة ٤٤٤

وذكر الكليني في الكافي أن معصية علي كفر وأن اعتقاد أولوية غيره بالإمامة شرك)[١].

النصوص من مصادر أهل السنة على إمامة الإمام علي عليه السلام

أقول : نعم إن الشيعة يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد نص على علي عليه السلام والأدلة التي يستند إليها الشيعة في إثبات هذا النص كثيرة ويحتجون على أهل السنة بالعديد من الأدلة الواردة في مصادرهم والتي تفيد النص عليه عليه السلام وأهم هذه الأدلة هي :

حديث الدّار

وهو : لما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بتوجيه الدعوة إلى عشيرته الأقربين وأنزل عليه قوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[٢] جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رؤوس بني هاشم وقال لهم : (يا بني عبدالمطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر ؟ على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم) ولكن القوم جميعهم أحجموا عن الجواب إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام قال : (أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه) فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم برقبة علي عليه السلام ثم قال : (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فأسمعوا له وأطيعوا)[٣] .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٥٣ — ٥٤.

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٤.

(٣) تاريخ الطبري المجلد الأول الجزء الثاني صفحة ٤٧٧ — ٤٧٨.

ودلالة هذا الحديث على كون علي عليه السلام هو الوصي والخليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في غاية الجلاء والوضوح حتى أنه ولشدة وضوحه في ذلك لم يسلم من محاولات التحريف والتغيير، فهذا الحديث نقله الطبري في تفسيره وتاريخه، أما في التاريخ فكانت ألفاظه كما مر لم تتعرض للتغيير أو التحريف، أما في التفسير فإن قوله: (على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم) حرّف إلى: (على أن يكون أخي وكذا وكذا) وحرّف قوله: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا) إلى (إن هذا أخي كذا وكذا فأسمعوا له وأطيعوا) فوضعوا مكان قوله (ووصيي وخليفتي فيكم) عبارة مبهمة وهي (وكذا وكذا) وكذلك فعل ابن كثير في تفسيره فانظر إلى عناد القوم واتباعهم لأهوائهم وتحريفهم في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

حديث الولاية

وهو: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي عليه السلام (وهو ولي كل مؤمن بعدي) أو (وهو ولي كل مؤمن من بعدي) رواه بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه [١] والترمذي في جامعه الصحيح [٢]، والنسائي في السنن الكبرى [٣]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٤]، وأبو يعلى في مسنده [٥]، والطيالسي في مسنده [٦] والطبراني في المعجم الكبير [٧]، وهو في فضائل

(١) صحيح ابن حبان ٣٧٣/١٥ حديث رقم: ٦٩٢٩.

(٢) الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٦٣٢/٥ وحسنه.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٤٥/٥ حديث رقم: ٨١٤٦ و١٣٢/٥ حديث رقم: ٨٤٧٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤٣٧/٤ حديث رقم: ١٩٩٤٢.

(٥) مسند أبي يعلى ٢٩٣/١ حديث رقم: ٣٥٥ وقال محققه الشيخ حسين أسد: (رجاله رجال الصحيح).

(٦) مسند الطيالسي ١١١/١ حديث رقم: ٨٢٩.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ١٢٨/١٨.

الصحابة لابن حنبل [(١)] .

ورواه بلفظ : (أنت ولي كل مؤمن بعدي) الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين [(٢)] وأبو داود الطيالسي في مسنده [(٣)] ، والطبراني في المعجم الكبير [(٤)] ، وهو في فضائل الصحابة لابن حنبل [(٥)] .

ورواه بلفظ (وعلي ولي كل مؤمن بعدي) ابن أبي شيبة في مصنفه [(٦)] وهو في فضائل الصحابة لابن حنبل [(٧)] .

ورواه بلفظ : (وهو وليكم بعدي) أحمد بن حنبل في مسنده [(٨)] ، وهو في فضائل الصحابة أيضاً [(٩)] .

ورواه بلفظ : (وهذا وليكم بعدي) النسائي في السنن الكبرى [(١٠)] .

ورواه بلفظ : (وإنه وليكم من بعدي) الطبراني في المعجم الأوسط [(١١)] .

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ٦٠٥/٢ حديث رقم : ١٠٣٥ و٦٤٩/٢ حديث رقم : ١١٠٤ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ١٤٣/٣ حديث رقم : ٤٦٥٢ وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وقال الذهبي في التلخيص : (صحيح).

(٣) مسند الطيالسي ٣٦٠/١ حديث رقم : ٢٧٥٢.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٩٧/١٢.

(٥) فضائل الصحابة لابن حنبل ٦٨٢/٢ حديث رقم : ١١٦٨ .

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٢/٦ حديث رقم : ٣٢١٢١.

(٧) فضائل الصحابة لابن حنبل ٦٢٠/٢ حديث رقم : ١٠٦٠ .

(٨) مسند أحمد بن حنبل ٣٥٦/٥ حديث رقم : ٢٣٠٦٢.

(٩) فضائل الصحابة لابن حنبل ٦٨٨/٢ حديث رقم : ١١٧٥ .

(١٠) السنن الكبرى للنسائي ١٣٣/٥ حديث رقم : ٨٤٧٥.

(١١) المعجم الأوسط للطبراني ١٦٣/٦ حديث رقم : ٦٠٨٥ .

وهذا الحديث مروي بأسانيد صحيحة لا مطعن ولا مغمز فيها ولذلك صححه العديد من الحفاظ وكبار العلماء عند أهل السنة ... قال ابن حجر في الإصابة : (وأخرج الترمذي بإسناد قوي عن عمران بن حصين قصة قال فيها : قال رسول الله (ص) : (ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي) [(١)].

وقال المتقي الهندي : (علي مني وأنا من علي ، وعلي ولي كل مؤمن بعدي) (ش عمران بن حصين ، صحيح) [(٢)].

وقال أيضاً : (عن عمران بن حصين قال : بعث رسول الله (ص) سرية واستعمل عليهم علياً فغنموا فصنع علي شيئاً أنكروه وفي لفظ : فأخذ علي من الغنيمة جارية فتعاقد أربعة من الجيش إذا قدموا على رسول الله (ص) أن يعلموه ، وكانوا إذا قدموا من سفر بدؤا برسول الله (ص) فسلموا عليه ونظروا إليه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله (ص) فقام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ! ألم تر أن علياً قد أخذ من الغنيمة جارية ؟ فأعرض عنه ، ثم قام الثاني فقال مثل ذلك فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال مثل ذلك فأعرض عنه ، ثم قام الرابع فأقبل إليه رسول الله (ص) يعرف الغضب فقال : ما تريدون من علي ؟ علي مني وأنا من علي وعلي ولي كل مؤمن بعدي) (ش جرير وصححه) [(٣)].

وقال الصالحي الشامي : (وروى ابن أبي شيبة وهو صحيح عن عمر – رضي الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله (ص) : « علي مني وأنا منه ، وعلي ولي كل مؤمن من

---

(١) الإصابة ٥٦٩/٤.

(٢) كنز العمال ٦٠٨/١١ حديث رقم : ٣٢٩٤١.

(٣) كنز العمال ١٤٢/١٣ حديث رقم : ٣٦٤٤٤.

بعدي ») [١].

وأخرج ابن أبي عاصم في كتابه السنة بسنده عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله (ص) : « علي مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي » قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني محقق الكتاب : (إسناده صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم) [٢].

كما صححه الألباني في سلسلته الصحيحه ، وصحيح سنن الترمذي [٣].

قال الحافظ السيوطي في كتابه القول الجلي : (الحديث الأربعون : عن عمران بن الحصين : إن رسول الله (ص) قال : «علي مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي» أخرجه ابن أبي شيبة وصححه) [٤].

ولكون هذا الحديث يحمل في مضمونه نصاً صريحاً على ولاية أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخلو من محاولات الطعن فيه ، أما ابن تيمية فقد أنكر صحته وجزم كاذباً أنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : (وكذلك قوله : « وهو ولي كل مؤمن بعدي » كذب على رسول الله) [٥].

وقد مرّ عليك أن هذا الحديث ثابت صحيح من أصح الأحاديث وأثبتها وصرّح بصحته العديد من علماء أهل السنة وحفاظهم ، وقد ردّ بعض العلماء على ابن تيمية تكذيبه لهذا الحديث وأنكروا عليه ذلك ومنهم الشيخ محمد ناصرالدين الألباني في

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٢٩٧/١١.

(٢) السنة لابن أبي عاصم صفحة ٥٥٠ حديث رقم : ١١٨٧.

(٣) سنن الترمذي ٥٢١/٣.

(٤) دراسات في منهاج السنة ٢٨٢.

(٥) منهاج السنة ٣٩١/٧.

سلسلته الصحيحه ، واتهمه بالجرأة لتكذيبه الحديث ، قال : (فمن العجيب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام(!!!) ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه) [1] ، واعتبر تكذيبه له ناشئاً من تسرّعه ومبالغته في الرّد على الشيعة ، فقال : (فلا أدري بعد ذلك وجه تكذيبه للحديث إلاّ التسرّع والمبالغة في الرّد على الشيعة) ! [2] ، وممن أنكر على ابن تيمية تكذيبه لهذا الحديث الشيخ عبد الله الهرري ، فقد قال في كتابه المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية : (سلك ابن تيمية عند كلامه على الأحاديث التي في فضائل علي رضي الله عنه مسلك التوسع في تضعيف هذه الأحاديث بل والحكم على أكثرها بالوضع وذلك ليصرفها عن إثبات فضائل لعلي رضي الله عنه ، فحاله ما ذكر ابن حجر أنه ردّ في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد ، يعني الصحيح والحسن .

وليعلم الناظرون أن ابن تيمية يضعف أحاديث ولايبالي بتصحيح الحفاظ لها لشدة تعلق قلبه بتأييد هواه ، كما أن من دأبه دعوى اتفاق العلماء على البدع التي يهواها كذباً وزوراً من غير استحياء من الله ولا من أهل العلم .

فهذا شأن ابن تيمية فإنه يحتج بالحديث الموضوع الذي يوافق هواه ويحاول أن يصححه ، ويضعف الأحاديث والأخبار الثابتة والمتواترة التي تخالف رأيه وعقيدته ، حتى قال فيه تلميذه الذهبي في رسالة أرسلها له على شكل نصيحة بعد كلام ما نصه : «إلى كم تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها والله أحاديث الصحيحين ، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك ، بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار أو التأويل والإنكار » .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٦٣/٥ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٦٤/٥ .

ومن هذه الأحاديث التي حكم عليها ابن تيمية بناء على هواه : ...) وذكر الشيخ عبد الله الهرري (الحديث الأول : وهو قوله (ص) لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ») ثم قال : (الحديث الثاني : قوله (ص) لعلي : « أنت ولي كل مؤمن بعدي ») ، يقول ابن تيمية في منهاجه ما نصه : (وكذلك قوله : « أنت وليي في كل مؤمن بعدي » فإن هذا موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث) ويقول فيه أيضاً مانصه : (وكذلك قوله : « هو ولي كل مؤمن بعدي » كذب على رسول الله (ص)) ثم ذكر مجموعة من المصادر المعتمدة عند أهل السنة والتي روت الحديث المذكور ، وذكر تصحيح الحاكم النيسابوري له على شرط مسلم ، وتقويت ابن حجر للحديث في كتابه الإصابة [(١)] .

وممن حاول الطعن في دلالة حديث الولاية هذا الحافظ أبو العلاء المباركفوري في كتابه تحفة الأحوذي حيث قال : (وقد استدل به الشيعة على أن علياً رضي الله عنه كان خليفة بعد رسول الله (ص) من غير فصل واستدلالهم به عن هذا باطل ، فإن مداره على صحة زيادة لفظة « بعدي » وكونها صحيحة محفوظة قابلة للإحتجاج ، والأمر ليس كذلك ...) [(٢)] ، ثم زعم أن لفظة « بعدي » تفرد بها جعفر بن سليمان الضبي وهو شيعي غال في التشيع ، ثم استدرك على نفسه بالقول : (فإن قلت : لم يتفرد بزيادة قوله « بعدي » جعفر بن سليمان بل تابعه عليها أجلح الكندي) ثم ذكر رواية الأجلح من مسند أحمد وقال بعدها : (قلت : أجلح الكندي هذا أيضاً شيعي) ثم قال : (والظاهر أن زيادة « بعدي » في هذا الحديث من وهم هذين الشيعيين) .

فالمباركفوري لم ينكر دلالة الحديث على الولاية على الأمة ، بل ظاهر كلامه أنه

---

(١) المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية صفحة ٣٤٨ – ٣٥١.

(٢) تحفة الأحوذي ١٠/١٩٩ .

يرى دلالته على ذلك ولكنّه حاول رد قول الشيعة أن الحديث فيه دلالة على ولاية علي المباشرة وبلا فصل بعد الرسول زاعماً أن لفظة « بعدي » غير محفوظة وأنها من وهم جعفر بن سليمان والأجلح الكندي !! ، وهدفه من ذلك تصحيح خلافة الثلاثة الذين تسنّموا سدّة خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أمير المؤمنين عليه السلام .

ويظهر من كلامه أن استدلال الشيعة بالحديث على أن علياً عليه السلام هو الخليفة من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل يكون صحيحاً لو ثبت أن لفظة « بعدي » محفوظة مروية من طريق صحيح ليس فيه شيعي .. نعم هذا هو ظاهر كلامه وإذ اتضح ذلك فتعال معي لتسمع كلاماً للشيخ محمد ناصرالدين الألباني أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة وهو يصلح لأن يكون رداً على الحافظ المباركفوري ويسقط ما في يده ويؤكد صحة استدلال الشيعة .

قال الألباني بعد أن ذكر الحديث من طريق الأجلح وجعفر بن سليمان : (فإن قال قائل : راوي هذا الشاهد شيعي ، وكذلك في سند المشهود له شيعي آخر وهو جعفر بن سليمان ، أفلا يعتبر ذلك طعناً في الحديث وعلة فيه ؟ .

فأقول : كلا ، لأن العبرة في رواية الحديث إنما هو الصدق والحفظ وأما المذهب فهو بينه وبين ربّه فهو حسيبه ، ولذلك نجد صاحبي « الصحيحين » وغيرهما قد أخرجوا لكثير من الثقات المخالفين كالخوارج والشيعة وغيرهم وهذا هو المثال بين أيدينا فقد صحح الحديث ابن حبان كما رأيت ، مع أنه قال في راويه جعفر في كتابه « مشاهير علماء الأمصار » : « كان يتشيع ويغلو فيه » بل إنه قال في « ثقاته » : « وكان يبغض الشيخين » وهذا وإن كنت في شك من ثبوته عنه ، فإن مما لا ريب فيه أنه شيعي لإجماعهم على ذلك ، ولا يلزم من التشيع بغض الشيخين رضي الله عنهما ، وإنما هو

مجرد التفضيل ، والإسناد الذي ذكره ابن حبان برواية صريحة ببغضهما فيه جرير بن يزيد بن هارون ولم أجد له ترجمة ، ولا وقفت على إسناد آخر بذلك إليه ، ومع ذلك فقد قال ابن حبان عقيب ذلك التصريح : « وكان جعفر بن سليمان من الثقات المتقنين في الروايات ، غير أنه كان ينتحل الميل إلى أهل البيت ، ولم يكن بداعية إلى مذهبه ، وليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كان فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها أن الإحتجاج بأخباره جائز » على أن الحديث قد جاء مفرقاً من طرق أخرى ليس فيها شيعي) ثم ذكر طريقاً صحيحاً للحديث ليس فيه شيعي واحد فقال : (وأما قوله : « وهو ولي كل مؤمن بعدي » فقد جاء من حديث ابن عباس فقال الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عنه أن رسول الله (ص) قال لعلي : «أنت ولي كل مؤمن بعدي » وأخرجه أحمد ومن طريقه الحاكم وقال : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي وهو كما قالا)[١].

فثبت والحمد لله أن لفظة « بعدي » الواردة في الحديث محفوظة ورويت من طرق صحيحة وبعض هذه الطرق ليس فيها شيعي حتى يتهم بالوهم أو بشئ من هذا القبيل كما اتهم المباركفوري الأجلح وجعفر بن سليمان ، وبه ثبت أن استدلال الشيعة به استدلال صحيح .

حديث المنزلة

وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي »[٢].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٦٢/٥ —٢٦٣ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٧٠/٤ برقم : ٢٤٠٤ ،، سنن ابن ماجة ٤٥/١ برقم : ١٢١ ، سنن الترمذي ٦٤٠/٥ برقم : ٣٧٣١.

ومن ألفاظه أيضاً: « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي »[(١)].

وحديث المنزلة مشهور متواتر رواه أكثر من ثلاثين صحابياً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروته كتب الصحاح والمسانيد والسنن عند أهل السنة، فهو من الأحاديث المقطوع بصدورها عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

ويدل هذا الحديث الشريف على ثبوت جميع المنازل التي كانت لهارون من موسى عليهما السلام لعلي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن لفظة « منزلة » إسم جنس وقد أضيفت إلى معرفة وهي كلمة « هارون »، واسم الجنس إذا أضيف إلى معرفة فإنه يقتضي ويفيد العموم فثبت من ذلك أن جميع المنازل التي أثبتها القرآن الكريم لهارون —أو صح ثبوتها له —من موسى عليه السلام ثابتة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلاّ ما استثناه الدليل وهو النبوة أو العرف وهو الأخوة.

كما يفيد ثبوت جميع المنازل —إلاّ ما استثني بالدليل أو العرف —العموم المستفاد من الإستثاء، فبه يخرج من اللفظ ما لولاه لوجب دخوله فيه وفي الحديث استثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المنازل فقط النبوة فبقيت جميع المنازل ثابتة وداخلة تحت قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).

أما منازل هارون عليه السلام من موسى عليه السلام فهي عديدة وقد أشار القرآن الكريم إليها أهمها الوزارة وشد الأزر والشراكة في الأمر قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً

---

(١) صحيح ابن حبان ٣٧٠/١٥ برقم: ٦٩٢٧، مسند أحمد ١٨٤/١ برقم: ١٦٠٠، مسند البزار ٢٧٦/٣ برقم: ١٠٦٥ ورواه البخاري في صحيحه ١٣٥٩/٣ حديث رقم: ٣٥٠٣ دون قوله صلى الله عليه وآله وسلم (إلاّ أنه لا نبي بعدي).

مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ فهذه المنازل ثابتة لعلي عليه السلام بنص حديث المنزلة فعلي عليه السلام وزير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي شدّ الله به أزر نبيه [١] وأشركه معه في أمره [٢].

ومن منازل هارون الخلافة ، يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وهذه المنزلة أيضاً ثابتة لعلي عليه السلام بنص حديث المنزلة ولو بقى هارون بعد موسى عليه السلام لما ذهبت الخلافة إلى أحد من أمة موسى عليه السلام غيره ، وقد بقي علي عليه السلام بعد النبي محمد فيكون هو الخليفة وإمام الأمة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم .

حديث الغدير

ويعتبر حديث الغدير من أهم وأبرز وأجلى الأدلة في النص على إمامة الإمام علي عليه السلام وأصحها وأكثرها تواتراً ، فقد رواه جماعة كبيرة ممن سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث أوصل بعض الباحثين عدد رواة هذا الخبر إلى ما يقارب مائة وعشرة من الصحابة.

وخلاصة خبر الغدير هو : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أن أنهى مناسك حجته التي عرفت بحجة الإسلام وقفل راجعاً إلى المدينة وذلك في السنة العاشرة من الهجرة المباركة ، ووصل إلى منطقة الجحفة بقرب غدير خم أمر بدوحات فقممن له وعمل له تحتها منبراً من أحداج الإبل ، وكان جو ذلك اليوم حاراً شديد الحرارة ، فأمر بأن يجمع

---

(١) وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها إلاّ من مكابر معاند ، فمواقفه المشرفة في نصرة الدعوة الإسلامية خير شاهد ودليل على صحة ذلك .

(٢) لقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « لا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي » .

الناس فصلى بهم صلاة الظهر ثم خطبهم خطبة بليغة نصّب أثناءها علياً عليه السلام خليفة وإماماً ووليّاً على الأمة من بعده وذلك عندما قال لهم : (... أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن البعث بعد الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؟

قالوا : بلى نشهد بذلك .

قال : اللهم اشهد ، ثم قال : أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه – يعني علياً – اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

ثم قال : يا أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون عليّ الحوض حوض أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض) [(١)] .

وقد ناشد الإمام علي عليه السلام الناس بهذا الحديث فشهد عنده جماعة من الصحابة ممن سمع هذا الحديث حيث تواتر خبر هذه المناشدة ورواه العديد من محدثي أهل السنة ففي مجمع الزوائد للهيثمي قال : (وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالوا : سمعنا علياً يقول : نشدت الله رجلاً سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم لما قام ، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله قال : « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فأخذ بيد علي فقال : « من كنت مولاه فهذا

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٨٠/٣ .

مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من يبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ») ، قال الهيثمي : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة)[1] .

وفي خبر الغدير من القرائن ما يكفي للمنصف أن يفهم منه أن النبي ﷺ أراد من خلاله النص على علي عليه السلام وتنصيبه إماماً وخليفة له على الأمة من بعده أهمّها : أنه ﷺ مهّد لذلك بأن أخذ إقرار المسلمين على أولويته بهم من أنفسهم بقوله ﷺ : (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ، وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ والمراد منه أن النبي ﷺ له الولاية العامة المطلقة على المسلمين في جميع ما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم ، وبهذا المعنى فسر علماء أهل السنة قوله تعالى هذا[2] ، فهذه الأولوية هي التي مهّد بها النبي ﷺ وأثبتها لعلي عليه السلام ، فعلي عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أن رسول الله ﷺ كذلك .

إن البعض لما أن وجد في حديث الغدير نصاً جلياً على علي عليه السلام بأنه هو خليفة رسول الله وقائد الأمة الإسلامية من بعده وولي أمرها ومدير ومدبر أمورها وشؤونها الدينية والدنيوية ، أنكر صحته من أساسه ففضح بذلك نفسه وأثبت نصبه لعلي بنفسه ، ومن هؤلاء محمد خليل هراس في تعليقه على كتاب التوحيد لابن خزيمة صفحة ٣٢

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠٥/٩ .

(٢) ذكرنا أقوال مجموعة من مفسري أهل السنة لقوله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) في كتابنا الرد النفيس على أباطيل عثمان الخميس من صفحة ٣٦٥ إلى ٣٧٢ الطبعة الأولى ومن أراد الإطلاع على المزيد من القرائن والنصوص وما يتعلق بحديث الغدير من حيث سنده ودلالته فعليه الرجوع إلى كتابنا المذكور وكتاب الغدير للعلامة الأميني قدس سره .

فقد قال : (الحديث غير صحيح ، ويشبه أن يكون من وضع الرافضة) [1] ، ومنهم ابن تيمية الحراني فإنه ضعف الحديث بشطره الأول أي عبارة : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وحكم على شطره الثاني وهو قوله : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... الخ » بأنه كذب [2] .

والحق أن حديث الغدير ليس صحيحاً فقط بل هو من الأحاديث المقطوع صدورها منه ﷺ فقد أسلفنا أنه جاء متواتراً عن ما يقارب مائة وعشرة من الصحابة ، وهذه تصريحات جمع من علمائهم تثبت عدم صحة ما ذهب إليه الهراس وابن تيمية وغيرهم ممن قال بمثل قولهم :

قال الألباني في صحيحته بعد أن ذكر الكثير من الطرق لهذا الحديث وصحح الكثير منها : (وللحديث طرق كثيرة أخرى جمع طائفة منها الهيثمي في المجمع [3] وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً ، وإلاّ فهي كثيرة جداً ، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد ، قال الحافظ ابن حجر : منها صحاح وحسان .

وجملة القول أن حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه ، الأول متواتر عنه (ص) كما يظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه وما ذكرت منها كفاية) [4] .

وقال العجلوني : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، رواه الطبراني وأحمد والضياء في

---

(١) وانظر كتاب خصائص الإمام علي للنسائي تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري صفحه ٩٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٤١٧ — ٤١٨.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٠٣ — ١٠٨ .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٣٤٣.

المختارة عن زيد بن أرقم وعلي وثلاثين من الصحابة بلفظ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فالحديث متواتر أو مشهور)[١] .

وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة : (وقول بعضهم أن زيادة اللهم وال من والاه ... الخ ، موضوعه مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها)[٢] ، وبمثل هذا القول قال الحلبي في السيرة الحلبية[٣] .

وقال العلامة الشيخ محمد الصبان في إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار صفحة ١٦٧ : (وقال رسول الله (ص) يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر معه الحق حيث دار ، رواه عن النبي (ص) ثلاثون صحابياً وكثير من طرق صحيح أو حسن)[٤] .

الرّد على شبهات الجنيد حول النص على علي عليه السلام

قال الجنيد تحت عنوان « التعقيب على دعوى نصية الإمامة » : (إن الإعتقاد بوجود نص من القرآن ينص على وجوب إمامة علي ومن بعده يصطدم بعقبات رئيسية : -

١ - إن أمر المسلمين شورى بينهم كما قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ «الشورى : ٣٨» والخلافة من أمور المسلمين ، وليس في كتاب الله ولا سنة نبيه (ص)

---

(١) كشف الخفاء ٣٦١/٢.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ١٠٨/١.

(٣) السيرة الحلبية ٣٣٦/٣.

(٤) عنه المرعشي في إحقاق الحق ٢٩٢/٦ ، الميلاني في نفحات الأزهار ٢١٧/٧.

نص صريح على تعيين الخليفة من بعده ، يؤكد ذلك ما رواه الشريف المرتضى في نهج البلاغة عن علي أنه قال لمعاوية : « إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضا » أي أن الله يرضى ما رضيه المهاجرون والأنصار .

ثم طلب معاوية أن يبايعه قائلاً : « بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يختار » .

فهذا يعني بوضوح أن علياً كان يعتقد شرعية خلافة أبي بكر وعمر بطريقة رضي بها الجميع .

٢ — إن علي بن أبي طالب بايع الخلفاء وهذا متفق عليه ، غير أن الشيعة يروون أنه اعترض أول الأمر ثم ما لبث أن سلم بالأمر وبايع ، وهذه البيعة تعتبر إقراراً بشرعية الخلفاء الذين سبقوه وهذا الإقرار حجة على المنتسبين إليه)[1] .

أقول : أولاً : لقد أوقفناك أيها القارئ فيما سبق على مجموعة من الأدلة التي تفيد أن الإختيار لمنصب الإمامة حق الله عزّ وجل ، فهو الذي يختار ويجعل من يراه مناسباً لشغل هذا المنصب ، ولا دخل للناس في هذا التعيين فلا يدخل أمر الإمامة تحت مفهوم الآية الكريمة ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ .

كما أوقفناك على مجموعة من الأدلة والعديد من النصوص الصريحة من مصادر أهل السنة في النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإمام الأمة وقائدها في أمورها وشؤونها بعده ، فزعم الجنيد عدم وجود النص عليه عليه السلام باطل لما ذكرناه .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٥٨ — ٥٩.

ثانياً : إن الشورى لم يعمل بها في اختيار الخليفة الأول (أبو بكر) ولنا على ذلك دليل قول عمر بن الخطاب الذي رواه البخاري في صحيحه [١] : (... ثم بلغني أن قائلاً منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً [٢] ، فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنها كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها ، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي تابعه تغرة أن يقتلا ...) .

فهذه شهادة من عمر بن الخطاب على أن تولية أبي بكر لم تكن عن مشورة بين المسلمين المهاجرين والأنصار وإنما كانت فلتة –حسب تعبيره –ولذلك نجده يدعو إلى الشورى في تعيين الخليفة ويأمر بقتل من بايع وبويع له على الطريقة التي تولى بها أبو بكر .

ولم تكن تولية عمر تمت عن طريق الشورى بين المسلمين أيضاً ، وإنما كانت باختيار وتعيين أبي بكر له فإن أبا بكر لما أن ثقل بعث إلى عمر كي يأتي إليه ليستخلفه ، فقال المسلمون استخلفت علينا فظاً غليظاً ، فهذا إذا ولي كان أفظ وأغلظ ، ثم قالوا لأبي بكر : ما تقول لربك إذا أتيته وقد استخلفت عمر؟ فقال : أبربي تخوفوني ؟! أقول أمرّت عليهم خير أهلك [٣] .

---

(١) صحيح البخاري ٢٥٠٥/٦ .

(٢) القائل هو الزبير وفلاناً هو علي بن أبي طالب ذكر ذلك ابن حجر في مقدمة فتح الباري صفحة ٣٣٨ فقد قال : « ... وجدته في الأنساب للبلاذري بإسناد قوي ، من رواية هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري بالإسناد المذكور في الأصل ولفظه : قال عمر : بلغني أن الزبير قال : لو مات عمر لبايعنا علياً ... » .

(٣) تاريخ دمشق ٤١٣/٣٠ ، أخبار المدينة صفحة ٣٥٦ ، مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٨/٦ برقم : ٣٢٠١٣ و٤٣٤/٧ برقم : ٣٧٠٥٦ ، الزهد لابن أبي عاصم صفحة ٢٨٤ .

فأبو بكر لم يترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يروونه مناسباً لشغل منصب الخلافة بل عيّن ونصّب عمر عليهم ولما أن احتجوا عليه بقولهم: (ما تقول لربك إذا أتيته وقد استخلفت عمر ؟) أجابهم بأنه إنما نصبه وعينه لكونه —حسب زعمه— أفضلهم[١]، فإن كانت الشورى هي السبيل الوحيد الذي جعله الله لتنصيب من يتولى خلافة النبي ﷺ فتكون خلافة أبي بكر غير شرعية لأنها لم تتم عن طريق الشورى وكذلك خلافة عمر ويكون أبو بكر قد خالف الله عزّ وجل وعصاه حين خالف تعاليمه فنصّب عمر بن الخطاب من بعده ولم يجعل الأمر شورى بين المسلمين.

وعمر نفسه الذي أثاره قول الزبير عندما قال: (لو قد مات عمر بايعنا علياً) فدعا للشورى وحكم على المبايع والمبايع له بغيرها بالقتل! لم يلتزم بها عندما صرّح قبل وفاته بقوله: (لو كان سالم حياً لما جعلتها شورى)[٢].

وقوله: (لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته)[٣].

---

(١) قال الشيخ حسن بن فرحان المالكي وهو من علماء أهل السنة في المملكة العربية السعودية في كتابه « قراءة في كتب العقائد » صفحة ٥٠ تحت عنوان: « وصية أبي بكر لعمر بالخلافة وموقف المسلمين منها »: (وقبل وفاة أبي بكر الصديق كان قد أوصى بالخلافة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانت هذه الوصية أيضاً محل اعتراض من بعض الصحابة الكبار كعلي وطلحة وغيرهما لغلظة عمر رضي الله عن الجميع ولم يذكر التاريخ شيئاً آخر غير الغلظة لكن في ظني أن اعتراض من اعترض كان عنده توجس من مسألة الوصية نفسها إذ كيف يوصي الخليفة إلى أن يخلفه فلان دون مشورة المسلمين ؟!!) وقال في الهامش: (روى ابن عساكر في هذه المعارضة بأسانيد صحيحة، راجع ترجمة عمر بن الخطاب في تاريخ دمشق تحقيق سكينة الشهابي من صفحة ٢١٢ إلى صفحة ٢١٥).

(٢) البداية والنهاية ٣٣٦/٦، الوافي بالوفيات ٥٨/١٥، عمدة القارئ ٢٤٦/١٦، الاستيعاب ٥٦٨/٢، تهذيب الأسماء ٢٠٢/١.

(٣) تخريج الأحاديث والآثار ٢٥٠/٢، تفسير ابن كثير ٣٥٢/٤.

وقوله : (لو كان معاذ حياً لاستخلفته) [١] .

وقوله : (ولو كان سالم حياً لاستخلفته) [٢] .

وقوله : (لو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به ، سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح) [٣] .

وقوله : (لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت فإن سئلت عنه قلت استخلفت أمين الله وأمين رسوله (ص)) [٤] .

وأما جعله بعد هذا التصريح الأمر شورى بين ستة ، فهو أشبه إلى التعيين منه إلى الشورى ، فهي شورى تكتنفها شروط عجيبة غريبة [٥] فهؤلاء الستة نفر المرشحون

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار ٢٥٠/٢.

(٢) نفس المصدر السابق برقم المجلد والصفحة.

(٣) مسند أحمد ٢٠/١ برقم : ١٢٩ ، الطبقات الكبرى ٣٤٣/٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٢٦٨/٣ ، كنز العمال ٢١٦/١٣ برقم : ٣٦٦٥٤ ، الطبقات الكبرى ٤١٣/٣ ، تاريخ دمشق ٤٦١/٢٥ و٤٠٤/٥٨.

(٥) في الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤٦٠/٢ : (فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن والزبير فقال لهم إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلاّ فيكم وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض وإني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ولكني أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها واختاروا رجلاً منكم ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم فقال عبدالله بن عمر سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر فانتبه وقال أعرضوا عن هذا فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلاّ وعليكم أمير منكم ويحضر عبدالله بن عمر مشيراً ولا شئ له من الأمر وطلحة شريككم في الأمر فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لي بطلحة ؟! =

لمنصب خلافة النبي ﷺ إنما كانوا مرشحين من قبل الخليفة ، وأن اختيار واحد منهم لخلافة عمر إنما يتم فيما بينهم فليس لبقية المسلمين من المهاجرين والأنصار يد أو دخل في هذا الاختيار ، ومن ينظر في الشروط التي أحاط بها عمر هذه الشورى ، وسيرة ومواقف كل واحد من هؤلاء الستة يتيقن أن النتيجة كانت محسومة لصالح عثمان ، فإذاً أين هي الشورى المزعومة ؟!.

نعم لقد انثال الناس على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان يبايعونه ، وكل من جاء بعد ذلك إلى كرسي الخلافة لم يكن مختاراً من قبل الأمة بل عن طريق القهر والغلبة أو التعيين ممن سبقه ، فليس للشورى وجود أصلاً في مجال التطبيق .

ثالثاً : زعمه أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بايع الخلفاء من بعده غير صحيح ، فالإمام كان يرى أن منصب خلافة الرسول ﷺ وإمامة الأمة حقه

= فقال سعد ابن أبي وقاص أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله تعالى فقال عمر أرجو أن لا يخالف إن شاء الله تعالى وما أظن يلي إلاّ أحد هذين الرجلين علي أو عثمان فإن ولي عثمان فرجل فيه لين وإن ولي علي ففيه دعابة وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق وإن تولوا سعداً فأهله هو وإلاّ فليستعن به الوالي فإني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأي عبدالرحمن بن عوف مسدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه وأطيعوا ، وقال لأبي طلحة الأنصاري يا أبا طلحة إن الله طالما أعز بكم الإسلام فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم وقال للمقداد بن الأسود إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف (!!!) وإن اتفق أربعة وأبى إثنان فاضرب رؤوسهما (!!!) وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكموا عبدالله بن عمر فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إذا رغبوا عما اجتمع فيه الناس (!!!)) .

الخاص ، وكل ما في الأمر أن الإمام عليه السلام لما أن اغتصب منه حق سلطة الحكم على الأمة ولم يتمكن من استرداده بالوسائل السلمية ارتأى عدم المواجهة مع الخلفاء الثلاثة بغير هذه الوسيلة رعاية لمصلحة الإسلام والمسلمين ، يقول صلوات الله وسلامه عليه في خطبته المعروفة بالشقشقية :

(أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، وإنه ليعلم أن محلّي منها محل القطب من الرّحى ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إليّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً وطفقت برهة أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه ! .

فرأيت أن الصّبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهباً .

حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده .

شتان ما يومي على كرها ❊ ❊ ❊ ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته !!! .

لشدّما تشطّرا ضرعيها !! .

فصيّرها في حوزة خشناء يلغظ كلمها ، ويخشن مسّها ، ويكثر العثار فيها ويقل الإعتذار منها .

فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحّم ، فمني الناس فيها لعمر الله بخبط وشماس وتلوّن واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدّة المحنة .

حتى إذا مضى لسبيله جعلها شورى في جماعة زعم أني أحدهم .

فيا لله لهم وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت الآن أقرن إلى هذه النظائر !!!.

لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن.

إلى أن قام ثالث القوم نافخاً حضنيه بين نثليه ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله — تعالى — خضم الإبل نبتة الربيع.

إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته.

فما راعني إلاّ والناس إليّ كعرف الضبع ينثالون عليّ من كل وجه وجانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله — سبحانه وتعالى — يقول: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [(١)].

بلى والله لقد سمعوها، ووعوها ولكنهم حليت الدّنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.

أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله — تعالى — على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز) [(٢)].

وروي أن علياً عليه السلام أتي به إلى أبي بكر وهو يقول: (أنا عبد الله وأخو رسوله).

---

(١) سورة القصص الآية: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة صفحة ٣٠٧ – ٣٠٩.

فقيل له بايع أبا بكر فقال : (أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم ، وأنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً ؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمّا كان محمد منكم فأعطوكم المقادة ، وسلّموا إليكم الإمارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حياً وميّتاً ، فأنصفونا إن كنتم مؤمنين ، وإلاّ فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون .

فقال عمر : إنك لست متروكاً حتى تبايع .

فقال له علي : احلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً ، ثم قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ، ولا أبايعه ...) .

إلى أن قال : (الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به ، لأنّا أهل البيت ، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ، إنا كان فينا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً)[١] .

ومن كلام له عليه السلام قال : (لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ، والله لأسلمّن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة إلتماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه) .

وقوله عليه السلام : (اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم ، فإنهم قد قطعوا رحمي

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٨/١ — ١٩.

وأكفئوا إنائي ، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري ، وقالوا ألا إن في الحق أن تمنعه ، فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً.

فنظرت فإذا ليس لي رافدٌ ، ولا ذابٌ ولا مساعدٌ إلاّ أهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى ، وجرعت ريقي على الشّجا ، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم وآلم للقلب من وخز الشفار) [1].

وقال عليه السلام : (وقد قال قائل : إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص ، فقلت : بل أنتم والله لأحرص وأبعد ، وأنا أخصُّ وأقرب ، وإنما طلبت حقاً لي ، وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه ، فلما قرّعته بالحجة في الملأ الحاضرين هبّ كأنه بهت لا يدري ما يجيبني به) [2].

وقال عليه السلام : (فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ، ومهيمناً على المرسلين ، فلما مضى صلى الله عليه وآله وسلم تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فو الله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوّه عني بعده ، فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعت الناس عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتقشع السّحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين

(١) نهج البلاغة صفحة ٣٣٦.

(٢) نهج البلاغة صفحة ٢٤٦.

وتنهنه) [١] .

وقال عليه السلام : (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ؟ كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا الله وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى العمى ، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لاتصلح على من سواهم ولاتصلح الولاة من غيرهم) [٢] .

وقال عليه السلام بعد البيعة له : (لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين إليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ، ونقل إلى منتقله) [٣] .

وقال عليه السلام : (اللهم فاجز قريش عني الجوازي فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ ودفعتني عن حقي ، سلبتني سلطان ابن أمي ، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتي في الإسلام إلاّ أن يدعي مدع ما لا أعرفه ، ولا أظن الله يعرفه ، والحمد لله على كل حال) [٤] .

وقال عليه السلام : (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، أنه لعهد النبي الأمي إليّ أن الأمة ستغدر بك من بعدي) [٥] .

---

(١) نهج البلاغة صفحة ٤٥٢.

(٢) نهج البلاغة صفحة ٢٠١.

(٣) نهج البلاغة صفحة ٤٧.

(٤) نهج البلاغة صفحة ٤٠٩.

(٥) أنظر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا لعلي في المستدرك على الصحيحين ١٥٣/٣ برقم : ٤٦٨٦ وقال : (صحيح) ، مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ٩٠٥/٢ برقم : ٩٨٤ ، تذكرة الحفاظ ٩٥٥/٣ ، تاريخ دمشق ٤٤٧/٤٢ و٤٤٨.

وقال عليه السلام : (فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله قلنا : نحن أهله وورثته وعترته ، وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة ، يطمع فينا الضعيف ، ويتعزز علينا الذليل ، فبكت الأعين منا لذلك ، وخشيت الصدور ، وجزعت النفوس ، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ويبور الدين ، لكنا على غير ما كنا عليه) [١] .

وفي فرائد السمطين للعلامة الحمويني عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً عليه السلام يقول : (بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه ، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف ، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان ؟!!! إذاً لا أسمع ولا أطيع وإن عمر جعلني من خمسة نفرٍ أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كلّنا في شرع سواء ، وأيم الله لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عربيّهم ولاعجميهم ولامعاهدٌ منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها لفعلت) [٢] .

فكل هذه الأقوال منه عليه السلام ظاهرة في أنه عليه السلام كان يرى أن قيادة الأمة والإمرة على المسلمين وولايتهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هي له ولبقية الأئمة من بني هاشم وليس لغيرهم فيها حصة ولا نصيب ، وأن القوم قد اغتصبوه حقاً هو أحق وأولى به منهم لكنه سالمهم وصالحهم خشية الفرقة بين المسلمين ، وارتداد الناس عن الدين .

ولا توجد رواية واحدة صحيحة عند الشيعة تقول بأن علياً عليه السلام بايع أبا بكر أو غيره

---

(١) نهج البلاغة صفحة ١٠٢ .

(٢) فرائد السمطين ٣٢٠/١.

مختاراً ، وروايات السنيين متضاربة وتنقسم إلى قسمين ، القسم الأول منها أيضاً ينقسم إلى قسمين ، الأول يزعم أنه عليه السلام بايع أبا بكر من أول الأمر مختاراً ، وهذه الروايات لا تصح [(١)] والقسم الآخر يقول بأنه بايع مكرهاً ، ومعلوم أن البيعة بالإكراه والقوة والوعيد لا تصح ، أما القسم الثاني فيقول بأن علياً عليه السلام قد بايع أبا بكر بعد ستة أشهر أي بعد وفاة سيدة نساء أهل الجنة السيدة الزهراء عليها السلام ففي صحيح البخاري [(٢)] بسنده عن عروة عن عائشة : (أن فاطمة عليها السلام بنت النبي (ص) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله (ص) قال : لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد (ص) في هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله (ص) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (ص) ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله (ص) فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها ابا بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر ...) .

فهذه عائشة في قولها : (ولم يكن يبايع تلك الأشهر) ترد على كل من زعم أو يزعم أن علياً عليه السلام بايع أبا بكر من أول الأمر ، فلو كان علي عليه السلام يرى شرعية خلافة

---

(١) لأن هناك رواية في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة –سيأتي نصها– تقول بأن علياً لم يبايع أبا بكر إلى ما بعد وفاة فاطمة عليها السلام ، وروايات البخاري ومسلم في الصحة مقدمة عند أهل السنة على روايات غيرهما .

(٢) صحيح البخاري ١٥٤٩/٤ حديث رقم : ٣٩٩٨.

أبي بكر لما كان لهذا التخلف وجه ، وإذا ما قابلنا بين ما ورد في هذه الرواية وتصريحات الإمام علي السابقة سيتضح لنا أنه عليه السلام إنما صالح وسالم حفاظاً على الإسلام والمسلمين وفسّر البعض هذه المصالحة والمسالمة على أنها بيعة منه عليه السلام مع أن الأمر في واقعه ليس كذلك .

رابعاً : بالنسبة للقول المنسوب للإمام علي عليه السلام : (بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ... الخ) و (إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل سمّوه إماماً كان ذلك رضاً) [1] ، فالمروي أن هذا الكلام وجهه الإمام عليه السلام في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان ، ونحن ننقل نصّه كاملاً كما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق قال : (أخبرنا أبو عبد الله البلخي أنا أحمد بن الحسن بن خيرون أنا الحسن بن أحمد بن براهيم أنا أحمد بن إسحاق الطيبي ، نا أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين ، نا أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفي ، نا نصر بن مزاحم ، نا عمر بن سعد الأسدي ، عن نمير ابن وعلة ، عن عامر الشعبي أن علياً بعد قدومه الكوفة نزع جرير بن عبد الله البجلي عن همدان فأقبل جرير حتى قدم الكوفة على علي بن أبي طالب فبايعه ثم أن علياً أراد أن يبعث إلى معاوية بالشام رسولاً وكتاباً فقال له جرير يا أمير المؤمنين ابعثني إليه فإنه لم يزل لي مستنصحاً ووداً فآتيه فأدعوه على أن يسلم هذا الأمر لك ويجامعك على الحق وأن يكون أميراً من أمرائك وعاملاً من عمالك ما عمل بطاعة الله واتبع ما في كتاب الله وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك فإن جلهم قومي وقد رجوت ألا يعصوني فقال له الأشتر لا تبعثه ولا تصدقه فو الله إني لأظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال له دعه حتى

(١) في بعض المصادر « كان ذلك لله رضا »

ننظر ما يرجع به إلينا فبعثه علي إلى معاوية فقال له حين أراد أن يوجهه إن حولي من قد علمت من أصحاب رسول الله (ص) من أهل الدين والرأي وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله (ص) فيك من خير ذي يمن فائت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه على سواء وأعلمه أني لا أرضى به أميراً وإن العامة لا ترضى به خليفة فانطلق جرير حتى نزل بمعاوية فدخل عليه فقام جرير فحمد الله وأثني عليه ثم قال أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز واليمن ومصر وعمان والبحرين واليمامة فلم يبق إلا هذه الحصون التي أنت فيها لو سال عليها من أوديته سيل غرقها وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى متابعة أمير المؤمنين علي ودفع إليه كتابه قال وكانت نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن بيعتي لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه فلم يكن لشاهد أن يختار ولا لغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك رضاً فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى فاقتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا ، وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضها كردها فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية إلا أن تعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها يا معاوية فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون

هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان واعلم يا معاوية أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلاّ بالله)[١].

فهو كما ترى مروي من طريق نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد الأسدي، عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي، وقد رواه نصر بن مزاحم في وقعة صفين عن عمر بن سعد بنفس باقي السند وليس له سند غير هذا السند، فمصدره الشعبي وهو من رواة أهل السنة، ومذموم عند الشيعة، وفي نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي[٢] عن أبي إسحاق قال: (ثلاثة لا يؤمنون على علي بن أبي طالب، مسروق، ومرة، وشريح، وروي أن الشعبي رابعهم) وفي السند نمير بن وعلة وهو مجهول صرّح بذلك الرازي في الجرح والتعديل[٣] والذهبي في ميزان الاعتدال[٤].

فلا يصح الاحتجاج على الشيعة بما لم تثبت صحته عندهم وبما روي من طرق أهل السنة والمجهولين من الرواة، على أننا لو سلمنا أن ما ورد في هذا الخطاب هو كلامه عليه السلام فلا يعلم هل هذا هو نص الخطاب كاملاً أو أن الراوي تصرّف في بعض كلامه بما يوافق عقيدته ومذهبه.

على أن الظاهر منه أنه أورده على سبيل الإلزام، لإلزام معاوية بما ألزم به نفسه لا غير فليس فيه ما يدفع القول بالنص عليه عليه السلام.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٢٨/٥٩.

(٢) نهج البلاغة لابن بي الحديد المعتزلي ٩٨/٤.

(٣) الجرح والتعديل ٤٩٨/٨ برقم: ٢٢٧٨.

(٤) ميزان الاعتدال ٢٧٣/٤ برقم: ٩١٢١.

قال الجنيد: (إن علي بن أبي طالب عليه السلام رفض الخلافة عندما عرضت عليه قائلاً: « دعوني والتمسوا غيري فلأن أكون لكم وزيراً خير لكم من أن أكون عليكم أميراً » وقال عند مبايعته عقب مقتل عثمان: « والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها » فلا يبدوا من خلال هذه النصوص أن علياً كان يعتقد بنصية إمامته من القرآن، وإلا فلو كان يعتقد ذلك لما قال « دعوني والتمسوا غيري » ولما قال « والله ما كانت لي في الخلافة رغبة » ولما بايع أبا بكر وعمر وعثمان، فإن هذا عصيان للنص الإلهي على افتراض وجوده ومخالفة صريحة لحديث « غدير خم » على افتراض صحته)[1].

أقول: أولاً: قول الإمام عليه السلام هذا لا يختص بمنصب الإمامة الكبرى والولاية العظمى فقد أثبتنا أنها منصب إلهي وقد أعطاه الله عزّ وجل لأمير المؤمنين عليه السلام بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه كما هو واضح من الأدلة العديدة التي قدّمناها، وإنما هو خاص بالخلافة والولاية بمعنى حق ممارسة سلطة الحكم الذي هو أحد فروع الإمامة والولاية الكبرى.

ثانياً: إن الجنيد لم ينقل نص كلامه عليه السلام كاملاً وإنما مارس فيه التقطيع والبتر وهذا من تزويره وتدليسه فنصه كاملاً هو: (دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول وأن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وأن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً).

والظاهر منه – والله العالم – أن الإمام عليه السلام أراد أن يقول لأولئك المسلمين الذين

---

(١) حوار هادئ صفحة ٦١-٦٢

حضروا لمبايعته أنكم إن بايعتموني فلا بدّ أن تلتزموا ببيعتكم وتقوموا بلوازمها ومنها الطاعة المطلقة لي وإمتثال أوامري وعدم الاعتراض عليّ في أمر ، وإلاّ فابحثوا عن غيري .

فالإمام له الحق في رفض أو عدم قبول بيعة من يرى أنه لا يتلزم بها أو بواجباتها ، وعليه فليس في كلامه هذا ما يدل على عدم النص عليه إماماً وولياً على المسلمين وخليفة عليهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمورهم وشؤونهم الدينية والدنيوية ولا يعد رفضه البيعة لممارسة ولاية السلطة والحكم - ممن يعلم من حالهم وسيرتهم ومواقفهم أنهم لن يلتزموا ببيعته أو ببعض لوازمها أولا يطيعوه ولا ينفذوا أوامره - عصياناً للنص الإلهي .

ثالثاً : أما قوله : « والله ما كانت لي في الخلافة رغبة » فهو مقطع من كلام وجهه لطلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وذلك عندما عتبا عليه لتركه مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما فقال لهما : (لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً ، ألا تخبراني أي شئ لكما فيه حق دفعتكما عنه وأي قسم استأثرت عليكما به أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت بابه ، والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتوني عليها ، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقتديته فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما ، ولا وقع حكم جهلته فاستشيركما وإخواني المسلمين ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما . وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة [1] فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى مني ، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فرغ منه فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما

---

(١) الأسوة هنا التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال ، وكان ذلك قد أغضبهما على ما روي .

في هذا عتبى أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر) .

وهو ظاهر في أنه قاله بعد أن زويت عنه الخلافة والإمرة طوال فترة من الزمن وأخذت منه وكانت حقه الذي حاول استرجاعه من غاصبيه بما توسل به من الوسائل السلمية فلم يفلح في ذلك ، وبعد مقتل عثمان لم يسعى عليه السلام لدعوة الناس إلى بيعته لتولي منصب سلطة الحكم فكان راغباً عنها لأنه عليه السلام لا ينظر إلى السلطة والإمرة على أنها هدف وغاية بل هي عنده وسيلة لإحقاق الحق وإقامة العدل وقد صرّح بذلك فمرة يدخل عليه عبد الله ابن عباس رضي الله عنه بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال له الإمام عليه السلام : ما قيمة هذا النعل ؟ فقال ابن عباس : لا قيمة لها ، فقال عليه السلام : والله لهي أحب إليّ من إمرتكم إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً[1] ، والناس هم الذين أتوا إليه وبايعوه فقوله : « ... والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتوني عليها ... » إنما يشير إلى هذه الحقيقة وعليه فلا دلالة فيه على أنه عليه السلام لا يرى النص عليه بالإمرة والخلافة .

رابعاً : إن الجنيد في كلامه السابق يحاول أن يخدش في صحة حديث الغدير ، وذلك في قوله : (... ومخالفة صريحة لحديث غدير خم على افتراض صحته) ، وحديث الغدير ليس فقط حديث صحيح وإنما هو حديث متواتر مروي عن أكثر من مائة صحابي والكثير من طرقه صحاح وحسان ، ولا يضاهي حديث من الأحاديث المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث الغدير من حيث كثرة طرقه ، وقد أوقفناك أيها القارئ المنصف فيما سبق على تصحيح بعض من علماء أهل السنة له وتصريحهم بتواتره ، فمحاولة الجنيد الطعن في صحة حديث الغدير ما هو إلاّ محاربة لله ورسوله وللإمام علي عليه السلام .

---

(١) نهج البلاغة ١/٨٠ .

قال الجنيد : (ومن المتفق عليه أن الحسن تنازل عن الخلافة لمعاوية حسبما تنبأ به رسول الله (ص) قائلاً « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ».

والسؤال : لماذا تنازل الحسن عن الخلافة إلى معاوية حسبما اعترفت بتفاصيله كتب الشيعة ... الخ) [1].

وقال : (إن ملف هذه القضية قد طوي بتنازل الحسن ومبايعة علي للثلاثة بالخلافة وإن ملف « نصية الإمامة » قد ألغي برضاهما عن استلام غيرهما مقاليد الخلافة ، فلماذا يتمسك الشيعة بشيء تنازل عنه أئمتهم ؟) [2].

أقول : عقيدة الشيعة في الإمام أنه القائم بجميع وظائف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته عدا وظيفة تلقي التشريع الإلهي وإبلاغه للناس ، فهذه الوظيفة قام بها النبي صلى الله عليه وآله في حياته وإكتمل الدين والتشريع الإلهي قبل أن ينتقل إلى ربه ، أما بقية الوظائف الأخرى فإن الإمام القائم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يشغلها ومن هذه الوظائف العديدة وظيفة السلطة والحكم ، وهي – أي وظيفة السلطة والحكم - التي تنازل عنها الإمام الحسن عليه السلام وصالح عليها معاوية ابن أبي سفيان حين ألجأته الظروف والأسباب لذلك مراعاة لمصلحة أهم ودفعاً لضرر محتمل أكبر ، فلم يتنازل عليه السلام له عن الإمامة بجميع وظائفها كما زعم الجنيد ، فكيف يكون تنازله وتصالحه هذا دليلاً على عدم نصيّة الإمامة ؟

ثم لو أننا أغضضنا الطرف عن جميع ما أوردناه فيما سبق حول بيعة الإمام علي عليه السلام للثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) وأنه لم تصدر منه بيعة وإنما صالح وسالم القوم رعاية

---

(١) حوار هادئ صفحة ٦٢-٦٣.

(٢) حوار هادئ صفحة ٦٣.

لمصلحة الإسلام والمسلمين وسلمنا مع الجنيد أنه عليه السلام بايعهم فإن بيعته لهم إنما كانت بخصوص توليهم السلطة والحكم وليس رضاً منه بكونهم أئمة وخلفاء وقادة للأمة وقائمين بجميع وظائف النبي صلى الله عليه وآله بعده، ولم تكن هذه البيعة منه لهم بمحض إرادته وإنما باعتبار أنهم استولوا على هذا المنصب –الذي هو حقه الخاص– فرأى عليه السلام من مصلحته ومصلحة الإسلام والمسلمين مبايعتهم، فلا تكون بيعته هذه لهم أيضاً دليلاً على عدم وجود النص عليه وعلى الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام.

الفصل الخامس عشر
محاولة الجنيد إثبات علاقة وطيدة بين أهل البيت وبعض الصحابة

وقال الجنيد : (وليس أدلّ على هذه العلاقة الطيبة بين علي والصحابة من تزويج ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب كما اعترفت بذلك كتب ومصادر الشيعة)[1] .

وقال في هامش الصفحة : (إن هذا الزواج يبطل الروايات المختلقة التي وضعها الكذابون والتي تحكي أن عمر بن الخطاب ضرب فاطمة برجله حتى سقط جنينها . هب أن رجلاً ضرب زوجتك وتسبب في قتل ولدك هل تعطيه ابنتك وترضى أن يكون صهرك ؟ وتسمي ولدك الآخر باسمه ؟ ثم إن هذه الرواية المكذوبة تنص على أن الذي فعل ذلك رجل اسمه « قنفذ » وليس عمراً)[2] .

حقيقة زواج أم كلثوم من عمر بن الخطاب

أقول : أولاً : لقد ذهب البعض نتيجة لتضارب الأخبار واختلافها اختلافاً شديداً إلى عدم صحة وقوع زواج أم كلثوم ابنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من عمر بن الخطاب بينما ذهب آخرون إلى وقوعه ، وروايات الشيعة الصحيحة تثبت أن الإمام علي عليه السلام ردّ عمر

(١) حوار هادئ صفحة ٦٨ .

(٢) حوار هادئ هامش صفحة ٦٨ .

عندما خطبها منه بحجة أنها صغيرة ، ولكنه جعل أمرها بيد عمّه العباس بعد أن تهدده وتوعده عمر ، ففي رواية ينقلها العلامة الكليني قُدّسَ سِرّه عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : (لما خطب إليه قال له أمير المؤمنين إنها صبية ، قال : فلقي العباس فقال له : مالي أبيَ بأس ؟ قال : وماذاك ؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردني ، أما والله لأعورن زمزم ولا أدع لكم مكرمة إلاّ هدمتها ولأقيمنّ عليه شاهدين بأنه سرق ولأقطعن يمينه ، فأتاه العباس وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله إليه)[1].

فكيف يصح أن نجعل زواجاً وقع بهذه الطريقة دليلاً على وجود علاقة طيبة ووطيدة بين الإمام علي عليه السلام وعمر بن الخطاب ؟!

وليس في روايات الشيعة ما يؤكد دخوله بها فضلاً عن وجود أولاد له منها ، بل إن الزرقاني المالكي وهو أحد علماء أهل السنة قال في شرح المواهب اللدنية ٩/٧ : (أم كلثوم زوجة عمر بن الخطاب مات عنها قبل بلوغها) .

وموضوع زواج أم كلثوم تناوله بالتحليل والبحث والتحقيق العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي أيّده الله في كتاب خصصه لهذا الموضوع أسماه (ظلامة أم كلثوم) فمن أراد معرفة المزيد عن هذا الزواج وملابساته فعليه بمراجعة الكتاب المذكور ففيه الكفاية .

الإعتداء على بيت علي وفاطمة

ثانياً : إن اعتداء أبي بكر وعمر ومن معهما على بيت علي وفاطمة عليهما الصلاة والسلام مصرح به في مصادر أهل السنة ، وهو من الحقائق التاريخية الثابتة ففي كتاب

---

(١) الكافي ٣٤٦/٥.

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، قال : (وإن أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه ، فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداهم وهم في دار علي ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب ، وقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها !!!

فقيل له : يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة ؟!

فقال : وإن !!!

فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً ، فإنه زعم أنّه قال : حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن .

فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقاً !

فأتى عمر أبا بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة ؟!

فقال أبو بكر لقنفذ —وهو مولى له -: اذهب فادع لي عليّاً .

قال : فذهب إلى علي ، فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله .

فقال علي : لسريع ما كذبتم على رسول الله .

فرجع فأبلغ الرسالة ، قال : فبكى أبو بكر طويلاً ! فقال عمر : الثانية لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة ، فقال أبو بكر لقنفذ : عد إليه فقل له : خليفة رسول الله يدعوك لتبايع .

فجاءه قنفذ فأدّى ما أمر به ، فرفع علي صوته فقال : سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له .

فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلاً ! ، ثم قام عمر فمشى مع جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب ، فلمّا سمعت أصواتهم ، نادت بأعلى صوتها : يا أبت ! يا رسول

الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن أبي قحافة ...)[1] .

ويقول أبو الفداء : (لما قبض الله نبيّه ، قال عمر بن الخطاب : من قال إن رسول الله (ص) مات علوت رأسه بسيفي هذا ، وإنّما ارتفع إلى السماء !!! فقرأ أبو بكر : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[2] .

فرجع القوم إلى قوله ، وبادروا سقيفة بني ساعدة ، فبايع عمر أبا بكر ، وانثال الناس عليه يبايعونه في العشر الأوسط من ربيع سنة إحدى عشرة خلا جماعة من بني هاشم ، والزبير ، وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، وعمّار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ، ومالوا مع علي بن أبي طالب ، وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ** عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة ** وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن ** جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به ** وليس في القوم ما فيه من الحسن

وكذلك تخلف عن بيعة أبي بكر ، أبو سفيان من بني أمية .

ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه يخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها ، وقال : إن أبوا عليك فقاتلهم !.

فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار ، فلقيته فاطمة رضي الله عنها ، وقالت :

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٣٠.

(١) آل عمران : ١٤٤.

إلى أين يا ابن الخطاب ، أجئت لتحرق دارنا ؟!!!

قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت به الأمة !!! [(١)] .

و قال الطبري : (حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة ! فخرج عليه الزبير مصلتا السيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه) [(٢)] .

يؤيد ذلك ويؤكده ندم أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه على كشفه بيت فاطمة وعلي عليهما السلام فقد أثر عنه أنه قال : (... أما إني لا آسي على شئ إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت رسول الله (ص) عنهن فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهن فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة أو تركته وأن أغلق على الحرب ...) [(٣)] .

وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه (قراءة في كتب العقائد) صفحة ٥٢: (ولكن حزب علي كان أقل عند بيعة عمر منه عند بيعة أبي بكر الصديق نظراً لتفرقهم الأول عن علي بسبب مداهمة بيت فاطمة في أول عهد أبي بكر وإكراه بعض الصحابة الذي كانوا مع علي على بيعة أبي بكر فكانت لهذه الخصومة والمداهمة وهي ثابتة بأسانيد صحيحة ذكرى مؤلمة لا يحبون تكرارها) .

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١٥٦/١ .

(٢) تاريخ الطبري ٢٣٣/٢ .

(٣) الأحاديث المختارة ٨٨/١ ، المعجم الكبير للطبراني ٦٢/١ حديث رقم : ٤٣ ، تاريخ دمشق ٤١٨/٣٠ و ٤٢٢ ، تاريخ الطبري ٣٥٣/٢ ، سمط النجوم العوالي ٤٦٥/٢ .

وقال في هامش الصفحة المذكورة : (كنت أظن المداهمة مكذوبة لا تصح حتى وجدت لها أسانيد قوية منها ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، لكن ليس كما يبالغ غلاة الشيعة وليس كما ينفي غلاة الحنابلة) !!!.

ويستفاد من كلام المالكي عدة أمور :

١- رفض جماعة من الصحابة بيعة أبي بكر وعدم الرضا به خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحزبهم لعلي عليه السلام .

٢- أن بعض الصحابة أجبروا بالقوة والإكراه على بيعة أبي بكر .

٣- أن حزب أبي بكر داهموا بيت علي بن أبي طالب عليه السلام لإجباره وإجبار من كان معه على الخروج لمبايعة أبي بكر .

٤- أن المداهمة لبيت علي وفاطمة من قبل أبي بكر وحزبه ثابتة وبأسانيد صحيحة حسب اعتراف الشيخ المذكور .

وتفيد بعض المصادر التاريخية أنّ الزهراء عليها السلام تعرضت خلال هذه المداهمة للإعتداء من قبل بعضهم مما أدّى إلى إسقاط جنينها .

فهل هذا الذي ذكرناه من فعل بعض الصحابة ضد أهل البيت عليهم السلام ينبئ أيها الجنيد عن وجود علاقة حميمة بينهم وبين أهل البيت عليهم السلام كما تزعم ؟

من عجيب ما استدل به الجنيد على إثبات وجود هذه العلاقة

ومن غريب وعجيب احتجاج الجنيد على الشيعة لإثبات وجود علاقة وطيدة ومحبة من أئمة أهل البيت عليهم السلام لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة احتجاجه عليهم بأن بعض هؤلاء الأئمة الطاهرين عليهم السلام سمّى بعض أبنائه بأسماء هؤلاء حيث قال : (ومن فرط حبّ علي للخلفاء الثلاثة الراشدين سمّى أولاده الثلاثة بأسمائهم أبو بكر بن علي بن أبي طالب

وعمر بن علي بن أبي طالب، وعثمان بن علي بن أبي طالب وذلك باعتراف الشيعة)[(١)] .

وقال: (وسمّى الحسين عليه السلام أولاده بأبي بكر وعمر، وكذلك فعل أولاد الحسين كل ذلك تبرّكاً وتيمناً وتحبياً بصاحبي رسول الله (ص) وهذه حقيقة سطرها علماء الشيعة في كتبهم.

وأما موسى بن جعفر عليه السلام –وهو الإمام السابع عند الشيعة –فقد سمّى أحد أبنائه « أبا بكر » وهذا الإمام المذكور ولدت له بنت سمّاها عائشة كما أن جدّه علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام سمّى ابنته عائشة.

وكذلك الإمام العاشر عند الشيعة علي بن محمد الهادي، له ولد اسمه الحسن وبنت أسماها عائشة ...

والحسن بن علي له ثلاثة أولاد، إسم أحدهم عمر)[(٢)] .

فالإحتجاج بذلك والإستدلال به حيلة من عازه الدليل والحجة فاحتج واستدل بما يتوهم أنه حجة ودليل وهو في واقعه ليس كذلك كالغريق الذي يتشبث بالقش والطحلب محتملاً أنه قد ينجو بذلك من الغرق، فمتى كانت مجرد تسمية المرء لابنه باسم مشتهر في زمانه دليلاً على حبّه لفلان المعين من الناس ؟!

وأين وجد الجنيد أو غيره ممن يحتجون على الشيعة بذلك أن الإمام علي عليه السلام أو غيره من الأئمة قد صرّحوا بأنهم إنّما سمّوا أبناءهم بهذه الأسماء حبّاً لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وجعلوا ذلك علامة على حبهم لهم ؟!

ومع عدم وجود مثل هذا التصريح عن واحد من هؤلاء الأئمة عليهم السلام فيكون قولهم

---

(١) حوار هادئ صفحة ٧١.

(٢) حوار هادئ ٧١– ٧٢

ذلك زعماً باطلاً بلا دليل و افتراءً على أئمة أهل البيت عليهم السلام هذا أولاً .

ثانياً : زعمه أن للإمام علي عليه السلام ابن يسمى أبا بكر غير صحيح ، فالإمام ليس له ابن بهذا الإسم وإنما للإمام عليه السلام ابن يكنى بأبي بكر وهو محمد الأصغر ، نعم للإمام علي ابن يسمى عمر وآخر عثمان ولكن كما سبق وذكرنا فإنه لا دليل يثبت أن الإمام علي عليه السلام سمّى ابنيه هذين بهذه الأسماء لاثبات حبه لعمر وعثمان أو جعل ذلك دليلاً على حبه لهما فاسم عمر واسم عثمان من الأسماء المشتهرة في ذلك الزمان ، فهناك عدد من الصحابة ممن يسمى عمر وهناك عدد آخر منهم يسمى عثمان فمن الصحابة الذين كان إسمهم عمر :

١-عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٢-عمر بن الحكم السلمي .

٣-عمر اليماني .

٤-عمر بن سراقة وهو ممن شهد بدراً.

٥-عمر بن سعد أبو كبشة .

٦-عمر بن عمير بن عدي .

٧-عمر بن عوف النخعي .

٨-عمر بن سفيان بن عبد الأسد ممن هاجر إلى الحبشة .

٩-عمر بن يزيد الكعبي .

١٠-عمر بن لاحق .

١١-عمر بن مالك .

١٢-عمر بن منسوب .

١٣-عمر بن مالك القرشي الزهري.

١٤-عمر بن معاوية الغاضري.

١٥-عمر الأسلمي.

١٦-عمر الخثعمي

ومن الصحابة الذين كان اسمهم عثمان:

١- عثمان بن أبي الجهم الأسلمي.

٢-عثمان بن حكيم.

٣-عثمان بن حميد.

٤-عثمان بن حنيف.

٥-عثمان بن ربيعة بن أهبان ممن هاجر إلى الحبشة.

٦-عثمان بن ربيعة الثقفي.

٧-عثمان بن سعيد بن أحمر الأنصاري

٨-عثمان بن شماس المخزومي.

٩-عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.

١٠-عثمان بن أبي العاص.

١١-عثمان بن عمار.

١٢-عثمان بن عبد غنم الفهري ممن هاجر إلى الحبشة.

١٣-عثمان بن عبيد الله التميمي.

١٤-عثمان بن عثمان الثقفي.

١٥-عثمان بن عمرو وهو ممن شهد بدراً.

١٦- عثمان بن مظعون.

فلماذا لا يكون الإمام علي عليه السلام قد سمّى ابنه عمر مثلاً باسم الصحابي عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن إم المؤمنين السيدة الجليلة أم سلمة لما عرف عنه من ولائه الشديد لعلي عليه السلام، ويكون قد سمّى ابنه عثمان باسم الصحابي الجليل عثمان بن مظعون؟

بل أثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال عن سبب تسميته لابنه عثمان بهذا الإسم: (إنما سميته باسم أخي عثمان بن مظعون)[1].

ثالثاً: لقد زعم الجنيد أن للإمام الحسين عليه السلام ابن يسمى بأبي بكر وآخر بعمر وهذا غير صحيح فليس للإمام الحسين عليه السلام ابن لا باسم أبي بكر ولا عمر، كما زعم أن للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ابنة تسمى عائشة وهذا غير صحيح أيضاً، فليس للإمام زين العابدين عليه السلام ابنة تسمى بهذا الإسم، وأما الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فهناك اختلاف في وجود ابنة له باسم عائشة فبعض من عدّ أولاده لم يذكر من بينهم عائشة، وأما الإمام علي الهادي عليه السلام فله من الأولاد خمسة أربعة من الذكور وإثنى واحدة وإسمها «علية» وليست عائشة.

نعم ذكروا أن للإمام الحسن عليه السلام ابن يسمّى عمر، وكما قلنا أن هذا الإسم من الأسماء المشتهرة في ذلك الزمان على أنني وجدت في بعض المصادر أن اسمه عمرو وليس عمر، وبعضهم ذكر للإمام الحسن عليه السلام ابناً باسم (أبي بكر) ويحتمل أن هذه كنية لواحد من أبنائه عليه السلام وليس إسماً بدليل أن البعض لم يذكر من بين أولاد الحسن عليه السلام من يسمّى بأبي بكر.

ونقول للجنيد لقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أن السيدة الزهراء ماتت وهي

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/٣٨.

واجدة (غاضبة) على أبي بكر[1] لمنعه لها من إرثها ونحلتها من أبيها المصطفى ﷺ ، فهل هذا يدل على وجود العلاقة المزعومة بينها وبين أبي بكر ؟

(١) صحيح البخاري ١٥٤٩/٤ حديث رقم: ٣٩٩٨، صحيح مسلم ١٣٨٠/٣ حديث رقم: ١٧٥٩.

الفصل السادس عشر
محاولة الجنيد تبرئة أسياده من دم الحسين عليه السلام
واتهامه الشيعة بقتله

وقد زعم الجنيد أن الذين ارتكبوا مجزرة كربلاء وقتلوا الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أهل بيته وأنصاره هم من الشيعة حيث يقول تحت عنوان من قتل الحسين ؟ : (وهنا يطرح السؤال المهم : من هم قتلة الحسين : أهم أهل السنة ؟ أم معاوية ؟ أم يزيد بن معاوية ؟ أم من ؟.

إن الحقيقة المفاجئة أننا نجد العديد من كتب الشيعة تقرر وتؤكد أن شيعة الحسين هم الذين قتلوا الحسين ...) [١].

أقول : وهذه محاولة يائسة منه لتبرئة أسياده من بني أمية وجلاوزتهم وأعوانهم من دم الإمام الحسين عليه السلام ودم تلك الثلة الخيّرة النيّرة من أهل بيته وأصحابه وإلصاق ذلك بشيعة أهل البيت عليهم السلام ونقول في رد هذا الإفتراء :

أولاً : إن الشيعي هو الذي يعتقد بإمامة الإمام الحسين عليه السلام ويؤمن بأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمته من بعد أبيه وأخيه الإمام الحسن عليهما السلام ، بموجب نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيرى أن الحسين حجة الله في أرضه ووليه على عباده وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأن طاعته واجبة ومخالفته وعصيانه والرد عليه من أعاظم الذنوب وأكبر المعاصي ، فلا

---

(١) حوار هادئ صفحة ٧٨ .

يتصور في من عقيدته هذه في الإمام الحسين عليه السلام أن يقدم على قتله وسفك دمه ، إلاّ اللهم أن يخرج من هذه العقيدة أولاً ويؤمن بخلافها ويعتقد فيه عليه السلام بغيرها ويرتد عن تشيعه له فيقدم على قتله ، ونحن نتحدى الجنيد وغيره أن يذكروا لنا واحداً من أولئك الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام كان يعتقد فيه هذه العقيدة ، نعم لقد تجلت هذه العقيدة في أولئك الذين قاتلوا في جبهته عليه السلام واستماتوا في الدفاع عنه .

ثانياً : إن الذين اتخذوا قرار قتل الإمام الحسين عليه السلام وشاركوا في قتاله من رؤساء وأركان وقادة فصائل الجيش الذي تولى قتله عليه السلام كيزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وشمر بن ذي الجوشن ، وعمرو بن الحجاج ، وقيس بن الأشعث وحجار بن أبجر ، وشبث بن ربعي وغيرهم لم يكونوا من الشيعة ، بل بعض هؤلاء هم من الأعلام الثقاة عند بعض أهل السنة .

ثالثاً : معلوم أن الجيش الذي خرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام كان معظمه من أهل الكوفة والشيعة في عصر الإمام الحسين عليه السلام كانوا أقلية قليلة جداً فيها ، وذلك لأن معاوية ابن أبي سفيان ولّى على الكوفة زياد بن سمية (زياد بن أبيه) وقد تتبع الشيعة فقتل من قتل منهم وشرّد الباقين ، قال ابن أبي الحديد المعتزلي : (روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث ، قال : كتب معاوية نسخة واحدة إلى عُمَّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته ، فقامت الخطباء في كل كُورة وعلى كل منبر يلعنون عليًّا ويبرؤون منه ، ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاءاً حينئذ أهل الكوفة لكثرة ما بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سُميّة ، وضم إليه البصرة ، فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف ، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم ، وقطع الأيدي

والأرجل ، وسَمَل العيون وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشرّدهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم)[١].

فكيف بعد كل هذا يصح أن يزعم أحدٌ أن الذين قتلوا الإمام الحسين ومن معه هم من الشيعة ؟

إن مثل هذا الكلام لا يقوله إلاّ جاهل بالتاريخ أو مغرض مزوّر !

نعم هم من الشيعة لكن من شيعة آل أبي سفيان كما خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام .

الشيعة يتأسون برسول الله في بكائهم على الإمام الحسين

ويشكل الكثير من أهل السنة على الشيعة إحياءهم ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كل عام والبكاء عليه ، وهذا الجنيد يزعم أن يوم عاشوراء –وهو اليوم الذي قتل فيه الإمام الحسين عليه السلام– يوم فرح لا يوم حزن[٢] ، فنقول له : نعم أيها الجنيد هو يوم فرح عند أولئك الذين قتلوه من بني أمية وأشياعهم وعند كل ناصبي يكن العداء والبغض لأهل البيت عليهم السلام ، أما عند أهل البيت وشيعتهم ومن يحبهم من عموم المسلمين فهو يوم حزن ومصيبة ، والشيعة في بكائهم على الإمام الحسين عليه السلام يقتدون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بكى على إبنه الإمام الحسين قبل أن يقتل .

فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين قال : (أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الجوهري ببغداد ، حدثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم القاضي ، حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد بن عبد الله ، عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله (ص) فقالت : يا رسول الله إني رأيت

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٤٤/١١.

(٢) حوار هادئ صفحة ٨١.

حلماً منكراً الليلة ، قال ما هو ؟ قالت : إنه شديد . قال : ما هو ؟ قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري فقال رسول الله (ص) رأيتِ خيراً تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله (ص) فدخلت يوماً إلى رسول الله (ص) فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله (ص) تهريقان من الدموع قالت فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي مالك قال أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا . فقلت : هذا ؟ فقال : نعم وأتاني بتربة من تربته حمراء)

قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)[1] .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير قال : (حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عباد بن زياد الأسدي ، حدثنا عمرو بن ثابت عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أم سلمة قالت : كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي (ص) في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأوما بيده إلى الحسين فبكى رسول الله (ص) وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله (ص) وديعة عندك هذه التربة فشمها رسول الله (ص) وقال : ويح كرب وبلاء.

قالت : وقال رسول الله (ص) : يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل قال فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم)[2] .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير قال : (حدثنا أحمد بن رشدين المصري ثنا عمرو

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٩٤/٣ حديث رقم : ٤٨١٨ . وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩٧/١٤ .

(٢) المعجم الكبير ١٠٨/٣ حديث رقم : ٢٨١٧ .

ابن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل الحسين بن علي رضي الله عنه على رسول الله (ص) وهو يوحى إليه فنزا على رسول الله (ص) وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبريل لرسول الله (ص) أتحبه يا محمد ؟ قال: يا جبريل وما لي لا أحب ابني. قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك فمد جبريل عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء فقال في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمد واسمها الطف فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله (ص) خرج رسول الله (ص) والتربة في يده يبكي فقال: يا عائشة إن جبريل عليه السلام أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف وإن أمتي ستفتتن بعدي ثم خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر رضي الله عنهم وهو يبكي فقالوا ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه) [(١)].

وأخرج عبد بن حميد في مسنده قال: (أنا عبد الرزاق، أنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه قال: قالت أم سلمة: كان النبي (ص) نائماً في بيتي فجاء حسين يدرج قالت فقعدت على الباب فأمسكته مخافة أن يدخل فيوقظه، قالت: ثم غفلت في شيء فدب فدخل فقعد على بطنه قالت فسمعت نحيب رسول الله (ص) فجئت فقلت يا رسول الله والله ما علمت به فقال: إنما جاءني جبريل عليه السلام وهو على بطني قاعد فقال لي أتحبه ؟ فقلت: نعم. قال: إن أمتك ستقتله ألا أريك التربة التي يقتل بها ؟ قال: فقلت بلى. قال: فضرب بجناحه فأتاني بهذه التربة قالت فإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول يا ليت

---

(١) المعجم الكبير ١٠٧/٣ حديث رقم: ٢٨١٤.

شعري من يقتلك بعدي)[١].

وأخرج إسحاق بن راهويه بسند رجاله ثقات قال: (أخبرنا يعلى بن عبيد نا موسى الجهني عن صالح بن إربد النخعي عن أم سلمة قالت: دخل الحسين بن علي على رسول الله (ص) البيت وأنا جالسة عند الباب فتطلعت فرأيت رسول الله (ص) يقلب شيئا بكفه والصبي نائم على بطنه فقلت يا رسول الله رأيتك تقلب شيئاً في كفك والصبي نائم على بطنه ودموعك تسيل قال إن جبريل أتاني بالتربة التي يقتل فيها وأخبرني إن أمتك تقتله)[٢].

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير قال: (حدثنا الحسن بن العباس الرازي، حدثنا سليم بن منصور بن عمار، حد ثنا أبي ح وحدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان الرقي، حد ثنا عمرو بن بكير بن بكار القعنبي، حدثنا مجاشع بن عمرو قالا حد ثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص أن معاذ بن جبل أخبره قال: خرج علينا رسول الله (ص) متغير اللون فقال أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه فأطيعوني ما دمت بين أظهركم وإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه أتتكم الموتة أتتكم بالروح والراحة كتاب من الله سبق أتتكم فتن كقطع الليل المظلم كلما ذهب رسل جاء رسل تناسخت النبوة فصارت ملكاً رحم الله من أخذها بحقها وخرج منها كما دخلها أمسك يا معاذ وأحص قال فلما بلغت خمسة قال يزيد لا يبارك الله في يزيد ثم ذرفت عيناه فقال نعي إلي حسين وأتيت بتربته وأخبرت بقاتله والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم

---

(١) مسند عبد بن حميد ٤٤٢/١ حديث رقم: ١٥٣٣.

(٢) مسند ابن راهويه ١٣٠/٤، المعجم الكبير ١٠٩/٣ و ٣٢٨/٢٣، مصنف ابن أبي شيبة ٤٧٧/٧ — ٤٧٨.

وألبسهم شيعا ثم قال واها لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف ... الرواية)[١].

وأخرج أبو يعلى في مسنده قال: (حدثنا أبو خيثمة حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا شرحبيل بن مدرك عن عبد الله بن نجي عن أبيه أنه سار مع علي وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي إصبر أبا عبد الله إصبر أبا عبد الله بشط الفرات قلت وماذا يا أبا عبد الله ؟ قال: دخلت على النبي (ص) ذات يوم وعيناه تفيضان قال قلت يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال: بل قام من عندي جبريل قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال هل لك أن أشمك من تربته قال قلت نعم قال فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا)[٢].

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك قال: (حدثني أبو بكر محمد بن أحمد ابن بالويه، حدثنا بشر بن موسى الأسدي، حدثنا الحسن بن موسى الأشيب، حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن عمار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت النبي (ص) فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم، فقلت: يا نبي الله ما هذا ؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم قال فأحصي ذلك اليوم فوجدوه قتل قبل ذلك بيوم) قال الحاكم النيسابوري: (هذا حديث صحيح على شرط

---

(١) المعجم الكبير ٣٨/٢٠ و ١٢٠/٣.

(٢) مسند أبي يعلى ٢٩٨/١ برقم: ٣٦٣ وقال محققه الشيخ حسين أسد (إسناده حسن)، مسند أحمد ٨٥/١ برقم: ٦٤٨، الأحاديث المختارة ٣٧٥/٢ برقم: ٧٥٨، مصنف ابن أبي شيبة ٤٧٨/٧ برقم: ٣٧٣٦٧، المعجم الكبير ١٠٥/٣ برقم: ٢٨١١، مسند البزار ١٠١/٣ برقم: ٨٨٤، سير أعلام النبلاء ٢٨٨/٣، تاريخ دمشق ١٨٩/١٤.

مسلم ولم يخرجاه)[1] .

فالشيعة في بكائهم على الحسين عليه السلام يتأسون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أثبتت الروايات الصحيحة التي أوردنا بعضاً منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم بكى وحزن حزناً شديداً لما أن أخبر بأن ولده الحسين سيقتل بكربلاء وهو بعد لمّا يقتل ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتأذى لمجرد أنه يسمع الحسين يبكي[2] فما ظنك به صلى الله عليه وآله وسلم إذْ وجده مجدلاً على الرمضاء مكبوباً على الثرى معفر الخدين دامي الوريدين محزوز الرأس من القفا أتراه سيتخذ يوم مقتله — يوم عاشوراء — يوم فرح وسرور ؟!

(١) المستدرك على الصحيحين ٤٣٩/٤ برقم : ٨٢٠١ ، مسند أحمد ٢٨٣/١ برقم : ٢٥٥٣ وقال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده قوي على شرط مسلم) ، مسند عبد بن حميد ٢٣٥/١ برقم : ٧١٠ ، المعجم الكبير ١٨٥/١٢ برقم : ١٢٨٣٧ ، فضائل الصحابة ٧٨١/٢ برقم : ١٣٨٩ .

(٢) أخرج الطبراني في المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٦ بسنده عن يزيد بن أبي زياد قال : خرج النبي (ص) من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي ، فقال : ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني .

الفصل السابع عشر
زعم الجنيد أن أهل البيت ذمّوا شيعتهم

وقد استشهد الجنيد ببعض النصوص المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والتي كان يستنهض فيها المسلمين الذين كانوا معه لقتال الباغي معاوية بن أبي سفيان وزمرته على أن المعني بها هم شيعته والقائلون بإمامته والمعتقدون فرض ولايته ووجوب طاعته وأن الذم الوارد فيها خاص بهم حيث قال تحت عنوان « موقف علي وأبنائه من شيعتهم » : (وقد نقلت العديد من مصادر الشيعة المعتبرة كنهج البلاغة غضب علي رضي الله عنه هو وبنوه على شيعتهم نذكر منها قوله لهم عند تجهيزه لقتال معاوية : « ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم ... فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم ... إستنفرتكم للجهاد فلم تنفروا.

وأسمعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا ... أقوّمكم غدوة وترجعون إليّ عشيّة كظهر الحية ... لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم ، قاتلكم الله ، لقد ملأتم قلبي قيحاً . وشحنتم صدري غيظاً ، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش : إن علي ابن أبي طالب رجل شجاعٌ لا علم له بالحرب » ... الخ)[1] .

فهذه الكلمات وأمثالها من العبارات المأثورة عنه صدرت منه عليه السلام في مقام استنهاض

(١) حوار هادئ صفحة ٨٢–٨٣.

جيشه وذمه لهم على تخاذلهم عن الجهاد معه وغدرهم به وأغلبهم من عامة الناس وفيهم من جهلة المسلمين ورعاعهم الكثير ، فنسبة الشيعة -الذين زعم الجنيد أنه عليه السلام وجه إليهم الذم -قليلة نسبة إلى مجموع الذين كانوا معه ، فلم يكن الخطاب موجه إليهم ولا أنهم المقصودون بالذم .

ثم لنا أن نسأل الجنيد ونقول له : أين كانوا أهل السنة ؟!

فإن قال : إنهم كانوا مع علي عليه السلام ، فالذم يشملهم ولا يختص فقط بالشيعة .

وإن قال : إنهم كانوا مع الباغي معاوية بن أبي سفيان وأنهم كانوا جنوده وأنصاره وأشياعه فهم أولى بتوجيه الذم إليهم من الشيعة لأن موقفهم من الإمام عليه السلام ومن تعاليم الشريعة الغراء أسوأ من أولئك الذين كانوا معه .

وإن قال : إنهم لم يكونوا لا مع علي عليه السلام ولا مع معاوية فحالهم أيضاً أسوأ من أولئك الذين كانوا معه ولكن كانوا مقصرين في نصرته ، فالذم حاصل لأهل السنة على كل الأحوال بأكبر مما هو متوجه إلى الشيعة هذا لو سلّمنا بأن شيعته عليه السلام معنيون بهذا الكلام أصلاً .

قال الجنيد تحت عنوان « موقف أهل البيت من الشيعة » : (وقال الحسن بن علي ابن أبي طالب عن شيعته أهل الكوفة « والله معاوية خير لي من هؤلاء الذين يزعمون أنهم لي شيعة ، إبتغوا قتلي وأخذوا مالي ، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به أهلي خير من أن يقتلوني ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يأتون بي إليه سلما والله لأن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير »)[1] .

أقول : كلام الإمام هذا ظاهر في أنّه كان يعني به جماعة ممن كانوا معه من

---

(١) حوار هادئ صفحة ٨٦.

المندسين في جيشه لا كل الذين كانوا معه ، فهو خاص بجماعة زعموا أنهم له شيعة وهم ليسوا كذلك ، أرادوا قتله وانتهبوا ثقله وأخذوا ماله ولو تمكنوا من تسليمه لمعاوية لفعلوا ، وهذا لا يفعله أحدٌ بمن يرى أنه مفترض الطاعة وواجب النصرة ، فهو - قطعاً - لا يعني به الشيعة الذي يقولون بإمامته وفرض طاعته ولزموم مودّته ونصرته .

قال الجنيد : (وروى الطبرسي عن الحسين قوله « لقد عرفت أهل الكوفة وبلوتهم إنهم لا وفاء لهم ولا ذمّة في قول ولا فعل ، وإنهم لمختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا) [1] .

أقول : لقد نسب الجنيد هذا القول إلى الإمام الحسين عليه السلام وهو غير صحيح وإنما هو منسوب للإمام الحسن عليه السلام ، كما أنه اقتطع منه عبارة « ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً » لأنها تنسف كل ما يريد أن يثبته فهي تدل على أنّ الذم ليس موجهاً لكل من كان معه عليه السلام من أهل الكوفة وإنما لمن كان فاسداً منهم لأولئك الذين ينافقونه فيدّعون أمامه أنهم من شيعته وأن قلوبهم معه إلاّ أنهم في واقع حالهم هم أعداء له عليه السلام .

قال الجنيد : (وروى الكليني عن أبي الحسن (الإمام موسى الكاظم) أنه قال « لو ميّزت شيعتي لما وجدتهم إلاّ مرتدين ») « حوار هادىء صفحة ٨٦» .

أقول : نص هذا الكلام المنسوب للإمام الكاظم عليه السلام هو : (لو ميّزت شيعتي لما وجدتهم إلاّ واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلاّ مرتدين ، ولو تمحّصتهم لما خلص من الألف واحدٌ) وهو مروي في كتاب الروضة من الكافي بسند ضعيف ففي سنده محمد بن سليمان البصري الديلمي وهو ضعيف لا يعوّل على مروياته قال الشيخ

---

(١) حوار هادئ صفحة ٨٦.

النجاشـي : « محمـد بن سـليمان بن عبـد الله الديلمي ضعيف جداً لا يعوّل عليـه فـي شيء »[1].

وفيه إبراهيم بن عبد الله الصوفي وهو مجهول الحال ، وفيه موسى بن بكـر الواسـطي وهو واقفي لم يرد في حقّه توثيق ، فلا يصح الاحتجاج برواية هذا حال سندها فلا يعلم صحة صدور مثل هذا القول منه عليه السلام .

(١) رجال النجاشي ٢٦٩/٢

الفصل الثامن عشر
نكاح المتعة
زعم الجنيد منسوخية نكاح المتعة

قال الجنيد تحت عنوان المتعة : (إنّ أهل السّنة يوافقون الشيعة في أنّ نصوص كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما قد تضمّنت روايات تفيد أنّ المتعة كانت جائزة في أوّل الأمر غير أنّهم يعارضون وقوف الشيعة عند هذه الأحاديث المنسوخة دون التعرف على الأحاديث الصحيحة التي نسختها والتي تبيّن بوضوح أنّ المتعة كانت مباحة في أوّل الأمر يوماً من دهر ثم نسخ حكمها من الجواز إلى التحريم إلى يوم القيامة وذلك مثل الخمرة التي كانت مباحة أوّل الأمر ثم نزل تحريمها في القرآن .

وكذلك الحكم في أكل لحوم الحمر الأهلية التي حرّمتها السّنة بعد أن كان الصحابة يطبخونها ويأكلونها .

فهذه الأمور الثلاثة (المتعة والخمر والحمر) أحكام منسوخة من الجواز إلى التحريم علماً أنّ الناسخ والمنسوخ مقرّر معروف ومأخوذ به لدى علماء الشيعة الذين قررت كتبهم جواز نسخ السّنة للقرآن)[1] [2] .

---

(١) حوار هادئ ٨٢ – ٨٣ .

(٢) زعمه أن الشيعة يقولون بنسخ السنة للقرآن الكريم غير صحيح .

الأدلة على عدم نسخ نكاح المتعة

أقول : إن الشيعة الإمامية الإثني عشرية يعتبرون نكاح المتعة مما أحلّه الله سبحانه وتعالى وشرّعة في كتابه وعلى لسان نبيّه المصطفى محمد ﷺ ، أما دليل تشريعه من الكتاب فهو قوله تعالى : ﴿ ... فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَريضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَريضَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَليماً حَكيماً ﴾ [(١)] فقد صرّحت روايات أهل السّنة وأقوال العديد من علمائهم أنّ الآية يراد بها نكاح المتعة « النكاح المنقطع» ففي تفسير ابن كثير قال عند تفسيره لهذه الآية : (... وقد استدل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة ...) ، وفيه أيضاً : (وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة) [(٢)] .

وأخرج عبد الرّزاق بن هُمام في مصنفه -بسند صحيح -: (عن ابن جريح قال : أخبرني عطاء أنّه سمع ابن عبّاس يراها -المتعة -الآن حلالاً ، وأخبرني أنّه كان يقرأ : (فما استمتعتم به منهن -إلى أجل -فآتوهنّ أجورهن ، وقال ابن عباس : في حرف أبي : « إلى أجل ») [(٣)] .

وأخرج عبد الرزاق بسند صحيح -والرواية طويلة نأخذ منها هنا موضع الشاهد -: (... قال عطاء وسمعت ابن عباس يقول : يرحم الله عمر ، ما كانت المتعة إلاّ رخصة من الله -عزّ وجل -رحم بها أمّة محمد (ص) ، فلولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزنا إلاّ شقي قال : كأني والله أسمع قوله إلاّ شقي -عطاء القائل -قال عطاء : فهي التي في سورة

---

(١) النساء : ٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٧٥/١ .

(٣) مصنف عبد الرزاق ٧ /٣٩٧ حديث رقم : ١٤٠٩٩ .

النساء : (فَما اسْتَمْتَعْتُمْ به منْهُنَّ) ...)[1] .

وفي تفسير محمد بن جرير الطبري روى بسنده قال : (حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن مفضل ، قال : حدثنا أسباط عن السدي ﴿فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَريضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما تَراضَيْتُمْ به منْ بَعْد الْفَريضَة ﴾ فهذه المتعة الرجل ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمى ...)[2] .

وفيه أيضاً: (حدثنا ابن المثني قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق عن عمير أن ابن عباس قرأ : (فما استمتعتم به منهن – إلى أجل مسمى))[3] .

ورجال سند هذه الرواية ثقات ، فـ (ابن المثني) هو الحافظ أبو موسى محمد بن المثني بن عبيد بن قيس العنزي المعروف بالزمن من الثقات الأثبات عند القوم ، وممن اتفق الستة على إخراج حديثه ، و (أبو داود) هو الحافظ الكبير سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند من رجال مسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وهو أيضاً من الثقات عندهم ، و (شعبة) هو الإمام الحافظ شعبة بن الحجاج بن الورد لقبوه بأمير المؤمنين في الحديث وممن اتفق الستة على إخراج حديثه ، و (أبو إسحاق) هو الحافظ الثقة الحجة عندهم عمرو بن عبد الله بن ذي يحمد الهمداني الكوفي وهو أيضاً ممن اتفق الستة على إخراج حديثه ، و (عمير) فهو عمير بن تميم بن يريم أبو هلال وقد ذكره ابن حبّان في ثقاته[4] .

---

(١)مصنف عبد الرّزاق ٣٩٧/٧ حديث رقم : ١٤٠٩٨ .

(٢) تفسير الطبري ١٢/٥ .

(٣) تفسير الطبري ١٣/٥ .

(٤) الثقات٢٥٤/٥ .

وفي تفسير الطبري أيضاً : (حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الأعلى قال : حدثنا سعيد عن قتادة قال في قراءة أبي بن كعب فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) [١] .

ورجال سند هذه الرّواية من الثقات فـ(ابن بشار) هو الحافظ أبو بكر محمد بن بشار ابن عثمان العبدي المعروف ببندار ، وثقه العديد من علماء القوم واتفق الستة على إخراج حديثه ، و (عبد الأعلى) هو عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن محمد وقيل ابن شراحيل القرشي البصري وثقه العجلي وابن خلفون وأبو زرعة وابن حجر العسقلاني وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وقال النسائي : ليس به بأس ، و (سعيد) هو الإمام الحافظ سعيد بن أبي عروبة عالم أهل البصرة من الثقات عند القوم وممن اتفق الستة على إخراج حديثه ، و (قتادة) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري ثقة ثبت عندهم اتفق الستة على الإخراج له .

وفيه : (حدثنا أبو كريب قال : حدثنا يحيى بن عيسى قال : حدثنا نصير ابن أبي الأشعث قال : حدثني حبيب بن أبي ثابت عن أبيه قال أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال : هذا على قراءة أبيْ ، قال أبو كريب قال يحيى : فرأيت المصحف عند نصير فيه فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) [٢] .

وفي تفسير ابن كثير قال : (وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون ما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) [٣] .

وفي ناسخ الحديث ومنسوخه : (حدثنا عبد العزيز بن محمد قال : حدثنا إسحاق

---

(١) تفسير الطبري ١٣/٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٢/٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٧٥/١.

ابن إبراهيم بن عباد قال : حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريح قال : أخبرنا عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن ، وقال : قال ابن عباس : في حرف أبي إلى أجل مسمى) [1].

وقراءة هؤلاء للآية بهذه الكيفية ليس لأن عبارة – إلى أجل أو إلى أجل مسمى – هي من أبعاض الآية وإنما تفسير لها تأكيداً على أنّ الآية خاصة بزواج المتعة وربما تأكيدهم المستمر على القراءة بهذا الطريقة وتسجيل البعض من هؤلاء لهذا التفسير في مصحفه إنّما هو لإيمانهم بحلية هذا النوع من النكاح وأنّه لم يرد دليل يحرّمه تحدّياً للتيار المقابل الذي يدّعي الحرمة.

وصرّحت بذلك أيضاً روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام ففي كتاب الكافي للعلامة الكليني رحمه الله عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن الحسن بن علي بن رباط ، عن حريز ، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال : سمعت أبا حنيفة يسأل أبا عبد الله عليه السلام (الإمام جعفر الصادق) عن المتعة فقال : أي المتعتين تسأل ؟ قال : سألتك عن متعة الحج فأنبئتني عن متعة النساء أحق هي ؟ فقال : سبحان الله أما قرأت كتاب الله عزّ وجل : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ فقال أبو حنيفة : والله فكأنها آية لم أقرأها قط) [2].

وروى الحميري عن أحمد بن إسحاق عن بكر بن محمد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة ؟ فقال : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَرِيضَةً ولا

---

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه ٣٦٦/١.

(٢) الكافي ٤٥٠/٥.

جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَريضَةِ ﴾ (١) .

وفي نوادر أحمد بن محمد بن عيسى صفحة ٦٥ عن النضر بن سويد عن عاصم بن حميد عن أبي بصير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة فقال : نزلت في القرآن وهو قول الله : ﴿ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ ﴾ الخبر .

أمّا الأدلة على حليتها وجوازها من السنة فكثيرة منها - على سبيل المثال لا الحصر - ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه قال : (قال ابن جريح ، وأخبرني عمرو بن دينار عن حسن بن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع - رجل من أسلم من أصحاب النبي (ص) - أنهما قالا : كنا في غزوة فجاء رسول رسول الله (ص) فقال : إن رسول الله (ص) يقول : استمتعوا) (٢) .

ومنها ما أخرجه مسلم بن الحجاج والبخاري في صحيحيهما وغيرهما عن ابن مسعود - واللفظ لمسلم - أنّه قال : كنا نغزو مع رسول الله (ص) ليس لنا نساء فقلنا الا نستخصي ؟! فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تُحَرِّموا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدينَ ﴾ (٣) .

---

(١) قرب الإسناد صفحة ٢١ .

(٢) مصنف عبد الرزاق ٣٩٧/٧ رواية رقم : ١٤١٠٠ ، وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ٤٧/٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/٧ .

(٣) صحيح مسلم ١٠٢٢/٢ برقم : ١٤٠٤ ، صحيح البخاري ١٩٥٣/٥ برقم : ٤٧٨٧ ، صحيح ابن حبّان ٤٤٨/٩ برقم : ٤١٤١ و ٤٤٩/٩ برقم : ٤١٤٢ ، السنن الكبرى للنسائي ٣٣٦/٦ برقم : ١١١٥٠ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧٩/٧ برقم ١٣٢٤٢ و ٢٠٠/٧ برقم : ١٣٩١٩ و ٢٠١/٧ برقم : ١٣٩٢١ ، مسند أحمد ٤٣٢/١ ، مسند أبي يعلى ٢٦٠/٩ برقم : ٥٣٨٢ ، مصنف ابن أبي شيبة ٤٥٤/٣ برقم : ١٥٩١٧ و ٥٥٢/٣ برقم : ١٧٠٧٩ .

وفي هذه الرواية دلالة على أنّ ابن مسعود يرى حليّة نكاح المتعة وأنّه لم ينسخ لا بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبوية ، وأنّ المتعة من الطيبات التي أحلّها الله عزّ وجل ، وما قراءته للآية الكريمة بعد أن روى الإباحة والرّخصة لهم من رسول الله ﷺ في التمتع إلاّ اعتراض منه على تحريم عمر بن الخطاب لها .

ولا حاجة إلى الإكثار من الرّوايات التي تثبت أنّ نكاح المتعة كان مشرعاً وأنّ النبي ﷺ أجاز لأصحابه التمتع وأمرهم به ، فهذا من المسلمات عند الفريقين الشيعة والسنة .

ثم إنّ الشيعة لم يرد عندهم دليل صحيح معتبر على حرمة المتعة فتشريعها باق إلى يوم القيامة فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، وإذا سلّم أنّ هناك روايات عند أهل السنة كما يزعم الجنيد تفيد نسخ حكم الجواز فإنها لم تثبت صحتها عند الشيعة فلا يصح إلزامهم بها على أنّها في نفسها متناقضة ومتضاربة لا يصح الأخذ بها لو سلّم صحتها في كتبهم ، فرواية تقول أن الرسول ﷺ حرّمها يوم خيبر وأخرى تقول بأنه حرّمها عام فتح مكة وثالثة تقول بأنه حرّمها في حجة الوداع ، ورابعة تقول بأن ذلك كان في غزوة تبوك ، وخامسة في حنين ، وسادسة في غزوة أوطاس ، وسابعة في عمرة القضاء ولذلك حار القوم في تحديد وقت تحريمها حتى زعم بعضهم أنها حللت وحرمت مرات عديدة !!! .

قال ابن كثير في السيرة النبوية ٣٦٦/٣ : (واختلفوا أي وقت أول ما حرمت ، فقيل : في خيبر ، وقيل عمرة القضاء ، وقيل في عام الفتح ، وهذا أظهر ، وقيل في أوطاس وهو قريب من الذي قبله ، وقيل في تبوك ، وقيل في حجة الوداع) .

وقال ابن رشد في بداية المجتهد ٣٣٤/٤ وهو يشير إلى روايات تحريم المتعة : (ففي

بعض الروايات أنّه حرّمه يوم خيبر ، وفي بعضها يوم الفتح ، وفي بعضها في غزوة تبوك وفي بعضها في حجة الوداع ، وفي بعضها في عمرة القضاء ، وفي بعضها في عام أوطاس) .

نظرة في أدلة تحريم نكاح المتعة عند أهل السنة

ونحن نستعرض هنا أهم الأدلة الروائية التي استند إليها القوم في التحريم :

وأوّلها : ما نسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : (أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية) ويلاحظ على ذلك :

أولاً : لقد ثبت عندهم في رواياتهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباح المتعة وأجازها للمسلمين بعد يوم خيبر ، في فتح مكة وحجة الوداع وغيرهما ، وهذا دليل على بطلان تحريمها يوم خيبر .

ثانياً : إن بعضهم أنكر أن يكون صدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحريم للمتعة في يوم خيبر بل صرح بعضهم بأنه لم يرد ذلك في أثر ولا خبر ، قال البيهقي : (في ما قرأته في كتاب المعرفة ، وكان ابن عيينه يزعم أن تاريخ خيبر في حديث علي إنما هو في النهي عن لحوم الحمر الأهلية لا في نكاح المتعة ، قال البيهقي : وهو يشبه أن يكون كما قال ، فقد روي أنه رخص فيه بعد ذلك ...) [1] .

وقال السهيلي : (النهي عن نكاح المتعة يوم خيبر لا يعرفه أحد من أهل السير ولا

---

(١) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٣٩٧/١١ .

رواة الأثر ...) [١] .

وقال ابن عبد البر : (إن ذكر النهي يوم خيبر غلط) [٢] .

وقال القسطلاني : (وقد قيل إنّ في الحديث تقديماً وتأخيراً وأنّ الصواب نهى في غزوة خيبر عن لحوم الحمر الإنسية ، وعن متعة النساء وليس يوم خيبر ظرفاً لمتعة النساء لأنّه لم يقع في غزوة خيبر تمتع بالنساء) [٣] .

وفي هذه الأقوال تصريح بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه عن المتعة يوم خيبر بل لم يحصل تمتع أصلاً في هذه الغزوة كما أفاد القسطلاني ، يؤيد ذلك الروايات المروية من غير طريق علي عليه السلام فإنها لم تذكر المتعة وإنما ذكرت فقط الحمر الأهلية ، إذاً القول بأنّ النهي عن المتعة كان يوم خيبر باطل وغير صحيح وخطأ ردّه العديد من علماء القوم ، فمتى يا ترى نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها ؟!

الثاني : ما روي من طريق مؤمل بن إسماعيل عن عكرمة بن عمار عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنّه قال : (خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة تبوك فنزلنا بثنية الوداع فرأى نساء يبكين فقال : ما هذا ؟ قيل : نساء تمتع بهن أزواجهن ثم فارقوهن . فقال رسول الله (ص) : حرم أو هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث) [٤] .

ويلاحظ على هذا الدليل : أنّ غزوة تبوك كانت في السنة التاسعة للهجرة ، وفي

(١) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٣٩٧/١١ .

(٢) إرشاد الساري ٢٣٢/٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سنن البيهقي الكبرى ٢٠٧/٧ حديث رقم : ١٣٩٥٦ ، مسند أبي يعلى ٥٠٣/١١ حديث رقم : ٦٦٢٥ وقال محققه الشيخ حسين أسد عن هذا الخبر : « إسناده ضعيف » ، ورواه مختصراً الدار قطني في سننه ٢٥٩/٣ .

روايات القوم –كما سيأتي – أن النبي ﷺ أجاز التمتع لأصحابه في حجة الوداع وذلك في السنة العاشرة للهجرة ، فلو كان النكاح والطلاق والعدة والميراث هي الناسخة للمتعة فياترى لماذا سمح النبي ﷺ لأصحابه بالتمتع بعد ذلك بل في بعض الروايات أنه ﷺ أمرهم بها ؟!.

الثالث : ما روي من طريق الربيع بن سبرة بن معبد الجهني عن أبيه سبرة : (أنّ نبي الله (ص) عام فتح مكة أمر أصحابه بالتمتع من النساء ، قال : فخرجت أنا وصاحب لي من بني سليم حتى وجدنا جارية من بني عامر كأنها بكرة عيطاء فخطبناها إلى نفسها ، وعرضنا عليها بردينا فجعلت تنظر فتراني أجمل من صاحبي وترى برد صاحبي أحسن من بردي ، فآمرت نفسها ساعة ثمّ اختارتني على صاحبي ، فكن معنا ثلاثا ، ثمّ أمرنا رسول الله (ص) بفراقهن) [1] .

وفي رواية أخرى أيضاً عن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه قال : (أمرنا رسول الله (ص) بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ، ثمّ لم نخرج منها حتى نهانا عنها) [2] .

ويلاحظ على هذا الدليل : أن فتح مكة كان في العام الثامن للهجرة المباركة ، وفي روايات القوم ما يدل على أن الصحابة فعلوها في غزوة تبوك وهي في السنة التاسعة للهجرة وقد مرّت الرواية على ذلك [3] وتدل أيضاً أنّهم مارسوها في حجة الوداع وهي في السنة العاشرة للهجرة ، الأمر الذي يفيد بطلان ما تزعمه رواية سبرة هذه من أنه ﷺ حرّمها في عام الفتح .

---

(١) صحيح مسلم ١٣٣/٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في صفحة ٣١٩.

الرابع : ماروواه الربيع بن سبرة (أن أباه حدثه أنهم ساروا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع فقال استمتعوا من هذه النساء ، والاستمتاع عندنا التزويج [١] فعرضنا ذلك على النساء فأبين الا أن لا يضرب بيننا وبينهن أجلاً فقال رسول الله (ص) افعلوا فخرجت أنا وابن عم لي معه برد ومعي برد وبرده أجود من بردي وأنا أشب منه فأتينا على امرأة فأعجبها شبابي وأعجبها برده ، فقالت برد كبرده وكان الأجل بيني وبينها عشراً ، فبت عندها تلك الليلة ثم غدوت فإذا رسول الله (ص) قائم بين الركن والباب ، فقال : يا أيها الناس اني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء الا وان الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) [٢].

ويلاحظ عليه : أنّ الروايتين اللتين أوردناهما في الدليل الثالث المسندة إلى سبرة الجهني تثبت أنّ النبي ﷺ نهى أصحابه في فتح مكة في العام الثامن للهجرة عن متعة النساء نهياً قطعياً ، أما هذه الرواية - المسندة أيضاً إلى سبرة - فتفيد أنّ النبي ﷺ أمر أصحابة بالاستمتاع بالنساء في حجة الوداع ثم نهى عنها نهياً قطعياً ، فمتى يا ترى كان النهي عنها هل في فتح مكة أم في حجة الوداع وكلاهما مروي عن سبرة ؟! وكيف لم يسمع ذلك من النبي ﷺ غير سبرة الجهني إذا كان ﷺ صدع به في حجة الوداع أو فتح مكة بين ذلك الجمع الغفير من أصحابه ؟!.

---

(١) وهذا يفيد أن المتمتع بها زوجة.

(٢) سنن الدارمي ١٨٨/٢ رواية رقم : ٢١٩٥ ، سنن البيهقي الكبرى ٢٠٣/٧ رواية رقم : ١٣٩٣٣ ، مسند أبي يعلى ٢٣٨/٢ رواية رقم ٩٣٩ ، وقال محقق الكتاب الشيخ حسين سليم أسد عن هذه الرواية « إسناده صحيح » ، المعجم الكبير للطبراني ١٠٧/٧ رواية رقم : ٦٥١٣.

فكيف تصلح مثل هذه الروايات المتناقضة المتضاربة الآحاد أن تكون دليلاً يركن إليه لإثبات حرمة ما هو ثابت بالدليل القطعي اليقيني ؟

إن مثل هذا التناقض والاختلاف والإضطراب في هذه الروايات لهو دليل على وضعها واختلاقها لتصحيح موقف الخليفة عمر بن الخطاب من هذا التشريع الإلهي ، الأمر الذي يدعو المرء المسلم إلى الصد والإعراض عنها ، والجزم بالحلية مع عدم الدليل على النسخ .

مع الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

في كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد – نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م وهذه الطبعة من تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود – في هامش صفحة ٣٢٨ من المجلد الرابع يقول المحققان المذكوران وهما بصدد ذكر الدليل من الكتاب على حرمة نكاح المتعة : (أما الكتاب : فقول الله تعالى : ﴿ والَّذينَ هُمْ لِفُروجِهِمْ حافظونَ * إلاّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلومينَ ﴾ ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة : أنها أفادت أن الوطء لا يحل إلاّ في الزوجة والمملوكة ، وامرأة المتعة لا شك أنها ليست مملوكة ولا زوجة ، أمّا أنها ليست مملوكة فواضح ، وأما أنها ليست زوجة ، فلأنها لو كانت زوجة لحصل التوارث بينهما ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ ﴾ الآية ، وبالاتفاق لا توارث بينهما .

وثانياً : لثبت النسب ؛ لقوله (ص) : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » وبالاتفاق لا يثبت النسب .

ثالثاً : لوجبت العدة عليها لقوله تعالى : ﴿ والَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ﴾ انتهى .

أقول : أولاً : إن قوله تعالى : ﴿ والَّذينَ هُمْ لِفُروجِهِمْ حافِظونَ * إلاّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلومينَ ﴾ مـن سـورة «المؤمنون» وسورة « المؤمنون » مكية نزلت قبل الهجرة ، فلا يمكن أن تكون ناسخة لنكاح المتعة المشروع في المدينة بعد الهجرة .

ثانياً : إن المتمع بها زوجة شرعية وعدم التوارث بينهما لا يلغي عنها عنوان الزوجية ، وإنما لا ترث المرأة من زوجها إذا كان نكاحها متعة لورود الدليل المخصص لعموم الدليل الخاص بأحكام الزوجة الدائمة ، وقد مرت رواية الربيع بن سبرة عن أبيه والتي يصرح فيها أن الإستمتاع عندهم هو التزويج .

ثالثاً : لقد ثبت أن الصحابة كانوا يمارسونها فترة حياة النبي ﷺ ومدة خلافة أبي بكر وشطراً من خلافة عمر بن الخطاب حتى نهى عنها عمر في آخر أيام حياته واستمر على القول بحليتها وجوازها جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس ، وجابر الأنصاري ، وفي ذلك دليل على عدم وجود المحرّم لها من كتاب الله عزّ وجل ، خصوصاً أنّ في جملة هؤلاء من هو أعلم صحابة رسول الله ﷺ بكتاب الله عزّ وجل وناسخه منسوخه .

رابعاً : قولهما « وبالاتفاق لا يثبت النسب » !!! عجيب ، فمن أين أتيا بهذا الاتفاق ؟ ومن هم الذين اتفقوا على ذلك ؟! ، فالاتفاق قائم على خلاف قولهما ، فإن الأبناء المتولدين من نكاح المتعة أبناء شرعيون ينسبون إلى أبيهم وأمهم لا فرق بينهم وبين الأبناء المتولدين من النكاح الدائم من حيث الحقوق والأحكام أبداً وبتاتاً .

خامساً : إنه وكما تجب العدة على الزوجة الدائمة عند وفاة زوجها فهي تجب أيضاً على الزوجة المنقطعة — أي المتمتع بها — وهذا باتفاق علماء الإمامية الإثني عشرية

حيث لا خلاف بينهم في هذه المسألة ، فكيف مع وجود الدليل على الجواز ولزوم العدة لا يكون ذلك فراشاً .

زعم الجنيد أن القائل بتحريم عمر للمتعة هم الشيعة وأنّ الإمام علياً عليه السلام أقرّ عمر على تحريمها

قال الجنيد : (إنّ النظرية الفقهية الشيعية القائلة بأنّ المتعة حرّمت بأمر من عمر بن الخطاب يبطلها عمل الإمام علي الّذي أقرّ التحريم في مدة خلافته ، والذي لم يناقش الصحابة في ذلك ، ونحن نجله أن يقرّ باطلاً أو أن يكتم علماً ... الخ) [١] .

الأدلة على تحريم عمر للمتعة

أقول : زعمه أنّ القائل بتحريم عمر بن الخطاب لنكاح المتعة هم الشيعة وحدهم غير صحيح ، فأقوال البعض من علماء أهل السنة صريحة في ذلك وكذلك رواياتهم بل إنّ عمر بن الخطاب نفسه ينسب تحريمه إلى نفسه ، حيث ثبت وبأسانيد متعددة أنّ عمر بن الخطاب قال : (متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنهما متعة النساء ومتعة الحج) [٢] .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٨٣.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١١٣/١٠ ، ٣٦٥/٢٣ ، تذكرة الحفاظ ٣٦٦/١ ، علل الدارقطني ١٥٥/٢ ، المحلى لابن حزم ١٠٧/٧ ، المغني لابن قدامة ١٣٦/٧ ، سنن البيهقي الكبرى ٢٠٦/٧ ، السنن لسعيد بن منصور الخراساني ٢٥٢/١ ، شرح معاني الآثار للطحاوي ١٤٦/٢ ، جزء فيه أحاديث أيوب السختياني صفحة ٨٢ برقم : ٤٩ وقال محققه (إسناده ثقات) ، تفسير الفخر الرازي ١٦٧/٢ ، بداية المجتهد ٣٤٦/١ ، أحكام القرآن للجصاص ٢٧٩/١ ، زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٠٥/٢ ، الدرّ المنثور ١٤١/٢ ، كنز العمّال ٢٩٣/٨ ، البيان والتبيين للجاحظ ١٢٣/٢ .

وفي شرح التجريد للعلامة القوشجي متكلم الأشاعرة أنّ عمر قال : (أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله (ص) وأنا أنهى عنهن وأحرّمهنّ وأعاقب عليهنّ متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل)[1].

وقال الراغب الأصفهاني : (قال يحيى بن أكثم لشيخ البصرة : بمن اقتديت في جواز المتعة ؟ قال : بعمر بن الخطاب (رض) . قال : كيف وعمر من أشد الناس فيها ؟ فقال : لأنّ الخبر الصحيح أنّه صعد المنبر فقال : إنّ الله ورسوله قد أحلا لكم متعتين وإنّي محرّمهما وأعاقب عليهما ، متعة النساء ومتعة الحج)[2].

وفي تفسير القرطبي قال : (والوجه الثالث من التمتع هو الذي توعد عليه عمر بن الخطاب وقال : متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج)[3].

وفي كتاب المسند المستخرج على صحيح مسلم قال : (حدثنا عبد الله بن محمد ، أنبأنا أحمد بن علي ، حدثنا أبو الربيع حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن أبي نضرة عن خالد قال : (متعتان فعلناهما على عهد رسول الله (ص) نهانا عمر عنهما فلم نعد لهما) ثم قال : (رواه مسلم عن حامد بن عمر البكراوي عن عبد الواحد عن عاصم)[4].

وفي شرح معاني الآثار للطحاوي قال : (حدثنا ابن أبي داود قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا حماد عن عاصم عن أبي نضرة عن جابر (رض) قال : متعتان

---

(١) شرح التجريد صفحة ٤٨٤.

(٢) المحاضرات ٩٤/٢.

(٣) تفسير القرطبي ٣٩٢/٢.

(٤) المسند المتسخرج على صحيح مسلم ٣٤٦/٣.

فعلناهما على عهد رسول الله (ص) نهى عنهما عمر (رض) فلن نعود إليهما) .

وفيه أيضاً قال : (حدثنا سليمان قال : حدثنا الخصيب ، قال : حدثنا همام عن قتادة عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال : تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما ولي عمر خطب الناس فقال : إنّ القرآن هو القرآن ، وأنّ الرسول هو الرسول ، وأنّهما كانتا متعتان على عهد رسول الله (ص) متعة النساء فأنهى عنها وأعاقب عليها)[١] .

وفي مسند إمام الحنابلة أحمد بن حنبل قال : (حدثنا بهز ، قال : وحدثنا عفان ، قالا : حدثنا همام ، حدثنا قتادة عن أبي نضرة قال : قلت لجابر بن عبد الله : أنّ ابن الزبير (رض) ينهى عن المتعة ، وأنّ ابن عباس يأمر بها ، قال : فقال لي : على يدي جرى الحديث ، تمتعنا مع رسول الله (ص) ، قال عفان : ومع أبي بكر ، فلما ولي عمر (رض) خطب الناس فقال : إنّ القرآن هو القرآن ، وأنّ رسول الله (ص) هو الرسول ، وأنّهما كانتا متعتان على عهد رسول الله (ص) إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء)[٢][٣] .

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي قال وهو بصدد التحدث عن أولويات عمر ابن الخطاب : (وأول من حرّم المتعة ...)[٤] .

ويقول القلقشندي عند ذكره أوليات عمر : (وهو أول من حرّم المتعة بالنساء)[٥] .

وعن ابن عباس أنّه كان يقول : (ما كانت المتعة إلاّ رحمة رحم الله بها عباده ، ولولا

---

(١) شرح معاني الآثار ١٤٤/٢ .

(٢) مسند أحمد ٥٢/١ .

(٣) لاحظ أنّ هناك بتراً في نهاية هذه الرّواية للكلام الذي يصرّح فيه عمر أنّه ينهى عن المتعتين ويعاقب فاعلهما.

(٤) تاريخ الخلفاء صفحة ١٣٦ .

(٥) مآثر الأناقة ٣٣٨/٣.

نهي عمر لما احتيج إلى الزنا)[١] .

وروى الطبري بسند صحيح قال : (حدثنا محمد بن المثني ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة عن الحكم قال : سألته عن هذه الآية : ﴿ والْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ﴾ إلى هذا الموضع ﴿ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ أمنسوخة هي ؟ قال : لا ، قال الحكم : قال علي (رض) : لولا أنّ عمر (رض) نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي)[٢] .

وفي تاريخ الطبري عن عمران بن سوادة أنّه جاء إلى عمر ناصحاً ثم ذكر له الأمور التي عابت الأمّة عليه فكان مما قال له : (... وذكروا أنّك حرّمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث قال –أي عمر -: إن رسول الله (ص) أحلها في زمان ضرورة ثم رجع الناس إلى سعة ...)[٣] .

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي نضرة قال : (كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال : إن ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله (ص) ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما)[٤] .

وأخرج سعيد بن منصور الخراساني في سننه قال : (حدثنا سعيد حدثنا هشيم ، قال :

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني ٢٧١/٦ ، ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ٣٦٥/١ ، تفسير القرطبي ١٣٠/٥ ، شرح معاني الآثار للطحاوي ٢٦/٣ ، مصنف عبد الرزاق ٤٧٥/١ .

(٢) تفسير الطبري ١٣/٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٧٩/٢.

(٤) صحيح مسلم ٥٩/٤ و ١٣١ ، وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ٢٠٦/٧ ، وفي الرّواية ما يدل على أنّ النهي عن المتعة صادر من عمر وليس من الله ولا رسوله ، ولو كان النهي منهما لذكره جابر ونسبه إليهما لا إلى عمر .

حدثنا عبد الملك عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال : كانوا يتمتعون من النساء حتى نهى عمر)[١] .

ففي كل ما أوردناه دلالة واضحة وصريحة على أنّ عمر بن الخطاب هو الذي نهى عن المتعة ونسب تحريمها إلى نفسه وليس إلى الله ولا رسوله ، ولو كان الله ورسوله نهيا عنها — كما يزعمون — لما تردد عمر عن نسبته إليهما لأنه أبلغ حجة في تحقيق مراده وردع الناس عنها .

والذي يتضح من الرّوايات أنّ نهي عمر بن الخطاب عن نكاح المتعة كان في آخر أيامه وكان بسبب قضية خاصة تتعلق باستمتاع عمرو بن حريث بإمرأة دون أن يعلن ذلك أو دون الإشهاد على نكاحه لها .

فقد أخرج عبد الرّزاق في مصنفه بسند صحيح عن ابن جريح عن عطاء قال : (لأول من سمعت منه المتعة صفوان بن يعلى ، قال : أخبرني عن يعلى : أنّ معاوية استمتع بامرأة بالطائف فأنكرت ذلك عليه ، فدخلنا على ابن عباس ، فذكر له بعضنا ، فقال له : نعم ، فلم يقر في نفسي ، حتى قدم جابر بن عبد الله فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا له المتعة ، فقال : نعم استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر حتى إذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بامرأة — سماها جابر فنسيتها — فحملت المرأة ، فبلغ ذلك عمر ، فدعاها فسألها ، فقالت : نعم ، قال : من أشهد؟ قال عطاء : لا أدري قالت : أمي أم وليها ، قال : فهلا غيرهما ، قال : خشي أن يكون دغلاً الآخر ...)[٢] .

---

(١) سنن سعيد بن منصور ٢٥٢/١ برقم : ٨٥٠.

(٢) مصنف عبد الرزاق ٣٩٦/٧ حديث رقم : ١٤٠٩٧ .

وفي رواية أخرى أخرجها عبد الرزاق أيضاً عن ابن جريج بسند رجاله ثقات قال : (أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن عمرو بن حريث استمتع بجارية بكر من بني عامر بن لؤي فحملت ، فذكر ذلك لعمر فسألها فقالت : استمتع منها عمرو بن حريث فسأله فاعترف فقال عمر : من أشهدت ؟ قال : لا أدري أقال : أمها ، أو أختها أو أخاها وأمها ، فقام عمر على المنبر فقال : ما بال رجال يعملون بالمتعة ولا يشهدون عدولاً ، ولم يبينها إلاّ حددته ، قال : أخبرني هذا القول عن عمر من كان تحت منبره ، سمعه حين يقوله ، قال : فتلقاه الناس)[١] .

وأخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن أبي الزبير قال : (سمعت جابر ابن عبد الله الأنصاري يقول : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث)[٢] .

ومن يتمعن في هذا الخبر الصحيح – المروي في كتاب من أصح الكتب عند القوم وهو صحيح مسلم حتى أنّ البعض يقدمه على صحيح البخاري – يظهر له جلياً أن جابر ابن عبد الله الأنصاري وجميع الصحابة الذي استمتعوا في عهد رسول الله ﷺ ومن بعده في عهد أبي بكر و برهة من الزمن من خلافة عمر لا علم لهم بالتحريم ولا دليل عندهم على ذلك لا من كتاب الله ولا من سنة نبيه ، ولذلك كانوا يما رسونها دون أدنى تحرّج منها حتى نهى عنها عمر بن الخطاب ، كما ويوقفك هذا الخبر على بطلان

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٣٩٩/٧ حديث رقم : ١٤١٠٨ ، وهذه الرواية صريحة جداً في أنّ عمر بن الخطاب كان يرى باجتهاد منه أنّه لا بد من الإشهاد على نكاح المتعة ، وأنّه إنّما توعد وهدد برجم فاعلها إذا لم يشهد عدولاً على نكاحه ، نعم هناك روايات تدل على أنّه حرّمها مطلقاً .

(٢) صحيح مسلم ١٣١/٤ .

وكذب الخبر الذي رواه الطبراني (المعجم الأوسط ٢٨٧/١) وغيره والذي نسب فيه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال : (خرجنا ومعنا النسوة اللاتي استمتعنا بهن حتى أتينا ثنية الركاب ، فقلنا : يا رسول الله هؤلاء النسوة اللاتي استمتعنا بهن ، فقال رسول الله (ص) : هن حرام إلى يوم القيامة !!! ، فودعننا عند ذلك فسميت عند ذلك ثنية الوداع ، وما كانت قبل ذلك إلاّ ثنية الركاب) ، فلو كان ما في هذه الرواية صحيحاً وأنّ النبي ﷺ نهى عن التمتع إلى يوم القيامة ، فلماذا تمتع جابر وغيره من الصحابة بعد هذا التحريم والنهي منه ﷺ ؟! ولماذا نسب التحريم إلى عمر ولم ينسبه إلى رسول الله ﷺ ؟!

وأخرج عبد الرّزاق بسند صحيح قال : (عن ابن جريح قال : أخبرني أبو الزبير قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : استمتعنا أصحاب النبي (ص) حتى نُهي عمرو بن حريث قال : وقال جابر : إذا انقضى الأجل فبدا لهما أن يتعاودا فليمهرها مهراً آخر . قال: وسأله بعضنا كم تعتد ؟ قال : حيضة واحدة ، كن يعتددنها للمستمتع بهن) [(١)] .

وأخرج عبد الرزاق بسند صحيح أيضاً قال : (عن ابن جريح قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : قدم عمرو بن حريث من الكوفة فاستمتع بمولاة ، فأتي بها عمر وهي حبلى ، فسألها ، فقالت : استمتع بي عمرو بن حريث ، فسأله فأخبره بذلك أمراً ظاهراً ، قال : فهلاّ غيرها ؟ فذلك حين نهى عنها . قال ابن جريح : وأخبرني من أصدق أنّ علياً قال بالكوفة : لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب – أو قال : من رأي ابن الخطاب – لأمرت بالمتعة ثم ما زنى إلاّ شقي) [(٢)] .

---

(١) مصنف عبد الرّزاق ٣٩٨/٧ حديث رقم : ١٤١٠٢

(٢) مصنف عبد الرزاق ٣٩٩/٧ حديث رقم : ١٤١٠٦ .

فهذه الأحاديث كلها صريحة في أنّ الناهي عن المتعة هو عمر بن الخطاب وأنّ دعوى التحريم من الله أو من رسوله مزعومة لم يكن لها وجود في عهد الصحابة فلذلك كانوا يمارسونها في حياة النبي وبعد وفاته طوال خلافة أبي بكر وحتى أواخر خلافة عمر بن الخطاب إلى أن صدر النهي عنها من عمر وهدد فاعلها بالعقاب والرّجم ولم يخضع العديد من الصحابة والكثير من الناس إلى هذا التحريم العمري فكانوا يمارسونها ويفتون بجوازها.

ففي مصنف عبد الرّزاق بسند رجاله ثقاة قال: (عن ابن جريح قال: أخبرني عبد الله ابن عثمان بن خثيم قال: كانت بمكة امرأة عراقية تنسك جميلة، لها ابن يقال له: أبو أمية، وكان سعيد بن جبير يكثر الدخول عليها، قلت: يا أبا عبد الله، ما أكثر ما تدخل على هذه المرأة؟ قال: إنا قد نكحناها ذلك النكاح، للمتعة. قال: وأخبرني أن سعيداً قال له: هي أحل من شرب الماء، للمتعة)[1].

وفيه أيضاً بسند صحيح قال: (عن ابن جريح قال: أخبرني عطاء أنه سمع ابن عباس يراها —المتعة —الآن حلالاً، وأخبرني أنّه كان يقرأ: ﴿فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِه مِنْهُنَّ —إلى أجل - فآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ ﴾ وقال ابن عباس: في حرف أبي: «إلى أجل». قال عطاء: وأخبرني من شئت عن أبي سعيد الخدري قال: لقد كان أحدنا يستمتع بملء القدح سويقاً. وقال صفوان: هذا ابن عباس يفتي بالزنا، فقال ابن عباس: إني لا أفتي بالزنا، أفنسي صفوان أم أراكة، فو الله إن إبنها لمن ذلك، أفزناً هو؟ قال: واستمتع بها رجل من بني جمح)[2].

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٧/٤٩٣ برقم: ١٤٠٢٠.

(٢) مصنف عبد الرّزاق ٧/٣٩٧ رواية رقم: ١٤٠٩٩.

وفيه : (وقال أبو الزبير : وسمعت جابر بن عبد الله يقول : استمتع معاوية ابن أبي سفيان مقدمه من الطائف على ثقيف بمولاة ابن الحضرمي يقال لها معانة ، قال جابر : ثم أدركت معانة خلافة معاوية حية فكان معاوية يرسل إليها بجائزة في كل عام حتى ماتت)[١] .

وفي بداية المجتهد لابن رشد القرطبي قال : (واشتهر عن ابن عباس تحليله —نكاح المتعة – ، وتبع ابن عباس على القول بها أصحابه من أهل مكة وأهل اليمن ، ورووا أنّ ابن عباس كان يحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ ﴾ وفي حرف عنه « إلى أجل مسمى » ، وروي عنه : « ما كانت المتعة إلاّ رحمة من الله عزّ وجل رحم بها أمة محمد (ص) ولولا نهي عمر (رض) عنها ما اضطرّ إلى الزنا إلاّ شقي »)[٢] .

وقال ابن حزم : (وقد ثبت على تحليلها —المتعة —بعد رسول الله (ص) جماعة من السلف (رض) منهم من الصحابة (رض) أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وابن عباس ، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن حريث ، وأبو سعيد الخدري ، وسلمة ومعبد أبناء أمية بن خلف ، ورواه جابر بن عبد الله عن جميع الصحابة مدة رسول الله ، ومدة أبي بكر ، وعمر إلى آخر خلافة عمر .

واختلف في إباحتها عن ابن الزبير ، وعن علي فيها توقف[٣] وعن عمر بن الخطاب

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٣٩٨٧٧.

(٢) بداية المجتهد ٢/٤٣ — ٤٤.

(٣) الصحيح أنّ علياً عليه السلام يرى حلية نكاح المتعة ، وقد ثبت عنه قوله : « لولا نهي عمر عن المتعة ما زنى إلاّ شقي » وما نسب إليه أن رسول الله صلى الله عليه وآله حرّمها يوم خيبر فقد مرّ الكلام حوله حيث أثبتنا بطلان ذلك.

أنه إنما أنكرها إذا لم يشهد عليها عدلان فقط ، وأباحها بشهادة عدلين ، ومن التابعين طاووس وعطاء وسعيد بن جبير وسائر فقهاء مكة أعزّها الله)[١] .

وقال ابن قدامة : (وحكي عن ابن عباس أنها جائزة وعليه أكثر أصحابه عطاء وطاووس وبه قال جريج وحكي ذلك عن أبي سعيد الخدري وجابر وإليه ذهب الشيعة لأنه ثبت أن النبي (ص) أذن فيها ...)[٢] .

وأمّا زعمه أنّ علياً عليه السلام أقرّ تحريم عمر بن الخطاب للمتعة فحاشاه عليه السلام أن يقرّ أمراً فيه مخالفة لله ورسوله ، كيف وهو من المنكرين على عمر تحريمه لها وثبت عنه أنّه كان يقول : (لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي)[٣] وقوله : (لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب – أو قال : من رأي ابن الخطاب – لأمرت بالمتعة ثم ما زنى إلاّ شقي)[٤] .

الرد على مزاعم أخرى له تتعلق بنكاح المتعة

قال الجنيد : (على أنّ المتعة التي يدعو إليها الشيعة تختلف اختلافاً جذرياً عن المتعة التي شرّعت أول الأمر ثم حرّمت إلى يوم القيامة وإليك بيان ذلك :)[٥] .

أقول : زعمه أنّ نكاح المتعة الذي يقول به الشيعة يختلف عن المتعة التي شرعها الله سبحانه وتعالى ورسوله زعم باطل ، فإن الشيعة يقولون بحلية نكاح المتعة بالشروط

---

(١) المحلى ٦٩/١١.

(٢) المغني ٥٧١/٧.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٣/٥ بسند صحيح .

(٤) مصنف عبد الرزاق ٣٩٩/٧ حديث رقم : ١٤١٠٦ .

(٥) حوار هادئ صفحة ٨٣.

والضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية ، وحسب ما صحّ لديهم من روايات عن رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام ، أما دعوى أنّ زواج المتعة حرّم إلى يوم القيامة فقد أثبتنا بطلانه فيما سبق وأثبتنا بالدليل أنه لم يحرمه لا الله ولا رسوله ، وإنما الذي حرّمه ونهى عنه هو عمر بن الخطاب .

قال الجنيد : (إنّ الشيعة جعلوا الإيمان بالمتعة أصلاً من أصول الدين ، وجعلوا منكرها منكراً للدين ، فقد نقل ابن بابويه القمي الملقب بالصّدوق ، والكاشاني عن جعفر الصادق قوله : « إن المتعة ديني ودين آبائي ، فمن عمل بها عمل بديننا ، ومن أنكرها أنكر ديننا واعتقد بغير ديننا ») [1] .

أقول : قوله أن الشيعة جعلوا الإيمان بالمتعة من أصول الدين وأنهم جعلوا منكرها منكراً للدين من أكاذيبه وافتراءاته ، فأصول الدين عند الشيعة ثلاثة ، التوحيد والنبوة والمعاد يوم القيامة ، ويتفرع من التوحيد أصل وهو العدل وعلى النبوة أصل وهو الإمامة فجموع أصول المذهب عند الشيعة خمسة أصول ، ولا يوجد قائل واحد من علماء الشيعة يقول بأنّ المتعة من أصول الدين ، فلماذا الكذب أيها الجنيد ؟ .

أما الرّواية التي نسبها إلى الشيخ الصدوق عليه الرّحمة وإلى الملا فتح الله الكاشاني وأشار في الهامش أن الشيخ الصدوق نقلها في كتابه من لا يحضره الفقيه ، وأن فتح الله الكاشاني نقلها في تفسيره منهج الصادقين ، فلا وجود لها في المصدرين المذكورين وإنما هي من مختلقاته .

قال الجنيد : (أنهم جعلوها من فضائل الأعمال وتطفئ غضب الرب فزعموا أنّ

---

(١) حوار هادئ صفحة ٨٣.

النبي (ص) قال: « من تمتع مرّة أمن من سخط الجبار »)[1].

أقول : نقل في هامش الصفحة مصدر الرّواية وهو كتاب تفسير منهج الصادقين لفتح الله الكاشاني ، وهي رواية مرسلة ليس لها سند ، ومجرد وجود رواية في هذا التفسير أو ذاك لا تعد حجة ما لم تثبت صحتها ويقول بمضمونها علماء المذهب ، فهل يرضى الجنيد أو غيره من أهل السنة أن نحتج عليهم بكل الرّوايات التي رواها الطبري في تفسيره أو القرطبي في تفسيره أو ابن كثير في تفسيره أو ابن حيان في تفسيره أو غيرهم ؟ ثم كيف يأمنُ العبد من سخط الجبار لمجرد أنّه يتزوج زواجاً منقطعاً وينكح إمرأة متعة إذا لم يكن ملتزماً بالواجبات ومنتهياً عن المحرمات ؟ وعليه فلا يمكن قبول مضمون هذه الرّواية على ظاهره .

قال الجنيد : (أنّهم رتبوا عليها مغفرة الرحمن ، فزعموا أنّه لما أسري بالنبي (ص) قال له جبرئيل : « يا محمد إن الله يقول : إنّي قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء »[2].

أقول : نقل هذه الرواية من كتاب من لا يحضره الفقيه وهي رواية مرسلة ليس لها سند فليست حجة ولا يحتج بها على أحد .

قال الجنيد : (وسأل رجل جعفر الصادق عليه السلام : « هل للمتمتع ثواب ؟ قال : إن كانت يريد بذلك وجه الله[3] لم يكلمها كلمة إلاّ كتب الله له بها حسنة ، فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنباً ، فإذا اغتسل غفر الله بقدر ما مرّ من الماء على شعره)[4] .

---

(١) و (٢) حوار هادئ صفحة ٨٤.

(٣) في المصدر : « إن كان يريد بذلك وجه الله وخلافاً على من أنكرها لم ... الخ » .

(٤) حوار هادىء صفحة ٨٤، وتكملة الرواية : « قلت : بعدد الشعر ؟ قال : نعم بعدد الشعر » .

أقول : نقل هذه الرّواية عن كتاب من لا يحضره الفقيه وهذه الرواية ساقطة سنداً فيكفي أن في سندها صالح بن عقبة وهو ضعيف كذاب غال ،حديثه ليس بشيء ، انظر خلاصة الأقوال ص ٣٦٠ ، رجال ابن داود ص ٢٥٠ ، نقد الرجال للتفريشي ٤١١/٢ .

ثم لو فرضنا صحة هذه الرّواية فما هو المانع يا ترى أن يعطي الله سبحانه وتعالى وهو الكريم لمَن عمل عملاً يريد به وجهه ، مثل الثواب الذي ذكرته هذه الرّواية ؟! .

فهل يبخّل الجنيد كريماً ؟!

قال الجنيد : (إنّهم جعلوا المتعة من أعظم أسباب دخول الجنة بل إنها توصلهم إلى درجة تجعلهم يزاحمون الأنبياء مراتبهم في الجنة ، وزعموا أنّ النبي (ص) قال : « من تمتع مرةً أمن من سخط الجبار ، ومن تمتع مرّتين حشر مع الأبرار ، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان »)[1] .

أقول : إن أهم أسباب دخول الجنة هي التزام العبد بتعاليم وتوجيهات الشريعة الإسلامية وأداء ما افترضه الله سبحانه وتعالى عليه ، والإنتهاء عن ما نهاه عنه ، وممارسة الأعمال التي تعتبر وسيلة من وسائل التقرب إليه سبحانه فهذه هي الأعمال التي توصل العبد إلى الجنة وتجعله في درجات قريبة من درجات الأنبياء عليهم السلام وليس نكاح المتعة.

ثم إنّ صاحبنا الجنيد أشار في هامش الصفحة أنّه نقل الرّواية التي ذكرها عن كتاب من لا يحضره الفقية للشيخ الصدوق رحمه الله ٣٦٦/٣ ولم أهتدي إلى هذه الرّواية في الكتاب المذكور.

قال الجنيد : (أنهم حذّروا من أعرض عن التمتع من نقصان ثوابه يوم القيامة فقالوا :

(١) حوار هادئ صفحة ٨٩.

« من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع (أي مقطوع العضو) »)[١] .

أقول : من هم هؤلاء الذين قالوا بذلك يا عبد الله الجنيد ؟ لماذا لم تذكر أسماءهم ؟ فأنت لم تشر إلاّ إلى تفسير منهج الصادقين لفتح الله الكاشاني ، والنص المذكور هو مضمون رواية ساقطة سنداً .

قال الجنيد : (أنه ليس هناك حد لعدد النساء المتمتع بهن ، فيجوز للرجل أن يتمتع بمن شاء من النساء ولو ألف امرأة أو أكثر)[٢] .

أقول : إنّ الشيعة الإمامية الإثني عشرية يتعبدون بما جاء في كتاب الله عزّ وجل ، وما ثبت وصحّ من سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام ، وقد ثبت عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أنه لا حد معين لعدد النساء المتمتع بهنّ ، وله شبه في الشريعة الإسلامية وهو النكاح بملك اليمن ، فجميع المسلمين متفقون على أنّه بإمكان المرء أن ينكح ما شاء من النساء بملك اليمين .

قال الجنيد : (إنّهم يجيزون التمتع بالبكر ولو من غير إذن وليها ، ولو من غير شهود أيضاً مخالفين قول النبي (ص) : « لا نكاح إلاّ بولي وشاهدين »)[٣] .

أقول : إن مسألة استئذان الولي في النكاح –سواء في النكاح الدائم أو المنقطع– بالنسبة للمرأة البكر مسألة خلافية بين فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، فالأغلب منهم على وجوب الإستئذان ، بل وعلى أنه شرط في صحة العقد ، والقليل منهم لا يرى

---

(١) حوار هادئ صفحة ٩٠.

(٢) المصدر السابق .

(٣) حوار هادئ صفحة ٩٠.

الوجوب وإنما يرى استحباب ذلك ، فهذه المسألة من المسائل الفرعية الخاضعة للإجتهاد ، وكل فقيه يفتي بحسب ما يفهمه هو من الدليل ، وأما الإشهاد على النكاح فإن الشيعة لا يشترطونه في الزواج لا دواماً ولا متعة ، ولو ثبت عندهم قول النبي ﷺ الذي أشار إليه وصح ذلك لديهم وفهموا منه عدم صحة النكاح إلاّ بولي وشاهدين لعملوا به في النكاح الدائم ولما تركوا الأخذ به والعمل بمضمونه .

ويظهر لي أنّ صاحبنا غير مطّلع على كتب قومه أو أنّه مطّلع ولكنه يتعمد المغالطة والتدليس ، ألم يقرأ في تفسير القرطبي —وهو من أشهر تفاسير أهل السنة ، ومؤلفه من أشهر مفسريهم —ما ذكره عن ابن عباس أنه قال : (إنّ نكاح المتعة كان بلا ولي ولا شهود)[١] .

ألم يقرأ قول ابن عبد البّر في التمهيد : (وأجمعوا على أنّ المتعة نكاح لا شهادة فيه ولا ولي وأنّه نكاح إلى أجل تقع فيه الفرقة بلا طلاق ولا ميراث بينهما)[٢] .

قال الجنيد : (أنهم أباحوا التمتع بالبنت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم ، ففي كتاب الكافي : عن جعفر الصادق أنّه سئل عن الجارية الصغيرة ، هل يتمتع بها الرجل ؟ فقال : « نعم إلاّ أن تكون صبية تخدع » قال : وما الحد الذي إذا بلغته لم تخدع ؟ قال : «عشر سنين »)[٣] .

أقول : إن أهل السنة يجوّزون نكاح الصغيرة دواماً ، يقول النووي في روضة الطالبين ٣١٤/٥: (يجوز وقف ما يراد لعين تستفاد منه كالأشجار للثمار والحيوان للبن

(١) تفسير القرطبي ١٣٣/٥ .

(٢) التمهيد ١١٦/١٠ ، ونقله عنه العيني في عمدة القارىء ٢٤٦/١٧ .

(٣) حوار هادىء صفحة ٩٠ —٩١.

والصوف والوبر والبيض وما يراد لمنفعة تستوفى منه كالدار والأرض ، ولا يشترط حصول المنفعة والفائدة في الحال بل يجوز وقف العبد والجحش الصغيرين والزمن الذي يرجى زوال زمانته كما يجوز نكاح الرضيعة) .

ورووا أن النبي ﷺ تزوّج عائشة وهي ابنة ست سنين ودخل بها وهي ابنة تسع فعن عائشة قالت : (تزوجني رسول الله لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين) [١].

وإذا جاز نكاح الصغيرة دواماً فيجوز نكاحها منقطعاً (متعة) حيث لا فرق بين الزواج الدائم والمنقطع من هذه الناحية ، نعم الشيعة لا يجوّزون الدخول بالزوجة الدائمة أو المنقطعة قبل إكمالها سن البلوغ الشرعي نعم يجوز للزوج الاستمتاع بها بغير ذلك قبل إكمالها هذا السن .

قال الجنيد : (إنهم يجيزون اللواطة بها أيضاً بأن تؤتى من مؤخرتها ، ونسبوا إلى الإمام الرضا أنّه لما سئل عن إتيان المرأة في دبرها من خلفها قال : « أحلّتها آية من كتاب الله يوم قال لوط لقومه : «هؤلاء بناتي هنّ أطهر» وقد علم لوط أنّهم لا يريدون فروج النساء) [٢].

أقول : مسألة جواز أو عدم جواز إتيان المرأة في دبرها من المسائل الخلافية بين الفقهاء فمنهم من يرى حرمة ذلك ومنهم من يرى الجواز على كراهة شديدة وهم الأغلب ، والاختلاف في ذلك ناشئ من اختلاف الدليل واختلاف العلماء في فهم الدليل .

---

(١) صحيح مسلم ١٠٣٩/٢ برقم : ١٤٤٢٢ .

(٢) حوار هادىء صفحة ٩٠.

ومن الصحابة والتابعين وعلماء وفقهاء أهل السنة من يرى إباحة ذلك وحليته ففي كتاب المغني لابن قدامة قال : (ورويت إباحته —وطء الزوجة في الدبر —عن ابن عمر وزيد بن أسلم ونافع ومالك ...) [١] .

وفي كتاب أحكام القرآن للجصاص : (وروى أصبغ بن الفرج عن ابن القاسم عن مالك قال : ما أدركت أحداً أقتدي به في ديني يشك فيه أنّه حلال ، يعني وطء المرأة في دبرها ، ثم قرأ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ « البقرة : ٢٢٣ » قال : فأي شيء أبين من هذا وما أشك فيه) [٢] .

وفي أحكام القرآن للجصاص قال : (قال أبو بكر : المشهور عن مالك إباحة ذلك —إتيان المرأة في دبرها —وأصحابه ينفون عنه هذه المسألة لقبحها وشناعتها ، وهي عنه أشهر من أن يندفع بنفيهم عنه) [٣] .

وفيه أيضاً : (وقد حكى محمد بن سعيد عن أبي سليمان الجوزجاني قال : كنت عند مالك بن أنس فسئل عن النكاح في الدبر فضرب بيده إلى رأسه وقال : الساعة اغتسلت منه) [٤] .

وقال المناوي : (وقد روى الطحاوي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنّه سمع الشافعي يقول : ما صحّ عن النبي (ص) في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس أنّه

---

(١) المغني ٢٢٥/٧ ، وذكر مثله في الشرح الكبير ١٣٠/٨ .

(٢) أحكام القرآن ٣٩/٢ ، وذكره المناوي في فيض القدير ٢٢٧/١ ، وابن قدامة في المغني ٢٢٥/٧ ، وفي الشرح الكبير ١٣٠/٨ ، والطحاوي في مختصر اختلاف العلماء ٣٤٤/٢ .

(٣) أحكام القرآن ٤٠/٢ .

(٤) المصدر السابق .

حلال)[١] .

وقال الطبري : (حدثني يعقوب ، قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا ابن عون عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرئ القرآن لم يتكلم ، قال : فقرأت ذات يوم هذه الآية ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا حَرْثَكُمْ أَنّى شِئْتُمْ﴾ فقال : أتدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قلت : لا قال نزلت في إتيان النساء في أدبارهن)[٢] .

وهذه الرواية صحيحة سنداً فرواتها كلهم من الثقاة ، أما يعقوب فهو : (الحافظ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي البغدادي) اتفق الستة –البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه –على إخراج حديثه ، وقال عنه أبو حاتم : (صدوق) ، وقال النسائي : (ثقة) ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الخطيب : (كان ثقة متقناً صنّف المسند) ، وقال مسلمة : (كان كثير الحديث ثقة)[٣] ، وأما هشيم فهو (هشيم بن بشر بن القاسم بن دينار السلمي أبو معاوية) وهو من الثقاة الأثبات عند أهل السنة وممن اتفق الستة على إخراج حديثه[٤] ، وابن عون هو (عبد الله بن عون بن أرطبان المزني الخزاز البصري) وهو كسابقه من الثقاة الأثبات عندهم ، وممن اتفق الستة على إخراج حديثه[٥] ، أما نافع فهو مولى ابن عمر وقد وصفوه بأنّه ثقة ثبت فقيه وهو كالذين سبقوه ممن اتفق أصحاب الصحاح الستة على إخراج حديثه[٦] .

---

(١) فيض القدير ٢٢٧/١ وذكره الطحاوي في مختصر اختلاف العلماء ٣٤٣/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٦٣٨/١.

(٢) تفسير الطبري ٣٩٤/٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٢٤٠/٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٤١/٦.

(٥) تهذيب التهذيب ٢٢٤/٣.

(٦) تهذيب التهذيب ٦٠٦/٥.

وقال الطبري : (حدثني إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم ، قال حدثنا أبو عمر الضرير ، قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم صاحب الكرابيسي عن ابن عون عن نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف إذ تلا هذه الآية ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا حَرْثَكُمْ أَنّى شِئْتُمْ ﴾ فقال أن يأتيها في دبرها)[١].

وهذه الرّواية صحيحة رواتها ثقاة ، فإبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم وثقه موسى بن هارون وقال عنه الدارقطني (صدوق ثقة)[٢] وذكر توثيق الدار قطني له الذهبي في تذكرة الحفاظ[٣] وقال عنه الحافظ عبد الغني بن سعيد : (ثقة نبيل)[٤] ، وأبو عمر الضرير هو (حفص بن عمر) من رجال ابن داود قال عنه أبو حاتم : (صدوق عامة حديثه)[٥] وذكره ابن حبان في الثقات وقال : (كان من العلماء بالفقه والأخبار والفرائض والحساب والشعر وأيام الناس)[٦] ، وإسماعيل بن إبراهيم الكرابيسي ثقة أيضاً ، وثقه الذهبي في الكاشف[٧] وذكره ابن حبّان في الثقات[٨] ، وبقية رجال السند مر الكلام عنهم .

وفي تفسير الدّر المنثور للسيوطي قال : (وأخرج الدار قطني ودعلج كلاهما في

---

(١) تفسير الطبري ٣٩٤/٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٢٣/٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٦٢١/٢.

(٤) تاريخ بغداد ١٢٣/٢ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٤٠٦/١ برقم : ٤١٠ .

(٦) الثقات ١٩٩/٨ برقم : ١٢٩٧١ .

(٧) الكاشف ٣٤١/١ برقم : ٣٥٤.

(٨) الثقات ٩٤/٨ برقم : ١٢٤٠٠ .

غرائب مالك من طريق أبي مصعب واسحاق بن محمد القروي كلاهما عن نافع عن ابن عمر أنه قال : يا نافع أمسك علي المصحف ، فقرأ حتى بلغ ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ...﴾ الآية ، فقال : يا نافع أتدري فيم أنزلت هذه الآية ؟ قلت : لا . قال : نزلت في رجل من الأنصار ، أصاب امرأته في دبرها فوجد في نفسه من ذلك ، فسأل النبي (ص) فأنزل الله الآية . قال الدارقطني : هذا ثابت عن مالك ، وقال ابن عبد البر : الرّواية عن ابن عمر بهذا المعنى صحيحة معروفة عنه مشهورة)[١] .

وقال ابن جرير الطبري : (حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا عبد الملك بن مسلمة قال حدثنا الدراوردي ، قال قيل لزيد بن أسلم إن محمد بن المنكدر ينهى عن إتيان النساء في أدبارهن فقال زيد أشهد على محمد لأخبرني أنه يفعله)[٢] .

وقال الطبري : (حدثني أبو قلابة قال حدثنا عبد الصمد ، قال حدثني أبي عن أيوب عن نافع عن ابن عمر فأتوا حرثكم أنى شئتم قال في الدبر)[٣] .

وهذه الرّواية حسنة إن لم نقل عنها بأنها صحيحة ، فأبو قلابة هو الحافظ عبد الملك ابن محمد بن عبد الله الرقاشي (صدوق)[٤] ومن رجال ابن ماجة ذكره ابن حبان في الثقات[٥] وعبد الصمد هو ابن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي من الثقاة أخرج

---

(١) الدر المنثور ٦٣٧/١.

(٢) تفسير الطبري ٦٣٨/١.

(٣) تفسير الطبري ٣٩٥/٢.

(٤) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٥٨٠/٢ برقم : ٦٠٤ ، الكواكب النيرات صفحة ٥٨ برقم : ٣٧ ، تهذيب الكمال ٤٠١/٨ برقم : ٣٥٥٦.

(٥) الثقات ٣٩١/٨ برقم : ١٤٠٣٧ .

له الستة جميعهم ، وأبوه هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي من الحفاظ الثقات عندهم وممن اتفق الستة على إخراج حديثه ، وأما أيوب فإما أن يكون أيوب السختياني أو أيوب بن موسى القرشي فكلاهما يروي عنه عبد الوراث وكلامهما يروي عن نافع ، وهما من الثقات أخرج لهما الستة .

وقال : (حدثني أبو مسلم قال حدثنا أبو عمر الضرير ، قال حدثنا يزيد بن زريع ، قال حدثنا روح بن القاسم عن قتادة قال سئل أبو الدرداء عن إتيان النساء في أدبارهن فقال هل يفعل ذلك إلا كافر قال روح فشهدت ابن أبي مليكة يُسئل عن ذلك فقال قد أردته من جارية لي البارحة فاعتاص علي فاستعنت بدهن أو بشحم ، قال : فقلت له سبحان الله أخبرنا قتادة أن أبا الدرداء قال هل يفعل ذلك إلا كافر فقال لعنك الله ولعن قتادة [1] فقلت لا أحدث عنك شيئا أبدا ثم ندمت بعد ذلك) [2] .

وهذه الرّواية صحيحة سنداً ؛ فأبو مسلم شيخ ابن جرير هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم وقد مرّ الكلام عنه وكذلك أبو عمر الضرير ، وأما يزيد بن زريع فهو من الحفاظ الأثبات ، واتفق الستة على إخراج حديثه ، وأما روح ابن القاسم فهو كسابقه من الحفاظ الأثبات ، أخرج له الستة ما عدا الترمذي وأما قتادة فهو أيضاً من الثقاة الأثبات عندهم .

وقال : (حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال أخبرنا أبو بكر ابن أبي أويس الأعشى ، عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر: أن رجلا أتى امرأته في دبرها فوجد في نفسه من ذلك فأنزل الله ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا

---

(١) أقول : انظر إلى ثقتهم وحافظهم ابن أبي مليكة كيف يلعن ثقتهم وحافظهم قتادة وثقتهم وحافظهم الآخر روح بن القاسم .

(٢) تفسير الطبري ٣٩٥/٢.

حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾)[١].

وقال الطبري : (حدثني يونس ، قال أخبرني ابن نافع ، عن هشام بن سعد ، عن زيد ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار : أن رجلا أصاب امرأته في دبرها على عهد رسول الله فأنكر الناس ذلك وقالوا أثفرها فأنزل الله تعالى ذكره ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾)[٢].

وقال السيوطي : وأخرج ابن جرير والطبراني في الأوسط وابن مردويه وابن النجار بسند حسن عن ابن عمر أنّ رجلاً أصاب امرأته في دبرها في زمن رسول الله (ص) فأنكر ذلك الناس وقالوا : اثفرها ، فأنزل الله ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ... ﴾ الآية)[٣].

وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط قال : (حدثنا علي بن سعيد الرّازي قال : نا محمد ابن أبي عتاب أبو بكر الأعين قال : نا محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، قال : نا أبي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : إنّما نزلت على رسول الله (ص) : ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ رخصة في إتيان الدبر)[٤].

وقال السيوطي : (وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في المسند المستخرج بسند حسن عن ابن عمر قال : إنما نزلت على رسول الله (ص) ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ... ﴾ الآية ، رخصة في إتيان الدبر)[٥].

---

(١) تفسير الطبري ٣٩٥/٢.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الدر المنثور ٦٣٦/١.

(٤) المعجم الأوسط ١٤٤/٤.

(٥) الدر المنثور ٦٣٦/١.

وقال : (وأخرج ابن راهويه وابو يعلى وابن جرير والطحاوي في مشكل الآثار وابن مردويه بسند حسن عن أبي سعيد الخدري : أنّ رجلاً أصاب امرأته في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك ، فأنزلت ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا حَرْثَكُمْ أَنّى شِئْتُمْ ﴾)[1] .

وقال : (وأخرج النسائي من طريق يزيد بن رومان عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر : أن عبد الله بن عمر كان لا يرى بأساً أن يأتي الرجل المرأة في دبرها)[2] .

وقال أيضاً : (وأخرج البيهقي في سننه عن محمد بن علي قال : كنت عند محمد بن كعب القرظي فجاء رجل فقال : ما تقول في إتيان المرأة في دبرها ؟ فقال : هذا شيخ من قريش فسله يعني عبد الله بن علي بن السائب فقال : قذر ، ولو كان حلالاً)[3] .

فهذه روايات أهل السنة الصحيحة والحسنة وأقوال جمع من علمائهم تثبت أن هناك جماعة من الصحابة وكبار العلماء والرواة الثقاة لديهم لا يرون بأساً في إتيان المرأة دبراً ، بل إن بعضهم – كما هو واضح من بعض الروايات التي نقلناها – كانوا يفعلونه ، فكيف - بعد هذا - يصح لواحد من أهل السنة أن يشنع على الشيعة برواية أو فتوى لأحدهم تقول بجواز ذلك ؟ .

قال الجنيد : (إنهم يرون أنّه لا داعي لسؤال المرأة التي يتمتع بها إن كانت متزوجة أو كانت عاهرة ، وإنّما يتحقق زواج المتعة بإصداقها المهر من غير أن يسألها إن كان لها زوج آخر أم لا حسب رواية الكليني أنّ رجلاً جاء جعفر الصادق وقال له : « إني أكون في بعض الطرقات فأرى المرأة الحسناء ولا آمن أن تكون ذات بعل أو من العواهر ،

---

(١) الدر المنثور ٦٣٧/١ .

(٢) الدر المنثور ٦٣٨/١ .

(٣) المصدر السابق .

فقال له جعفر : ليس هذا عليك ... إنّما عليك أن تصدقها في نفسك » .

ومن يدري فلعل التمتع بالفاجرة يردّها عن فجورها وزناها كما ذكر الخميني في كتابه تحرير الوسيلة)[1] .

أقول : أولاً : لقد حرّف صاحبنا في رواية الشيخ الكليني قُدِّسَ سِرُّهُ فأبدل عبارة : (إنما عليك أن تصدقها في نفسها) بعبارة (إنما عليك أن تصدقها في نفسك) حيث أبدل لفظة (نفسها) بلفظة (نفسك) !

ثانياً : إن قول الإمام الصادق عليه السلام للسائل (ليس هذا عليك ، إنما عليك أن تصدقها في نفسها) يراد به أنّ المرأة مصدقة فيما أخبرت به عن نفسها مما لا يعرف عادة إلاّ من جهتها فلو أنّ رجلاً قابل إمرأة ولا يعرف عنها شيئاً وعرض عليها الزواج فرضيت ، أو أنّه سألها عن خلوها من الزوج ، فأخبرته بخلوها منه فإنه لا مانع شرعاً من الزّواج منها ونكاحها دواماً أو متعة هذا هو معنى كلام الإمام الصادق عليه السلام ، وليس ما فهمه الجنيد منها أو ما حاول أن يفهمه القارئ بعد أن حرّف في الرّواية .

ثالثاً : أما ما ذكره عن الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ فإن الإمام الخميني قال في كتابه تحرير الوسيلة (٢٩٢/٢) : (يجوز التمتع بالزانية على كراهة خصوصاً لو كانت من العواهر والمشهورات بالزنا ، وإن فعل فليمنعها من الفجور) وقوله هذا صريح في أنّه رحمه الله وحسب الأدلة الشرعية التي توفرت لديه وصحت وثبتت عنده يرى جواز التمتع بالزانية على كراهة ، وتشتد الكراهة فيما لو كانت المرأة من العواهر والمشهورات بالزنا ، ولكن إذا حصل أن تمتع شخص بإمرأة هكذا حالها فإنّه مأمور بمنعها من الزّنا ، وأي ضير في لزوم منعها منه ، فليس في هذه الفتوى طعن في الإمام الخميني ولا في مذهب التشيّع ،

---

(١) حوار هادىء صفحة ٩١-٩٢.

والقول بجواز نكاح الزانية ليس مما انفرد به فقهاء الشيعة بل هو قول أئمة المذاهب السنية ، ففي كتاب إعلاء السنن ناقلاً عن كتاب « رحمة الأمة في الاختلاف الأئمة صفحة ١٠٣ » قال : (الزانية يحل نكاحها عند الثلاثة مالك والشافعي وأبي حنيفة وقال أحمد بحرمة نكاحها حتى تتوب)[١] .

وفي حاشية ابن القيم قال : (وقد اختلف في نكاح الزانية فمذهب الإمام أحمد بن حنبل أنه لا يجوز تزوجها حتى تتوب وتنقضي عدتها ، فمتى تزوجها قبل التوبة أو قبل انقضاء عدتها كان النكاح فاسداً ، ويفرق بينهما ، وهل عدتها ثلاث حيض أو حيضة على روايتين عنه ، ومذهب الثلاثة أنه يجوز أن يتزوجها قبل توبتها والزنا لا يمنع عندهم صحة العقد كما لم يوجب طريانه فسخه ، ثم اختلف هؤلاء في نكاحها في عدتها فمنعه مالك احتراماً لماء الزوج وصيانة لاختلاط النسب الصريح بولد الزنى وذهب أبو حنيفة والشافعي إلى أنه يجوز العقد عليها من غير انقضاء عدة ! ثم اختلفا فقال الشافعي يجوز العقد عليها وإن كانت حاملاً لأنه لا حرمة لهذا الحمل! وقال أبو يوسف وأبو حنيفة – في إحدى الروايتين عنه –: لا يجوز العقد عليها حتى تضع الحمل لئلا يكون الزوج قد سقى ماءه زرع غيره)[٢] .

قال الجنيد : (أنهم يروون أن الحد الزمني للمتعة ربما كان شهوراً أو أياماً وربما ساعات وربما دقائق ، بل ذهبوا إلى ما هو مقدار مضاجعة واحدة بين الرجل والمرأة ويسمّون ذلك بـ« إعارة الفروج » .

بعد هذا نسأل : تُرى ما الفرق بين هذا التمتع واستئجار الفروج وبين استئجار بنات

---

(١) إعلاء السنن ٧٤/١١.

(٢) حاشية ابن القيم ١١٩/٦.

الزنا من أجل التمتع بهن ؟

ولو فرضنا أن الحد الأدنى لزواج المتعة شهر واحد كما يدعي بعضهم فمعناه أنه يمكن للمرأة أن يطأها اثنا عشر رجلاً في السنة الواحدة ، فأي مسلم عفيف شريف يرضى أن يتناوب على فرْج ابنته أو أخته أو أمه إثنا عشر رجلاً في كل سنة ؟

وكم يبلغ عدد المتناوبين عليها إن كان الحد الزمني أقل من ذلك بكثير ؟

هل يليق بها أن تقضي أوقاتها تنتقل بين أحضان الرجال واحداً بعد الآخر باسم شريعة محمد ؟

أين عفة المرأة وحياؤها وكرامتها التي أعطاها الإسلام إياها من هذه المتعة ؟ أليس هذا يتعارض مع قول النبي (ص) : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ... الخ) [(١)].

أقول : أولاً : من المعلوم أن نكاح المتعة نكاح إلى أجل ، فقد يكون لمدة دقائق أو بمقدار مضاجعة أو أكثر من ذلك ، هكذا أرادته الشريعة الإسلامية ، وهكذا أباحه النبي ﷺ لأصحابه بل لأمته ، ويجب على المتمتع بها العدة بعد انتهاء العلقة الزوجية بينها وبين من تمتع بها سواء كان انتهاؤها بانتهاء المدة أو كان بهبته المدة المتبقية لها ، وعدتها حيضتان كاملتان إذا كانت بالغة غير يائسة ، ومن لا تحيض لمرض أو نحوه فعدتها خمسة وأربعون يوماً ، وعدة الحامل المتمتع بها وضع حملها ، فليس الأمر كما يحاول أن يصوره الجنيد للقارئ في كلامه الموهم بأن المرأة المتمتع بها لا عدة عليها ، وبإمكانها الإنتقال مباشرة إلى آخر بعد إنتهاء مدة الرجل الأول ، فهو إمّا جاهل بأحكام هذا التشريع أو أنه مدلس مزوّر كذاب .

---

(١) حوار هادىء صفحة ٩٢-٩٣.

ثانياً : دعواه أنّه لا فرق بين نكاح المتعة واستئجار النساء للزنا –والعياذ بالله – باطلة وغير صحيحة بل تجرءٌ على الله ورسوله ، لأن نكاح المتعة مما أحله الله عزّ وجل ورسوله وقد أثبتنا ذلك بالأدلة العديدة من مصادر أهل السنة ، أما الزنا فهو مما حرّمه الله ورسوله ، فكيف يساوي الجنيد بين ما أحله الله ورسوله وبين ما حرّماه ؟ .

ونكاح المتعة لا يتحقق إلاّ من خلال عقد شرعي يتم فيه الإيجاب من قبل المرأة والقبول من قبل الرجل مع تحديد المدة والمهر ، فهو ليس كالزنا الذي يتم فيه الإتصال الجنسي بين الرجل والمرأة لمجرد التراضي بينهما بدون عقد .

ثالثاً : من المتفق عليه بين المسلمين جميعاً أن النبي ﷺ قد أذن لأصحابه في حياته بالتمتع من النساء فتمتع الكثير منهم بالكثير من النساء الصحابيات وغيرهن ، فهل أباح النبي ﷺ الزنا ؟ وهل أراد النبي ﷺ بذلك نزع عفة المرأة وحياءها منها وإمتهان كرامتها ؟! وهل بتحليله التمتع لأصحابه خالف ما بعث من أجله وهو إتمام مكارم الأخلاق ؟ ! إن الطعن على الشيعة في قولهم بحلية زواج المتعة بما طعن الجنيد به عليهم هو طعن في رسول الله ﷺ وطعن في المسلمين –ذكوراً وإناثاً –من صحابة وغيرهم ممن مارسوا هذا النوع من النكاح أو من قالوا بحليته وجوازه شرعاً .

رابعاً : إن المسألة على عكس ما أراد أن يصورها الجنيد فالإسلام بإباحته لهذا النوع من النكاح أراد صيانة المرأة وعفتها وكرامتها وتكريمها ، فبدل أن تعيش حالة الكبت لغريزتها فتتعرض للضغوطات والعقد والأمرض النفسية أو تتجه والعياذ بالله إلى إشباعها من الطرق الغير شرعية حين لا تجد من يتزوجها من الرجال دواماً أو لا تتمكن من ذلك لأي سبب من الأسباب أوجد الإسلام لها السبيل الشرعي لإشباع غريزتها الجنسية وهو النكاح المنقطع (المتعة) .

خامساً: ما ذكره من تعاقب المرأة الواحدة في أحضان الرجال ناشىء من جهله بلزوم العدة عليها بالدخول بها، وإلاّ فهو يفتري، ومع عدم الدخول بها فالمرأة يمكن أن تتزوج آخر دون عدّة سواء في ذلك الدائم والمنقطع.

الفصل التاسع عشر
زعمه أن الشيعة ينسبون الجهل إلى الله لقولهم بالبداء

قال الجنيد في هامش صفحة ١١٤ من كتابه حوار هادئ معلقاً على عنوان « عقيدة البداء عند الشيعة » : (البداء كلمة تعني أن الله بدا — أي ظهر له — علم جديد لم يكن قد خطر له من قبل ، بمعنى حصل له علم جديد لم يكن يعلمه من قبل ، وقد اعتقده اليهود في الله عزّ وجل وهي فكرة خبيثة تنفي عن الله علمه السابق لكل شيء) .

وقال في أصل الصفحة : (إنّ الأكثرية الساحقة من أبناء الشيعة لا يعرفون معنى البداء غير أنّهم لم ينتبهوا إلى أنّهم قد يكررونها في اليوم عشرات المرات سيما عند مخاطبتهم الأئمة في قبورهم ...) [1] !

وقال : (ومما يدعو إلى الحسرة أنّ مشائخ الشيعة يحاولون بخجل التهرّب من هذه المسألة في حين أنّ أحداً منهم لم يأمر بإزالة هذه العبارة التي تقدح بالله وصفاته وتنسبه إلى الجهل وتنتقص من كمال إرادته وعلمه وحكمته ، التي يضاهئون بها مقولة اليهود ؛ وينفون عن الله بها ما يثبتونه للأئمة من العلم المطلق بالأشياء قبل حدثوها وقبل خلق الكون برمّته .

أليس من عجائب المفارقات أن ينفى هذا العلم المطلق عن الله ويلصق بالأئمة الذين

---

(١) حوار هادئ صفحة ١١٤ .

يعتقد الشيعة أنّ عندهم علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون)[1] !

أقول : القول بأنّ الشيعة ينسبون الجهل إلى الله عزّ وجل في قولهم بالبداء فرية على الشيعة افتراها عليهم أعداؤهم قديماً وحديثاً ، وممن يروّج لهذه الفرية في وقتنا الحاضر أشباه المتعلمين ممن ينتسبون إلى الفرقة الوهابية أو من يسمون أنفسهم بالسلفية ! وعبد الله بن سعيد الجنيد هذا واحد من هؤلاء ، حيث كرر كالببغاء ما قاله أسلافه وأصحابه ضد الشيعة الإمامية الإثني عشرية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام دون أن يرجع إلى كتب علماء الشيعة لمعرفة معنى البداء الذي يقولون به .

معنى البداء عند الشيعة الإمامية

إن معنى البداء عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية ليس بالمعنى الذي يقول به مناؤوهم من أنه بمعنى (الظهور بعد الخفاء) أو بمعنى (نشأة علم جديد) بل هو نسخ في التكوين لضرب من المصلحة تقتضيها حكمة الله عز وجل كالنسخ في التشريع يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **يَمْحو اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ** ﴾[2] .

وسيتضح معناه أكثر – إن شاء الله تعالى – عند سردنا لبعض أقوال علماء الشيعة حول معنى البداء .

نعم كيف يقول الشيعة بالبداء بالمعنى الذي يحاول أن يلصقه به خصومهم وهم يروون عن إمامهم الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قوله : (من زعم أن الله تعالى بدا له

---

(١) حوار هادئ صفحة ١١٦.

(٢) الرعد : ٣٩.

في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم) [١] .

وقوله عليه السلام : (من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابرؤوا منه) [٢] .

وقوله عليه السلام : (ما بدا لله في شيء إلاّ كان في علمه قبل أن يبدوا له) [٣] .

وقوله عليه السلام : (لكل أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه ، وليس شيء يبدو له إلاّ وقد كان في علمه ، إن الله لا يبدو له من جهل) [٤] .

من أقوال علماء الشيعة في معنى البداء

قال الشيخ الصدوق رحمه الله : (ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة تعالى الله عن ذلك ، ولكن يجب علينا أن نقر لله عز وجل بأن له البداء ، معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ، ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شئ ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ، ويعلم أن في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به ، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم ، فمن أقر لله عز وجل بأن له أن يفعل ما يشاء ويعدم ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ، ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويأمر بما يشاء كيف شاء فقد أقر بالبداء .

---

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ٨٩/٦، بحار الأنوار ١٢٥/٤

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ٦٩ ، موسوعة الإمام الصادق ٣٥١/٤ ، بحار الأنوار ١١١/٤ .

(٣) الكافي ١٤٨/١ .

(٤) موسوعة الإمام الصادق ٣٤٧/٤ ، تفسير العياشي ٢١٨/٢ ، البحار ١٢١/٤

وما عُظم الله عز وجل بشيء أفضل من الإقرار بأنه له الخلق والأمر ، والتقديم والتأخير وإثبات ما لم يكن ومحو ما قد كان .

والبداء هو رد على اليهود لأنهم قالوا : إن الله قد فرغ من الأمر ، فقلنا : إن الله كل يوم في شأن ، يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء ، والبداء ليس بداء ندامة ، وهو إنما هو ظهور أمر يقول العرب : بدا لي شخص في طريقي أي ظهر ، قال الله عز وجل : ﴿ **وبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكونوا يَحْتَسِبونَ** ﴾ أي ظهر لهم ، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد الله في عمره ، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره ، ومتى ظهر له من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه وعمره ، ومتى ظهر له منه التعفف عن الزنا زاد في رزقه وعمره)[1] .

وقال الشيخ الطوسي قدس سره : (البداء حقيقة في اللغة هو الظهور ، ولذلك يقال : بدا لنا سور المدينة ، وبدا لنا وجه الرأي ، وقال الله تعالى : ﴿ **وبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلوا** ﴾ ويراد بذلك كله ظهر .

وقد يستعمل ذلك في العلم بالشيء بعد أن لم يكن حاصلا وكذلك في الظن ، فأما إذا أضيفت هذه اللفظة إلى الله تعالى فمنه ما يجوز إطلاقه عليه ، ومنه ما لا يجوز ، فأما ما يجوز من ذلك فهو ما أفاد النسخ بعينه ، ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسع وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصادقين عليهما السلام من الأخبار المتضمنة لإضافة البداء إلى الله تعالى دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن ، ويكون وجه إطلاق ذلك فيه تعالى والتشبيه هو أنه إذا كان ما يدل على النسخ يظهر به

---

(١) التوحيد ٣٣٥ – ٣٣٦.

للمكلفين ما لم يكن ظاهرا لهم ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلا لهم ، أطلق على ذلك لفظ البداء)[1].

وقال الشيخ المفيد عليه الرحمة : (قول الإمامية في البداء طريقه السمع دون العقل ، وقد جاءت الأخبار به عن أئمة الهدى عليهم السلام ، والأصل في البداء هو الظهور . قال تعالى: ﴿ وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكونوا يَحْتَسِبونَ ﴾ يعني به ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسبانهم وتقديرهم . وقال :﴿ وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبوا وَحاقَ بِهِمْ ﴾ يعني ظهر لهم جزاء كسبهم وبان لهم ذلك ، وتقول العرب : قد بدا لفلان عمل حسن ، وبان له كلام فصيح ، كما يقولون : بدا من فلان كذا ، فيجعلون اللام قائمة مقامه ، فالمعنى في قول الإمامية : بدا لله في كذا ، أي ظهر فيه ، ومعنى ظهر فيه أي ظهر منه ، وليس المراد منه تعقب الرأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه ، وجميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه بعد أن لم تكن فهي معلومة فيما لم يزل ، وإنما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره ولا في غالب الظن وقوعه ، فأما ما علم كونه وغلب في الظن حصوله فلا يستعمل فيه لفظ البداء ...

وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ ﴾ فتبين أن الآجال على ضربين : ضرب منها مشترط يصح فيه الزيادة والنقصان .

ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّر وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِه إلاّ في كِتاب﴾ « فاطر : ١١ » وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنوا واتَّقَوْا

---

(١) عن تعليقة البحار ١٢٥/٤ ناقلاً عن كتاب العدة .

لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ ﴾ « الأعراف : ٩٦ » فبين أن آجالهم كانت مشروطة في الامتداد بالبر ، والانقطاع بالفسوق ، وقال تعالى فيما أخبر به عن نوح عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿ اسْتَغْفِروا ربَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غفَّاراً * يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ﴾ إلى آخر الآيات .

فاشترط لهم في مد الأجل وسبوغ النعم ، الاستغفار ، فلما لم يفعلوا قطع آجالهم وبتر أعمارهم ، واستأصلهم بالعذاب .

فالبداء من الله يختص ما كان مشتركا في التقدير ، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة ، ولا تعقب الرأي تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا) [١] .

وقال العلامة المجلسي عليه الرحمة : (ثم اعلم أن الآيات والأخبار تدل على أن الله خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات ، أحدهما : اللوح المحفوظ الذي لا تغيّر فيه أصلا ، وهو مطابق لعلمه تعالى ، والآخر : لوح المحو والإثبات ، فيثبت فيه شيئاً ثم يمحوه ولحكم كثيرة لا تخفى على أولي الألباب ، مثلا يكتب فيه أن عمر زيد خمسون سنة ، ومعناه أن مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضي طوله أو قصره ، فإذا وصل الرحم مثلا يمحى الخمسون ويكتب مكانه ستون ، وإذا قطعها يكتب مكانه أربعون ، وفي اللوح المحفوظ أنه يصل عمره ستون ، كما أن الطبيب الحاذق إذا اطلع على مزاج شخص يحكم بأن عمره بحسب المزاج ستين سنة ، فإذا شرب سما ومات ، أو قتله إنسان فنقص ذلك من عمره أو استعمل دواء قوي مزاجه به فزاد عليه لم يخالف قول الطبيب ، والتغيير الواقع في هذا اللوح مسمى بالبداء) [٢] .

---

(١) عن تعليقة البحار ١٢٦/٤ ناقلاً عن كتاب تصحيح الاعتقاد .

(٢) بحار الأنوار ١٣٠/٤ .

وقال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء : (وأما البداء الذي تقول به الشيعة ... فهو عبارة عن إظهار الله جل شأنه أمرا يرسم في ألواح المحو والإثبات وربما يطلع عليه بعض الملائكة المقربين أو أحد الأنبياء والمرسلين فيخبر الملك به النبي والنبي يخبر به أمته ، لم يقع بعد ذلك لأنه محاه وأوجد في الخارج غيره ، وكل ذلك جلت عظمته يعلمه حق العلم ولكن في علمه المخزون المصون الذي لم يطلع عليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ممتحن ، وهذا المقام من العلم هو المعبر عنه في القرآن الكريم بـ(أم الكتاب) المشار إليه وإلى المقام الأول بقوله : ﴿ يَمْحو اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكتابِ ﴾ ...)[1] .

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي رحمه الله في مجمع البحرين باب (بدا) : (بدا له في الأمر إذا ظهر له استصواب شيء غير الأول ، والإسم منه البداء –كسلام –وهو بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى كما جاءت به الرواية عنهم عليهم السلام بأن الله لم يبدُ له من جهل. وقد تكثرت الأحاديث من الفريقين في البداء مثل ما عظّم الله بمثل البداء ، وقوله: ما بعث الله نبيّاً حتى يقر له بالبداء أي يقر له بقضاء مجدد في كل يوم بحسب مصالح العباد لم يكن ظاهراً عندهم ، وكأن الإقرار عليهم بذلك للرد على من زعم أنه تعالى فرغ من الأمر وهم اليهود . وفي الخبر : الأقرع والأبرص والأعمى بدا الله عزّ وجل أن يبتليهم ، أي قضى بذلك وهو معنى البداء هاهنا لأن القضاء سابق ومثله في اليهود « بدا لله أن يبتليهم » أي ظهر له إرادة وقضاء مجدّداً بذلك عند المخلوقين . وفي حديث الصادق عليه السلام « ما بدا الله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني » يعني ما ظهر له سبحانه أمر في شيء كما ظهر له في إسماعيل ابني ، إذ اخترمه قبلي ليُعلم أنه ليس بإمام بعدي ؛

(١) أصل الشيعة وأصولها ٢٦٣

كذا قرره الصدوق)[١] .

هذه نماذج من أقوال جمع من أساطين علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية في معنى البداء الذي تعتقد وتؤمن به الشيعة ، وليس في قول واحد منهم ما يظهر منه نسبة الجهل إلى الله عز وجل .

إن القول بأن الشيعة ينسبون الجهل إلى الله عز وجل تكذبه الروايات التي رواها ثقاة الشيعة والأجلاء من رواتهم وعلمائهم عن الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام ، فهم يروون عن أئمتهم الكثير من الروايات التي هي صريحة في تنزيه الله سبحانه وتعالى عن أي جهل ، والتي تثبت أن علمه تعالى مطلق ، وأنه عالم بما كان وما يكون ولا منتهى لعلمه وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وهذه نماذج من رواياتهم في هذا المجال : -

من روايات الشيعة في نفي الجهل عن الخالق سبحانه وتعالى

روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن منصور بن حازم أنه قال : (قلت له - أي الإمام الصادق عليه السلام - : أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله ؟

قال : فقال : بلى ، قبل أن يخلق السماوات والأرض)[٢] .

وروى أيضاً بسنده عن منصور بن حازم قال : (سألته - أي الإمام الصادق عليه السلام - هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عز وجل ؟ !

قال : لا ، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والأرض)[٣] .

---

(١) مجمع البحرين ١/٤٥-٤٦.

(٢) التوحيد : ١٣٥ .

(٣) التوحيد : ١٣٥ - ١٣٦ .

وروى بسنده عن عبد الله بن مسكان قال : (سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عندما خلقه وبعد ما خلقه ؟ فقال : تعالى الله ، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعدما كوّنه ، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان)[١] .

وروى أيضاً بسنده عن منصور الصقيل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (إن الله علم لا جهل فيه ، وحياة لا موت فيه ، نور لا ظلمة فيه)[٢] .

وفي رواية ينقلها السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان أن الإمام الصادق عليه السلام قال : (إن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء وعنده أم الكتاب ، وقال : كل أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه ، وليس شيء يبدو له إلا كان في علمه ، إن الله لا يبدو له من جهل)[٣] .

ويكذبه أيضاً أقوال علماء الشيعة الصريحة في إثبات العلم المطلق له سبحانه وتعالى والنافية لكل جهل عنه عز وجل .

أقوال علماء الشيعة في علم الله ونفي الجهل عنه

قال الشيخ المفيد رحمه الله : (إن الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه وأنه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه ، ولا معلوم وممكن أن يكون معلوماً إلا وهو عالم بحقيقته وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وبهذا اقتضت

---

(١) التوحيد : ١٣٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الميزان في تفسير القرآن ١١/٣٨٣ – ٣٨٤ .

دلائل العقول والكتاب المسطور، والأخبار المتواترة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو مذهب جميع الإمامية) [1].

وقال الشيخ الطوسي قدس سره : (... وأنه تعالى عالم، بمعنى أن الأشياء واضحة له حاضرة عنه غير غائبة عنه، بدليل أنه فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكل من كان كذلك فهو عالم بالضرورة) [2].

وقال المقداد السّيوري : (الباري تعالى عالم بكل ما يصح أن يكون معلوما، واجباً كان أو ممكناً، قديماً أو حادثاً) [3].

وقال السيد عبد الله شبّر : (ويكفي في ثبوت علمه تعالى الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة ... أن الله تعالى عالم يعلم الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها لا يخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى، ما تكن الصدور ولا يجهل شيئا) [4].

وقال السيد محسن الأمين العاملي : (وعلمه تعالى محيط بجميع الأشياء إحاطة تامة جزئياتها وكلياتها لا يمكن أن يخفى عليه شيء) [5].

وقال السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله : (وقد اتفقت كلمة الشيعة الإمامية على أن الله تعالى لم يزل عالما قبل أن يخلق الخلق بشتى أنواعه بمقتضى حكم العقل الفطري وطبقا للكتاب والسنة) [6].

---

(١) أوائل المقالات : ٦٠.

(٢) الرسائل العشر، المقالة السادسة : ٩٤.

(٣) النافع يوم الحشر : ١٣.

(٤) حق اليقين ٦٣/١.

(٥) نقض الوشيعة ٥١٥.

(٦) محاضرات في أصول الفقه (الفياض) ٣٣٣/٥.

وقال الشيخ جعفر السبحاني : (اتفقت الإمامية تبعا لنصوص الكتاب والسنة والبراهين العقلية على أنه سبحانه عالم بالأشياء والحوادث كلها غابرها وحاضرها ومستقبلها كليها وجزئيها لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض) [١] .

وقال السيد محمد علي الحسيني العاملي : (يجب الاعتقاد بأن الله عز وجل عالم بجميع الأشياء كبيرها وصغيرها الجزئية منها حتى الذرة وكليها ، محيط بها إحاطة حقيقية واقعية يعلم خطرات القلوب ولحظات العيون ، ويعلم بكل حركة يتحركها حيوان في الأرض والسماء والبحار والأنهار ، ويعلم عدد الرمل والحصى ، ومحيط بأعضاء كل حيوان البعوضة منها وغيرها حتى الحيوانات التي لا ترى بالعين المجردة ، ويعلم بموتها وحياتها ، ونفعها وضرها وأعمارها وأرزاقها ، ويعلم بما هو موجود في الحال وما يصدر عنه في المستقبل ومحيط بكل ما خلقه من سماوات وأرض وجبال وأودية ، وكواكب وبحار وأنهار وما فيهن وما بينهن والأشجار والثمار وغيرها .

قال الله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلا هُوَ وَيَعْلَمُ ما في الْبَرِّ والْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُها ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلا في كِتابٍ مُبِينٍ ﴾ « الأنعام : ٥٩ » ، وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ ﴾ « الرعد : ٨ » ، وقال عز شأنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَئٍ عَلِيمٌ ﴾ « الأنفال : ٧٥ » وقال جلت عظمته : ﴿ يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ « غافر : ١٩ » وغيرها من الآيات الكثيرة) [٢] .

---

(١) الإلهيات : ٥٦٦.

(٢) دراسات في عقائد الشيعة الإمامية صفحة ٤٥- ٤٦.

فهذا غيض من فيض من أقوال علماء الشيعة في علم الله سبحانه وتعالى ، وكما هو واضح من هذه الأقوال ؛ أن الشيعة ينزهون الله عز وجل عن الجهل بل ويؤكدون على أن علمه سبحانه مطلق لا تخفى عليه خافية صغيرة ولا كبيرة في غابر الزمان وحاضره ومستقبله .

ويكذبه الكثير من عبارات الأدعية التي يلهج بها الشيعة عقيب صلواتهم ، وأثناء ممارستهم للدعاء والمناجاة لله عز وجل في ساعات الليل والنهار . ففي بعض الأدعية عبارات واضحة الدلالة في تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل جهل ، وأن علمه غير محدود ، وأنه عالم بكل ما يمكن أن يكون معلوما .

ففي دعاء الصباح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو الدعاء الذي يدعو به الكثير من الشيعة يوميّاً عقيب صلاة الصبح .. يقول أمير المؤمنين عليه السلام : (... يا من قرب من خطرات الظنون ، وبعد عن لحظات العيون ، وعلم بما كان قبل أن يكون ...) .

وفي الدعاء المعروف بدعاء (كميل) وهو الدعاء الذي علمه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لتلميذه « كميل بن زياد النخعي » ويدعو الشيعة بهذا الدعاء في كل ليلة جمعة ، يمارسونه فرادى أو جماعات ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : (اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وخضع لها كل شيء ، وذل لها كل شيء ، وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء ، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء ، وبعظمتك التي ملأت أركان كل شيء ، وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء) .

وفي الدعاء المروي عن الإمام الباقر عليه السلام وهو من الأدعية التي يدعى بها في ليلة النصف من شعبان : (يا من إليه ملجأ العباد في المهمات ، وإليه يفزع الخلق في الملمات

يا عالم الجهر والخفيات ، يا من لا يخفى عليه خواطر الأوهام وتصرف الخطرات ، بارئ الخلائق والبريات ...) .

ومن كل ذلك يظهر لنا زيف ما رمى به هؤلاء الجهلة الأفاكون الشيعة من أنهم ينسبون الجهل إليه سبحانه لقولهم بالبداء .

نعم إن هؤلاء القوم يفسرون « البداء » بمعنى مخالف للمعنى الذي تقول به الشيعة ، يفسرونه عمداً بمعنى فيه نسبة الجهل إلى الله عز وجل - تعالى الله عن ذلك - ويتهمون الشيعة ويفترون عليهم بأنهم ينسبون الجهل إلى الله ومن ثم يضللون الشيعة ويفسقونهم ويشتمونهم بل ويكفرونهم ، يدفعهم لكل ذلك الكراهية والبغضاء والحقد الدفين المكنون في صدورهم ضد أتباع عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مع أن الشيعة براء من كل ما ينسبه لهم هؤلاء الجهلة المتعصبون .

أهل السنة يقولون بالبداء

إن هؤلاء الذين يشنعون على الشيعة الإمامية الإثني عشرية لقولهم بالبداء كأنهم قد خفي عليهم أن أهل السنة يقولون بالبداء وأنّ هذا اللفظ ورد في أحد أحاديث صحيح البخاري وبالمعنى الذي تقول به الشيعة وإن كانوا لا يصرحون بذلك .

ففي صحيح البخاري ٢٥٩/٢ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -في قصة طويلة نأخذ منها موضع الشاهد - قال : (بدا لله ... الخ) فالرسول نسب (البداء) وبالمعنى الذي تقول به الشيعة إلى الله عز وجل .. فهل سيرد هؤلاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! أليس البداء عقيدة إسلامية وفي انتقادها انتقاد لعقيدة من عقائد الدين الإسلامي ؟

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية الكريمة : ﴿ يَمْحو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ ﴾

فقال رسول الله (ص) : (لأقرّن عينيك بتفسيرها ، ولأقرّن عين أمتي بتفسيرها ، الصدقة على وجهها ، وبر الوالدين ، واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة ، ويزيد في العمر ، ويقي مصارع السوء) [1] .

أرأيت أيها القارئ المنصف كيف أنّ الجنيد كذب على الشيعة وافترى عليهم ونسب إليهم ما هم منه براء ؟ أرأيت يا عبد الله الجنيد كيف أنّك كنت مجانباً للحق في رميك الشيعة بنسبة الجهل إلى الله لقولهم بالبداء ؟

حقاً لقد أردت أن تفضح فافتضحت .

فلماذا الكذب والإفتراء على الآخرين ؟!

فهل أردت بهذا الكذب والإفتراء وجه الله ؟!

وهل وجه الله يطلب من هذا الطريق ؟!

فهلاّ تبت إلى الله من ذلك ؟!

أيها الجنيد إن كنت تعلم أنّ الشيعة لا يقولون بالبداء بالمعنى الذي نسبته إليهم ولكنك رميتهم بذلك بغية التشهير بهم فلقد احتملت وزراً عظيماً ، وخالفت قولك في مقدمة كتابك : (إنّني أوجه هذه الرسالة بعيداً عن الأهواء والعصبيات والتقليد الأعمى للآباء والأمهات أبتغي بها وجه الله تعالى وتبيين الحق للجميع بعيداً عن التّحيّز والإنجرار وراء العواطف ...) وهذه مصيبة كبرى عليك ، وإن كنت لا تعلم بأنهم يقولون بذلك وإنما أخذت ذلك من أفواه وكلمات وكتابات غيرهم من أعدائهم ونسبته إليهم دون الرجوع إلى أقوال علمائهم أو كتب العقيدة عندهم ودون أن تتحقق من صحة ما نسب إليهم فالمصيبة عليك أعظم ، لأن من وضع نفسه في مثل الموضع الذي وضعتها أنت

---

(١) كنز العمال ٢٥١/١ .

فيه - بجعلك نفسك ناقداً لعقائد الآخرين - فاللازم عليه أولاً وقبل كل شيء أن يتأكد من صحة أو عدم صحة ما نسب من عقيدة إلى هذه الفرقة أو تلك ، ويتأكد من ذلك بالرجوع إلى ما كتبه علماء الفرقة بالرجوع إلى كتب العقيدة لديها ، ومن ثم له الحق في أن ينتقد ما شاء من عقائدها وأن ينتهج في كل ذلك منهجاً علمياً بعيداً عن التعصب والأهواء أما قبل ذلك فلا .

وشهد شاهد من أهله

ولا بأس بنقل كلام للدكتور أحمد علي السالوس من كتابه (مع الشيعة الإثني عشرية في ألأصول والفروع) ، وهو من أتباع نفس الفرقة التي ينتمي إليها صاحبنا الجنيد ، وهو وإن كان لا يفترق عنه من حيث موقفه العدائي للشيعة الإمامية الإثني عشرية إلاّ أنّه أنصف الشيعة في كونهم لا ينسبون الجهل إلى الله سبحانه وتعالى في قولهم بالبداء ، وصرّح بأنهم يؤمنون بأنّ علمه سبحانه وتعالى محيط بكل شيء حيث قال بعد أن أشار إلى المعنى اللغوي للفظة البداء : (... ولكنني أرى أنّهم - يقصد الشيعة الإمامية الإثني عشرية - لا يقصدون على الإطلاق نسبة الجهل إلى الله سبحانه ، فهم يرون أن الله عز وجل يحيط علمه بكل شيء ، وأنّ اللوح المحفوظ المشار إليه بأم الكتاب فيه كل ما كان وما يكون ، وذكر لما يثبت وما يمحى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ فالمحو والإثبات ليس في أم الكتاب ، فنقوشه محفوظة مستمرة .

وقد جاء في باب البداء من كتاب الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال : (ما بدا لله في شيء إلاّ كان في علمه قبل أن يبدو شيء له) وقال : (إن الله لم يبد له من جهل) . وسئل : هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس ؟ قال : قال : لا ، من

قال هذا فأخزاه الله ، قيل : أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال : بلى قبل أن يخلق الخلق [١] .

يقول الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء : « البداء وإن كان جوهر معناه هو ظهور الشيء بعد خفائه ، ولكن ليس المراد به هنا ظهور الشيء لله جل شأنه بعد خفائه عنه ، معاذ الله ، وأي ذي حريجة ومسكة يقول بهذه المعضلة ؟ بل المراد ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم ، وقولنا (بدا لله) أي بدا حكم لله ، أو شأن لله » .

فالبداء بهذا التفسير لا يتعارض وعلم الله التام بكل شيء ، وظهور أحكام لله كانت خافية علينا شيء يسلم به كل المسلمين ، وقد نسب البداء إلى الله سبحانه وتعالى في حديث شريف ورد في صحيح البخاري ، فقد روى عن أبي هريرة (رض) أنّه سمع رسول الله (ص) يقول : « إن ثلاثة في بني إسرائيل ، أبرص وأقرع وأعمى ، بدا لله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص ... » إلى آخر الحديث الشريف) [٢] .

فهذا السالوس ينفي أن يكون الشيعة في قولهم بالبداء ينسبون الجهل إلى البارئ عز وجل ويصرّح بأن البداء بالمعنى الذي يقولون به مسلم به عند كل المسلمين ، وعليه فهل يتوقف القوم بعد أن تبين لهم الحق في هذه المسألة عند هذا الحد ولن نجد لكتابهم وعلمائهم من يفتري مرة أخرى على الشيعة بمثل هذا الإفتراء ، أو أنهم لن يتوقفوا عن ذلك وسيستمرون في إفترائهم هذا وتدليسهم على القراء والبسطاء من الناس

---

(١) أقول : علق الدكتور السالوس في هامش الصفحة على هذه الروايات بقوله : « عقب أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله على نسبة مثل هذه الأخبار إلى الإمام الصادق بقوله : (إن هذه الأخبار في مجموعها تدل على أن البداء في نظر الصادق هو أن يظهر للناس ما أكنه الله تعالى في علمه ، وذلك لا ينافي علم الله تعالى » .

(٢) مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع ٣١٣/١ — ٣١٤.

وستظهر لنا بين الفينة والأخرى كتابات ضد الشيعة الإمامية الإثني عشرية لا تخلو من مثل هذه الأكاذيب ؟!

قال الجنيد : (إنّ الأكثرية الساحقة من أبناء الشيعة لا يعرفون معنى البداء غير أنّهم لم ينتبهوا إلى أنّهم قد يكررونها في اليوم عشرات المرات لا سيما عند مخاطبتهم الأئمة في قبورهم ، يقولون عند قبر الإمام : « السلام عليكما يا من بدا لله فيكما » ، وذلك عندما يدخلون إلى مرقد الإمامين علي التقي الإمام العاشر والحسن العسكري الإمام الحادي عشر ، ويتلون هذه العبارة من كتب الأذكار التي تتلى عادة عند زيارة مراقد الأئمة)[1].

أقول : إنّ كلّ الشيعة الإمامية الإثني عشرية لا يعرفون البداء بالمعنى الذي يقول به خصومهم ، والذي يفسرونه بمعنى فيه نسبة الجهل إلى الله عزّ وجل ، فالشيعة عقيدتهم في علم الله أنّه مطلق ، فكل معلوم في حاضر الزمان وغابره ومستقبله يعلمه سبحانه ، أما البداء بالمعنى الوارد في كتاب الله عزّ وجل وقول نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام والذي معناه الإظهار بعد الإخفاء فهم يعرفونه حق المعرفة ويؤمنون به حق الإيمان ، وفيما نقلناه من كلمات الأئمة والعلماء ما يكفي لمن كان منصفاً .

وأما قوله أنّ الشيعة يقولون أثناء زيارتهما للإمامين الهادي والعسكري : (السلام عليكما يا من بدا لله فيكما) فجوابه :-

أولاً : إنّ الزيارة المذكورة ليس لها سندٌ أصلاً فلا يعلم صحة صدورها عن المعصوم عليه السلام ، فكل من ذكرها لم يذكر لها سنداً ، وذكرها صاحب كامل الزيارات صفحة ٥٢٠ رواية رقم (٨٠٢) مرسلة فقال : (روي عن بعضهم أنّه قال : ...) وذكر الزيارة المذكورة ، وفيه : (يا من بدا لله في شأنكما ...) كما نقل هذه الزيارة غير واحد

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٠٧ .

من العلماء وليس فيها عبارة : (السلام عليكما يا من بدا الله فيكما) .

ثانياً : إنّ الشيعي الذي يقرأ هذه العبارة قطعاً لا يريد بالبداء المعنى الذي ينسبه المفترون على الشيعة إليهم ، فالعامي الشيعي — فضلاً عن العالم — يعلم بأنّ علم الله سبحانه مطلق لا يتطرق إلى ذاته جهل قط ، وإنما يريد بالبداء معنى إظهار الله عزّ وجل أمراً من أمور وشؤون الإمامين المذكورين كان خافياً عن الناس وغير معلوم لديهم .

قال الجنيد : (أما سبب تسرّب فكرة البداء إلى المذهب الشيعي فإنّ ذلك عائد إلى أنّ الإمامة حسب التسلسل الموجود عند الشيعة تنتقل من الأب إلى الإبن الأكبر ، غير أنّه لمّا مات « إسماعيل » الإبن الأكبر للإمام جعفر الصادق في حياة أبيه ، انتقلت من بعده إلى موسى بن جعفر ابنه الأصغر ، وهذا التغيير في مسار الإمامة التي هي منصب إلهي يسمّى « بداء » حصل لله .

فانتقلت الإمامة بموجبه من إسماعيل إلى موسى بن جعفر ولم تأخذ طريقها الطبيعي الذي هو انتقال الإمامة من الأب إلى الإبن الأكبر .

وبما أنّ منصب الإمامة أمر إلهي لا شورى فيه بين الناس — عند الشيعة — فقد نسبوا هذا التغيير إلى الله عزّ وجل ، وقالوا : بدا لله بذلك حكم يختلف عن الحكم الأول ، ومن هنا حدث الشقاق بين فرق الشيعة ، أدّى إلى نشوء الفرقة الإسماعيلية ...) [١] .

أقول : إنّ الجنيد يهرف بما لا يعرف ، وينسب للشيعة أموراً لا يقولون بها ، فلا يوجد عالم من علماء الشيعة يقول بأنّ الإمامة تنتقل من الأب للإبن الأكبر ، فالشيعة يقولون بإمامة الإمام الحسين عليه السلام بعد الإمام الحسن عليه السلام وهو أخوه وليس ابنه الأكبر ،

---

(١) حوار هادئ ١٠٧ — ١٠٨ .

ويقولون بإمامة الإمام علي بن الحسين زين العابدين وهو ليس الابن الأكبر للإمام الحسين عليه السلام فللحسين ابن آخر يسمى علي أكبر من أخيه الإمام زين العابدين عليه السلام وقد قتل مع أبيه الحسين عليه السلام بكربلاء ، فلو كان هذا المبدأ –وهو أنّ الإمامة لا بد وأن تنتقل من الإب إلى الإبن الأكبر –موجوداً عند الشيعة ويقولون به ، وكان الهدف من قولهم بالبداء ما ذكره لقالوا بالبداء قبل زمان الإمام الصادق ، في زمان الإمام الحسين عليه السلام أو زمان الإمام زين العابدين عليه السلام .

ثم إن الإمامة ليست مورداً للبداء ، يقول الشيخ المفيد رحمه الله : (... وأمّا الإمامة فإنه لا يوصف الله فيه بالبداء ، وعلى ذلك إجماع فقهاء الإمامية ، ومعهم فيه أثر عنهم عليهم السلام أنهم قالوا : « مهما بدا الله في شيء فلا يبدو له في نقل نبي عن نبوّته ولا إمام عن إمامته ، ولا مؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه ...) [1] .

---

(١) الفصول المختارة صفحة ٣٠٩.

الفصل العشرون
الشيعة والتقية
تشنيع الجنيد على الشيعة لقولهم بالتقية

قال الجنيد تحت عنوان « مفهوم التقية عند الشيعة » : (أما الشيعة فإنهم يجيزون استخدام التقية في السراء والضراء معاً ومع المؤمن والكافر سواءً بسواء حتى جعلوها ركناً من أركان مذهبهم وعزيمةً لا رخصة يستخدمونها في حالات الاضطرار وحالات اللا إضطرار وهم لا يستعملونها خوفاً على النفس من الهلاك وإنما حفاظاً على المذهب من الاندراس .

ومن ينكر التقية من شيعتهم يكون في نظرهم منكراً لمذهبهم ودينهم كله .

قال شيخ الشيعة القمي في كتاب الاعتقادات المسمى دين الإمامية ما يلي : « والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم [الإمام الغائب] فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة) [١] .

وقال : (إذن فقد صارت التقية عند الشيعة ركناً وعبادة يتقربون بها إلى الله وهذا ما لا يقره دين من الأديان على اختلاف أجناسها وأنواعها فإنه ما من دين نصراني أو مجوسي أو وثني إلاّ والكذب قبيح عنده يذمه وينهى عنه ويأمر بالصدق والفضيلة) [٢] .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٩٧-٩٨.

(٢) حوار هادئ صفحة ٩٨-٩٩.

معنى التقية عند الشيعة

أقول : إن معنى التقية عند الشيعة الإمامية ليس كما ذكره هذا المفتري من أنها الكذب ولا النّفاق كما ذكره غيره ، فمعنى التقية خلاف ذلك تماماً يقول أحد أعاظم علماء الشيعة المرحوم الشيخ الأنصاري رحمه الله في معنى التقية : (التقية إسم لاتقى يتّقي والتاء بدل عن الواو كما في التهمة أو التخمة ، والمراد هنا : التحفّظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق)[1] .

ومفهومها في الكتاب والسّنة هو : إظهار الكفر وإبطان الإيمان ، أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحق ، فهي تقابل النفاق حسب مفهومها هذا كتقابل الإيمان والكفر ، فإنّ النّفاق ضدّها ، فهو عبارة عن إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، والتظاهر بالحق وإخفاء الباطل ، ومع وجود هذا التباين بينهما فإنه لا يصح أن تعدّ التقية من قسم النفاق وفروعه .

أدلة مشروعية التقية

والتقية من المفاهيم الإسلامية التي شرّعها الله سبحانه وتعالى بنص القرآن الكريم ففي القرآن الكريم مجموعة من الآيات الدّالة عن مشروعيتها منها : -

(١) قوله تعالى : ﴿ **لا يَتَّخذ الْمُؤْمنونَ الْكافرينَ أَوْلياءَ منْ دون الْمُؤْمنينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلكَ فَلَيْسَ منَ اللَّه في شَيء إلاَّ أَنْ تَتَّقوا منْهُمْ تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإلى اللَّه الْمَصيرُ** ﴾ « آل عمران : ٢٨ » .

فهذه الآية ظاهرة في تشريع التقية وبذلك فسّرها علماء المسلمين سنّة وشيعة ، قال

---

(١) التقية : ص ٣٧.

جار الله محمود بن عمر الزّمخشري : (... ﴿ إِلاّ أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاةً ﴾ رخصّ لهم في موالاتهم إذا خافوهم ، والمراد بتلك الموالاة : مخالفة ومعاشرة ظاهرة ، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع) [١] .

وقال أبو البركات النسفي : (... ﴿ إِلاّ أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاةً ﴾ إلاّ أن تخافوا جهتهم أمراً يجب اتقاؤه أي إلاّ يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة) [٢] .

وقال محمود الألوسي : (وفي الآية دليل على مشروعية التقية وعرّفوها بمحافظة النفس أو العرض أو المال من شرّ الأعداء ، والعدو قسمان : الأوّل : من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدّين ، كالكافر والمسلم . الثاني : من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية كالمال والمتاع والملك والإمارة) [٣] .

وقال جمال الدّين القاسمي : (ومن هذه الآية ﴿ إِلاّ أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاةً ﴾ استنبط الأئمة مشروعية التقية عند الخوف ، وقد نقل الإجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى اليماني في كتابه إيثار الحق على الخلق) [٤] .

وقال المراغي : (... ﴿ إِلاّ أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاةً ﴾ أي ترك موالاة المؤمنين للكافرين حتم لازم في كل حال إلاّ في حال الخوف من شيء تتقونه منهم ، فلكم حينئذ أن تتقوهم بقدر ما يبقى ذلك الشيء ، إذ القاعدة الشرعية إنّ درء المفاسد مقدم

---

(١) الكشّاف ٤٢٢/١.

(٢) تفسير النسفي المطبوع بهامش تفسير الخازن ٢٧٧/١.

(٣) روح المعاني ١٢١/٣.

(٤) محاسن التأويل ٨٢/٤.

على جلب المصالح وإذا جازت موالاتهم اتقاء الضرر فأولى أن تجوز لمنفعة المسلمين إذاً فلا مانع من أن تحالف دولة إسلامية دولة غير مسلمة لفائدة تعود إلى الأولى إمّا بدفع ضرر أو جلب منفعة وليس لها أن تواليها في شيء يضر المسلمين ولا تختص هذه الموالاة بحال الضعيف فهي جائزة في كل وقت. وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقية بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحق لأجل التوقّي من ضرر يعود من الأعداء إلى النفس أو العرض أو المال فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً وقاية لنفسه من الهلاك، وقلبه مطمئن بالإيمان لا يكون كافراً بل يعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً وقلبه مطمئن بالإيمان وفيه نزلت الآية: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إيمانه إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بالأيمان ﴾)[1].

وقال أبو حيّان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ج ٢ ص ٤٢٤: (وقد تكلّم المفسرون هنا في التقية إذْ لها تعلق بالآية فقالوا: أمّا الموالاة بالقلب فلا خلاف بين المسلمين في تحريمها وكذلك الموالاة بالقول والفعل من غير تقية، ونصوص القرآن والسّنة تدل على ذلك، والنظر في التقية يكون فيمن يتّقى منه، وفيما يبيحها، وبأي شيء تكون من الأقوال والأفعال، فأمّا من يتّقى منه: فكل قادر غالب يكره تجوز منه، فيدخل في ذلك الكفار وجورة الرؤساء، والسّلابة، وأهل الجاه في الحواضر، وأمّا ما يبيحها: فالقتل والخوف على الجوارح والضرب بالسوط والوعيد وعداوة أهل الجاه الجورة. وأمّا بأي شيء تكون؟ من الأقوال فبالكفر فما دونه من بيع وهبة وغير ذلك، وأمّا من الأفعال فكل محرّم، وقال مسروق: إن لم يفعل حتى مات دخل النار، وهذا شاذ).

---

(١) تفسير المراغي ١٣٦/٣.

وقال ابن كثير الدّمشقي في تفسير الآيـة : (﴿ إلاّ أَنْ تَتَّقوا منْهُمْ تُقـاةً ﴾ أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرّهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيّتـه . كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنّه قال : إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم)[1] .

واستدل الفقيه السرخسي على جواز التقية بهذه الآية ... ثم قال : (وقد كان بعض الناس يأبى ذلك ويقول أنّه من النفاق ، والصحيح أن ذلك جائز لقوله تعالى : ﴿ إلاّ أَنْ تَتَّقوا منْهُمْ تُقاةً) وإجراء كلمة الشرك على اللسان مكرهاً مع طمأنينة القلب بالإيمان من باب التقية ﴾[2] .

٢- قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ باللّه منْ بَعْد إيمانه إلاّ مَنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـه مُطْمَـئنٌ بالأيمانِ وَلَكنْ مَـنْ شَرَحَ بالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ منَ اللّـه وَلَهُـمْ عَـذابٌ عَظيمٌ ﴾ « النحل الآية ١٠٦ » .

وهذه الآية الكريمة صريحة في جواز استخدام التقية وأنها تشريع إلهي قال ابن كثير الدّمشقي في تفسيره : (اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء مهجته ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه) ثم قال : (وأمّا قوله : ﴿ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئنٌ بالأيمانِ ﴾ فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها ، لما ناله من ضرب وأذى ، وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمّار بن ياسر حين عذّبه المشركون حتى يكفر بمحمد (ص) فوافقهم على ذلك مكرهاً وجاء معتذراً إلى النبي (ص) فنزلت هذه الآية وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٥٧/١.

(٢) المبسوط ٢٤٥/٢٤.

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمّر عن عبد الكريم الجزري ، عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمّار بن ياسر فعذّبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي (ص) فقال النبي (ص) : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان . قال النبي (ص) : إن عادوا فعد .

ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه أنه سبّ النبي (ص) وذكر آلهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ما تُركتُ حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير . قال : كيف تجد قلبك ؟ قال مطمئناً بالإيمان . قال : إن عادو فعد . وفي ذلك أنزل الله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بِالأيمانِ ﴾ [1] .

وقال القرطبي : (قال الحسن —أي البصري -: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة) ثم قال : (أجمع أهل العلم على أنّ من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل إنّه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بالكفر ، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي) [2] .

وقال المفسّر الشيعي الشيخ الطبرسي رحمه الله : (قد نزلت الآية في جماعة أكرهوا على الكفر وهم عمّار وأبوه ياسر وأمّه سمية ، وقتل الأبوان لأنّهما لم يظهرا الكفر ولم ينالا من النبي ، وأعطاهم عمّار ما أرادوا منه ، فأطلقوه ، ثم أخبر عمّار بذلك رسول الله ، وانتشر خبره بين المسلمين ، فقال قوم : كفر عمّار ، فقال الرسول : كلاّ إنّ عمّاراً مُلىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه) .

ثم قال : (وفي ذلك نزلت الآية السابقة ، وكان عمّار يبكي ، فجعل رسول الله يمسح

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٥٨٧ —٥٨٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٥٧ .

عينيه ويقول : إن عادوا فعد لهم بما قلت) [1] .

زعم الجنيد أن التقية لا تجوز إلاّ مع الكافر

قال الجنيد : (إذن فالتقية رخصة وليست عزيمة ، ويجوز الأخذ بها بشرطين أساسين :

١- أن تستخدم في حالة الضّراء لا في حالة السّراء .

٢- أن تستخدم ضد الكفار لا المؤمنين من إخوانهم .) [2] .

الدليل على جواز اتقاء المسلم الظالم

أقول : والتقية كما أنها تكون مع الكافر والمشرك فإنها تكون أيضاً مع المسلم الظالم فالشريعة الإسلامية تبيح استخدام التقية معه اتقاء ضرره ، وقد صرّح علماء أهل السنة بجواز مخالفة الشرع في بعض الموارد دفعاً للضرر المحتمل من الغير – سواء كان كافراً أو مسلماً ظالماً جائراً – وموافقة المكره حال الإكراه كذلك :

قال عبد الحق الأندلسي : (واختلف العلماء في التقية ممن تكون وبأي شيء تكون وأي شيء تبيح فأما الذي تكون منه التقية فكل قادر غالب مكره يخاف منه فيدخل في ذلك الكفار إذا غلبوا وجورة الرؤساء والسلابة وأهل الجاه في الحواضر قال مالك رحمه الله وزوج المرأة قد يكره وأما بأي شيء تكون التقية ويترتب حكمها فذلك بخوف القتل وبالخوف على الجوارح وبالضرب بالسوط وبسائر التعذيب فإذا فعل بالإنسان شيء من

---

(١) مجمع البيان ٣٨٨/٣.

(٢) حوار هادئ صفحة ٩٦.

هذا أو خافه خوفا متمكنا فهو مكره وله حكم التقية ...) [(١)] .

وقال الجصاص : (... فأحكام الإكراه مختلفة على الوجوه التي ذكرنا منها ما هو واجب فيه إعطاء التقية وهو الإكراه على شرب الخمر وأكل الميتة ونحو ذلك مما طريق حظره السمع ومنها ما لا يجوز فيه إعطاء التقية وهو الإكراه على قتل من لا يستحق القتل ، ونحو الزنا ونحو ذلك مما فيه مظلمة لآدمي ولا يمكن استدراكه ، ومنها ما هو جائز له فعل ما أكره عليه والأفضل تركه كالإكراه على الكفر وشبهه) [(٢)] .

وقال أيضاً : (وقوله تعالى : ﴿ يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ واصْبِرْ عَلَى ما أَصابَكَ ﴾ يعني - والله أعلم - اصبر على ما أصابك من الناس في الأمر بالمعروف وظاهره يقتضي وجوب الصبر وإن خاف على النفس إلا أن الله تعالى قد أباح إعطاء التقية في حال الخوف في آي غيرها قد بيناها) [(٣)] .

وقال القرطبي : (... فإن كانت الصحبة عن ضرورة وتقية فقد مضى القول فيها في آل عمران والمائدة ، وصحبة الظالم على التقية مستثناة من النهي بحال الإضطرار) [(٤)] .

وقال المراغي : (ويدخل في التقية مداراة الكفرة والظلمة والفسقة ، وإلانة الكلام لهم والتبسّم في وجوههم وبذل المال لهم لكفّ أذاهم وصيانة العرض منهم ، ولا يعدّ هذا من من الموالاة المنهيّ عنها ، بل هو مشروع ، فقد أخرج الطبراني قوله (ص) : « ما وقى المؤمن به عرضه فهو صدقة ») [(٥)] .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٢٠/١ .

(٢) أحكام القرآن ١٦/٥ .

(٣) أحكام القرآن ٢١٩/٥ .

(٤) تفسير القرطبي ١٠٨/٩ .

(٥) تفسير المراغي ١٣٦/٣ .

قال الرازي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاةً ﴾ : (ظاهر الآية يدل على أنّ التقية إنّما تحل مع الكفار الغالبين ، إلاّ أنّ مذهب الشافعي –رضي الله عنه –: أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكافرين حلّت التقية محاماة عن النفس) [١] .

وقال جمال الدين القاسمي ناقلاً عن مرتضى اليماني في كتابه إيثار الحق على الخلق : (وزاد الحق غموضاً وخفاءً أمران : أحدهما : خوف العارفين –مع قلتهم –من علماء السوء وسلاطين الجور وشياطين الخلق مع جواز التقية عند ذلك بنص القرآن وإجماع أهل الإسلام ، وما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق ، ولا برح الحق عدواً لأكثر الخلق ، وقد صحّ عن أبي هريرة أنّه قال : –في ذلك العصر الأول –حفظت من رسول الله وعاءين ، أما أحدهما فبثثته في الناس ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم) [٢] .

هذه كلها أدلة من أقوال جمع من علماء أهل السنة تفيد أن التقية لا تختص ممارستها فقط مع الكافر بل تجوز حتى مع المسلم الظالم ، بل في روايتهم ما يفيد أن المسلمين استخدموها مع بعضهم البعض من ذلك اتقاء حذيفة بن اليمان عثمان بن عفان حيث روى ابن أبي شيبة في مصنّفه قال : حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال : دخل ابن مسعود وحذيفة على عثمان فقال عثمان لحذيفة بلغني أنك قلت كذا وكذا .

قال : لا والله ما قلته .

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٣/٨ .

(٢) محاسن التأويل ٨٢/٤.

فلما خرج قال له عبد الله : مالك فلم تقوله ما سمعتك تقول ؟

قال : إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله) [١] .

واتقاء عبد الله بن عمر بن الخطاب عثمان بن عفان فلما أن خالف عثمان سنة النبي ﷺ في قصر الصلاة بمنى كان ابن عمر خوفاً من عثمان واتقاءً لضرره إذا صلّى خلف الإمام يصلي ركعتين وإذا صلاّها لوحده صلى أربعاً ، ففي صحيح مسلم بسنده عن نافع عن ابن عمر قال : (صلى رسول الله (ص) بمنى ركعتين ، وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته ثم أن عثمان صلّى بعد أربعاً فكان ابن عمر إذا صلّى مع الإمام صلّى أربعاً وإذا صلاّها وحده صلى ركعتين) [٢] .

واتقاء مسروق معاوية بن أبي سفيان ، قال السرخسي في المبسوط : (وذكر عن مسروق رحمه الله قال بعث معاوية رضي الله عنه ! بتماثيل من صفر تباع بأرض الهند فمر بها على مسروق رحمه الله قال والله لو أني أعلم أنه يقتلني لغرقتها ولكني أخاف أن يعذبني فيفتنني والله لا أدري أي الرجلين معاوية رجل قد زين له سوء عمله أو رجل قد يئس من الآخرة فهو يتمتع في الدنيا) [٣] .

وفي صحيح البخاري أن أبا هريرة قال : (حفظت من رسول الله (ص) وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) [٤] .

وبلاشك أن إمتناع أبي هريرة من نشرأحاديث الوعاء الآخر لم يكن خوفاً من

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤٧٤/٦ حديث رقم : ٣٣٠٥٠.

(٢) صحيح مسلم ٤٨٢/١ حديث رقم : ٦٩٤.

(٣) المبسوط ٤٦/٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٥٦/١ حديث رقم : ١٢٠.

الكفار وإنما هو خوف من خلفاء زمانه الذين لا يحبذون نشرها لأنها تتعارض مع مصالحهم أو تدينهم في شيء .

فكيف بعد كل هذا يصح من الجنيد أو غيره أن يزعموا أن التقية لا تجوز ممارستها إلاّ مع الكافر؟!.

قال الجنيد : (وروا عن جعفر الصادق أنه قال : « تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ») [1] .

أقول : لو أننا لاحظنا الموارد التي حرّمت فيها التقية قياساً إلى الموارد الجائزة منها لما كانت تساوي شيئاً نسبة إليها ، فأهل السّنة أنفسهم قد جوّزوا استخدام التقية في الدّين بشكل واسع جداً في الكثير من الأمور الواقعة تحت دائرة الإكراه مما نصت عليه كتب الفقه لديهم ، فهي عندهم تدخل في جميع أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ، وعقود ، وإيقاعات بل جوّزوها في الأفعال العرفية التي لا تختص بالأحكام كما يتّضح من أبواب مداراة الناس في كتبهم الحديثية ، وعليه يكون قوله عليه السلام : (إنّ تسعة أعشار الدين في التقية) ناظراً إلى هذا المعنى ، أي كثرة ما يبتلى به المؤمن في دينه ، ولا مخرج من ذلك إلاّ بالتقية ، خصوصاً إذا كان في وسط يسود فيه الظلم والطغيان ، وتكثر فيه الفوضى وإنعدام الأمان .

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن الإمام محمد الباقر عليه السلام ما هو شبيه بهذا المعنى قال : (حدثنا شريك عن جابر عن أبي جعفر قال : التقية أوسع ما بين السماء إلى الأرض) [2] .

---

(١) حوار هادئ صفحة ٩٨ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦/٤٧٤ برقم : ٣٣٠٤٨ .

وحاول الجنيد الإشكال على الشيعة بما ورد في بعض رواياتهم من أن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا أحياناً يعطون جواباً لمن سألهم خلاف الواقع والحق وذلك في ظرف التقية فهو يريد أن ينسب للشيعة ويتهمهم أنهم يقولون بأن أئمتهم يكتمون الحق حيث قال : (وحتى الفتاوى الفقهية التي كان يفتي بها الأئمة كان منها ما يفتون به خلاف الحق ، وذلك عملاً بالتقية ، فقد روى النوبختي في كتابه فرق الشيعة عن عمر ابن رباح أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها بجواب ، وفي وقت لاحق سأله عن نفس المسألة فأجابه فيها بجواب متناقض مع إجابته الأولى فسأله عن سبب ذلك التناقض فقال « إن جوابنا الأول خرج على التقية ») [٢].

أقول : لقد أثبتنا أن التقية مشروعة فيجوز للمسلم أن يكتم الحق ويظهر خلافه في مورد التقية ، وإذا كان الأمر كذلك فلا ضير على الإمام المعصوم عليه السلام أن يفتي أحياناً أو يجيب على سؤال بخلاف الحق إذا كان المورد مورد تقية ؛ فإن ما دعى الأئمة عليهم السلام لإستخدام التقية في بعض الأحيان هو تعرّضهم على امتداد التاريخ للجور والظلم من قبل السلطات الحاكمة في زمانهم ، ولكن هذا لا يعني أنهم عليهم السلام كانوا يتّقون في جميع أقوالهم وأفعالهم أو حتى في مجالسهم الخاصة التي ليس فيها سوى أصحابهم الثقات ، بل العكس هو الصحيح حيث دلت الروايات على أمر الإمام الصادق عليه السلام لأصحابة بكتمان آرائه وأقواله التي لا توافق هوى السلطة الحاكمة ، حيث كان يدلي بها إلى العشرات بل المئات من الثقات المأمونين ويأمرهم بعدم إفشائها لكائن من كان حذراً من وقوعها في أسماع العيون التي تبثها السلطة لرصد تصرّفات الإمام ، وهذا يدلّ على أنّ روايات التقية كانت محصورة في ظروف خاصة ما كانت لتغيب عن فطنة الفقهاء

---

(١) حوار هادئ صفحة ٩٨.

من أصحاب الأئمة عليهم السلام لأتّصالهم المباشر بهم ، كما يدلّ أيضاً على أنّ أحاديث التقية الصادرة عنهم قليلة جداً بالقياس إلى ما صدر عن غير تقية ، بل يظهر من الرواية التي نقلها الجنيد عن النوبختي أن الإمام الباقر عليه السلام أجاب سائله في المرة الأولى عندما كان في مورد التقية بخلاف الحق لكنه عندما سأله عن نفس المسألة في مرة ثانية ولم يكن هناك ما يدعو إلى استخدام التقية أجابه بالجواب الحق والصحيح ، فهذه الرواية الشيعية وحدها رد قاطع على ما حاول الجنيد الإشكال به على الشيعة من أن الشيعة ينسبون إلى أئمتهم كتمان الحق .

والتقية عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية ليست جائزة في كل مواردها بل تنقسم حسب الأحكام التكليفية الخمسة الواجب ، المستحب ، المحرّم ، المكروه ، المباح ، فهي عندهم ليست بواجبة أو جائزة في كل حال ، قال العلامة محمد رضا المظفر عليه الرّحمة في كتابه عقائد الإمامية صفحة ٨٥ : (وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية ، وليست هي بواجبة على كلّ حال بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال كما إذا كان في إظهار الحقّ والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام ، وجهاد في سبيله ، فإنّه عند ذلك ليستهان بالأموال ولا تعزّ النفوس وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة أو رواجاً للباطل أو فساداً في الدّين أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور بينهم) .

وقال الشيخ جعفر السبحاني : (التقية تنقسم حسب الأحكام الخمسة فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال فإنها تحرم إذا ترتب عليها مفسدة أعظم كهدم الدّين وخفاء الحقيقة عن الأجيال الآتية ، وتسلّط الأعداء على شؤون المسلمين وحرماتهم ومعابدهم ولأجل ذلك ترى أن كثيراً من أكابر الشيعة رفضوا التقية في

بعض الأحيان وقدّموا أنفسهم وأرواحهم أضاحي من أجل الدّين ، فللتقية مواضع معيّنة كما أنّ للقسم المحرّم منها مواضع خاصة أيضاً).

ثم قال : (إنّ التقية في جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتى يزول الخطر ، فهي أفضل السبل للخلاص من البطش ولكن ذلك لا يعني أن الشيعي جبان خائر العزيمة خائف متردد الخطوات يملأ حناياه الذّل ، كلاّ إنّ للتقية حدوداً لا تتعداها ، فكما هي واجبة في حين ، هي حرام في حين آخر ، فالتقية أمام الحاكم الجائر كيزيد بن معاوية مثلا محرّمة ، إذ فيها الذّل والهوان ونسيان المثل والرجوع إلى الوراء ، فليست التقية في جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضعف ، وإنّما تحددها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين)[1].

فالإمام لا تجوز عليه التقية في جميع الحالات لأن الإمامة إمتداد للنبوّة فلو فرض حدوث ما لم يعلم جهته إلاّ من الإمام كان كالنبي ﷺ في عدم جواز التقية عليه في مثل هذا الحال لأنه يلزم من ذلك الإغراء بالقبيح الّذي لا يمكن تصوّر صدوره من الإمام فالجائز على الإمام من التقية هو ما لايخل بالوصول إلى الحق وما كان مخلاّ فلا تجوز فيه التقية عليه ، والإمام المعصوم عليه السلام هو أدرى وأعلم بالموارد التي يحق له فيها استخدام التقية من غيرها .

قال الجنيد : (إن الإسلام قد أمر بالصدق والرجولة والشجاعة ، ونهى عن صفات الجبن والخسة والخذلان ، وإن للتقية آثاراً سلبية تحدث في النفس خصالاً ذميمة ، منها الإزدواج في الشخصية والإضطراب بين القول والفعل والظاهر والباطل ، وكل ذلك يتنافى مع شخصية المسلم التي تتصف بالصدق والرّجولة وشجاعة الكلمة والموقف ،

---

(١) الإعتصام بالكتاب والسّنة للشيخ جعفر السبحاني ص ٣٣٦ – ٣٣٧.

والتي لا تخادع ولا تداهن ولا تعمل إلاّ الحق)[١] .

أقول : إن الجنيد يتفق معنا في أن التقية مشروعة وأن الله عزّ وجل قد رخص لعباده استخدامها في موارد وحالات معينة وعليه فإن كانت لها آثار سلبية وأنها تحدث في النفس خصالاً ذميمة من إزدواج في الشخصية وغيرها مما ذكرها فإن هذا الإشكال منه يتوجه إلى مشرّعها وهو الله عزّ وجل قبل أن يتوجه لمن عمل بها ، فهو بكلامه هذا يعترض على الله تعالى ويطعن في تشريعاته قبل أن يطعن على الشيعة ويشكل على الله قبل أن يشكل على الشيعة ، وكأن الجنيد أبصر من الله عزّ وجل لعباده وأدرى من الله بمصالح ومفاسد الأمور !

---

(١) حوار هادئ صفحة ٩٩.

الفصل الحادي والعشرون
فريضة الخمس

قال الجنيد تحت عنوان « زكاة الخمس سحت » : (وهذا موضوع خطير ويلعب دوراً سياسياً في صراع بقاء المذهب الشيعي ، فإن الشيعة يؤدون الخمس من أرباح مكاسبهم إلى أئمتهم .

وهذا مكسب عظيم وتجارة مغرية ، تدر على الأئمة أمولاً عظيمة وهذه خصلة ذم الله بني إسرائيل عليها ، كما قال تعالى ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا إنَّ كَثيراً مِنَ الأَحْبارِ والرُّهْبانِ لَيَأْكُلونَ أَمْوالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدّونَ عَنْ سَبيلِ اللّه ﴾ « التوبة : ٣٤ » .

لقد استدل الشيعة بقوله تعالى ﴿ واعْلَموا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيء فأَنَّ لِلَّه خُمُسَهُ وَلِلرَّسولِ وَلِذي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكينِ وابْنِ السَّبيلِ ﴾ إستدلّوا بالآية على أن سهم الله وسم الرسول (ص) وسهم ذوي القربى للإمام القائم مقام الرسول (ص) ، ولم يلتفتوا إلى أن الآية تتكلم عن غنيمة الحروب ولا علاقة لها بأرباح المكاسب .

ثم إنه بالاستقراء من حياة النبي (ص) ، وحتى سيرة علي عليه السلام لا نجد منهم من كان يأخذ لنفسه شيئاً من أرباح مكاسب الناس .

وهذه كتب المؤرخين الذين ذكروا حتى أسماء جباة الزكاة في عهد النبي (ص) وعهد خلفائه لم يذكروا أنهم كانوا يأمرون بمطالبة الناس بالخمس ، وحتى مؤلّفات أئمة أهل البيت فإنها لم تتضمن مسألة الخمس .

فهذا محمد بن الحسن الطوسي مؤسس الحوزة الدينية بالنجف وهو من أكابر فقهاء الشيعة في أوائل القرن الخامس لم يتطرق في كتبه الفقهية المعروفة إلى شيء من هذا، مع أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من المسائل الفقهية الفرعية إلاّ ذكرها في تآليفه الضخمة.

وهذا ما حدا ببعض فقهاء الشيعة إلى تحريم أخذ الخمس كالشيخ أحمد الأردبيلي الفقيه الملقب بالمقدس عند الشيعة.

وهناك أسباب أخرى دفعتهم إلى القول بتحريمه، وذلك أن خمس الزكاة ثروة تنافس ثروات النفط، الأمر الذي أفسد الأئمة وجعلهم يلهثون وراء المادة ويستغلون بساطة الناس وجهلهم.

ثم تخيّل كم تكون عائدات الأئمة إذا أضفنا إلى الخمس النذور الهائلة التي تلقى على أعتاب وأضرحة وقبور الأئمة يدرّ على أئمة ومشايخ الشيعة)[1].

أقول : أولاً : إن من الفرائض المالية التي أوجبها الله عزّ وجل بنص كتابه المجيد فريضة الخمس قال تعالى : ﴿ **واعْلَموا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيء فأَنَّ للَّه خُمُسَهُ ولِلرَّسولِ ولِذي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكينِ وابْنِ السَّبيلِ ... الآية** ﴾، ولفظ الغنيمة عام يشمل كل ما يكسبه العبد ويفوز به، ولا يوجد دليل يمكن الركون إليه في تخصيص لفظ الغنيمة في الآية في خصوص غنيمة الحرب، وكونها نزلت في مورد خاص فإن المورد لا يخصص الوارد كما هو مقرر في علم الأصول، وقد ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ما يؤيد ذلك.

---

(١) حوار هادئ صفحة ١٠٢ – ١٠٤.

فقول الجنيد أن الغنيمة في الآية خاصة بغنيمة الحرب قول بلا دليل ، وتخصيص بلا مخصص .

ثانياً : إن فريضة الخمس ليست واجبة فقط في غنائم الحرب وإنما هي واجبة أيضاً في الكنز والركاز ، وروايات أهل السنة التي تثبت ذلك كثيرة منها ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة الدوسي أن رسول الله ﷺ قال : (العجماء جبار والبئر جبار والمعدن جبار وفي الركاز الخمس) [١] .

ومنها ما رواه ابن خزيمة في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص : (أن رجلاً من مزينة أتى رسول الله (ص) قال : فكيف ترى فيما يوجد في الطريق الميتاء أو في القرية المسكونة ؟

قال : عرفه سنة فإن جاء باغية فادفعه إليه وإلا فشأنك به فإن جاء طالبها يوماً من الدهر فأدها إليه وما كان في الطريق غير الميتاء والقرية غير المسكونة ففيه وفي الركاز الخمس) [٢] .

وما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً من مزينة سأل رسول الله ﷺ : (... يا رسول الله فالكنز نجده في الخرب وفي الآرام ؟ فقال رسول الله (ص) : فيه وفي الركاز الخمس) [٣] .

---

(١) صحيح البخاري ٥٤٥/٢ برقم : ١٤٢٨ ، صحيح مسلم ١٣٣٤/٣ برقم : ١٧١٠ ، وقد ورد في رواية أخرجها البيهقي في السنن الكبرى ١٥٢/٤ برقم : ٧٤٢٩ أن النبي ﷺ سئل عن الركاز فقال : « الذهب والفضة الذي خلقه الله في الأرض يوم خلقت » .

(٢) صحيح ابن خزيمة ٤٧/٤ برقم : ٢٣٢٧ ، المستدرك على الصحيحين ٧٤/٢ برقم : ٢٣٧٤ وصححه الذهبي في التلخيص .

(٣) مسند أحمد ١٨٦/٢ برقم : ٦٧٤٧ .

قال ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق ٢٥٤/٢ : (وأما إذا وجدت كنزاً وهي دفين الجاهلية ففيه الخمس لأنه لا يشترط في الكنز إلاّ المالية لكونه غنيمة) [١] .

وفي المبسوط للسرخسي يقول : (اعلم أن المستخرج من المعادن أنواع ثلاثة منها جامد يذوب وينطبع كالذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس ، ومنها جامد لا يذوب بالذوب كالجص والنورة والكحل والزرنيخ ، ومنها مائع لا يجمد كالماء والزئبق والنفط ، فأما الجامد الذي يذوب بالذوب ففيه الخمس عندنا) [٢] .

وبلاشك أن إيجابه الخمس فيما ذكره ليس من باب أن ذلك غنيمة حرب كما هو واضح وإنما من جهة كونها غنيمة ، واستثاؤه بعض ما ذكره من الخمس باستثناء الماء هو رأية وإلا فإن إطلاق آية الخمس يخالفه .

ثالثاً : إن في روايات أهل السنة في مصادرهم الحديثية والتاريخية ما يؤكد أن الخمس واجب ليس فقط في غنيمة الحرب وإنما في مطلق ما يغنمه الإنسان ومنها أرباح المكاسب وإليك بعضها :

أخرج البخاري في صحيحه [٣] : (... إن وفد عبد القيس أتوا النبي (ص) فقال من الوفد أو من القوم ؟

قالوا : ربيعة .

فقال : مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى .

---

(١) تمعن في قوله « لكونه غنيمة » فهو يعد الخمس واجباً في ذلك من باب كونه غنيمة ، وهذا دليل على أن آية الخمس عامة في مفهومها .

(٢) المبسوط ٢١١/٢ .

(٣) صحيح البخاري ٤٥/١ حديث رقم : ٨٧

قالوا : إنا نأتيك من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده ، قال هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطوا الخمس من المغنم ...) .

وهو ﷺ لا يطلب منهم أن يدفعوا خمس غنائم الحرب ، فهم مستضعفون لا يستطيعون الخروج من حيّهم إلاّ في الأشهر الحرم خوفاً من الكفار والمشركين فأنّى لهم أن يخوضوا حرباً ، فيكون قد قصد ﷺ المغنم بمعناه الحقيقي في لغة العرب وهو كل ما يفوزون به فتدخل فيه أرباح المكاسب .

أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتاباً وبعثه إليهم مع عمرو بن حزم ومما ورد فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن كلال قيل ذي رعين ومعافر وهمدان أما بعد فقد رجع رسولكم وأعطيتم من المغانم خمس الله وما كتب الله على المؤمنين من العشر في العقار ...)[1] .

روى ابن عساكر : أن النبي ﷺ كتب لمن أسلم من بني معاوية بن جرول الطائيين كتاباً قال فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي (ص) لبني معاوية ابن جرول الطائيين لمن أسلم منهم فأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله ، وأعطا من المغانم خمس الله وسهم النبي (ص) وفارق المشركين وأشهد على

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١ / ٥٥٢ حديث رقم : ٧٤٤١.

إسلامه فإنه آمن بأمان الله ومحمد ... الخ) [(١)].

وروى الطبراني أن النبي ﷺ كتب للفجيع ومن تبعه كتاباً كان مما جاء فيه : (من محمد رسول الله (ص) للفجيع ومن تبعه ومن أسلم ومن أقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم الخمس ...) [(٢)].

وروى ابن عساكر أن النبي ﷺ كتب كتاباً لجهينة بن زيد جاء فيه : (أن لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها على أن تؤدوا الخمس وتصلوا الخمس ... الخ) [(٣)].

وعليه فإن الغنائم المطلوب في هذه الرسائل النبوية أداء خمسها لا يمكن أن يراد منها إلاّ ما يستولى عليه من طريق الكسب والكد لأن إعلان الحرب من شؤونه ﷺ فلا تقام إلاّ بأمره ، وتقسيم غنائمها لا يكون إلاّ بيده مباشرة فهو الذي يأخذ الغنائم ويحدد لكل مقاتل سهمه بعد أن يستخرج الخمس منها بنفسه ، فلا يعني طلبه الخمس في المغنم من الناس وتأكيده على ذلك فيما أسلفناه من كتب وعهود إلاّ أنه أراد ما يفوزون به من مغنم من غير الحرب .

رابعاً : يقسم الخمس عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية في عصر غيبة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه إلى قمسين ، قسم يعرف بحق الإمام المهدي يكون بيد المجتهد الفقيه العادل الثقة يصرفه في ما يكون سبباً لإقامة دعائم الدين ورفع أعلامه وما بواسطته يتم ترويج الدين ونشر قواعده وأحكامه ، وفي مؤونة أهل العلم الذين يصرفون أوقاتهم في

---

(١) تاريخ دمشق ٣٣١/٤.

(٢) المعجم الكبير ٣٢١/١٨ برقم : ٨٣٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٤٥/٤٦.

تحصيل العلوم الدينية الباذلين أنفسهم في تعليم الجاهلين وإرشاد الضالين ونصح المؤمنين ، وأيضاً في مساعدة المؤمنين المحتاجين كالفقراء والأرامل والأيتام والمساكين وفي غيرها من المصارف والموارد .

والقسم الآخر هوحق للسادة الهاشميين يصرف على فقراءهم ومساكينهم وأيتامهم وأبناء السبيل منهم فليس الخمس حق خاص للفقيه يتصرف فيه كيف شاء ، فلا يجوز له أن يأخذ منه شيئاً ، نعم إذا كان محتاجاً فله أن يأخذ من سهم الإمام باعتباره مشغولاً بتعلم وتعليم أمور الدين ، أو منهما إذا كان سيّداً هاشميّاً فقيراً وبمقدار حاجته فقط .

ثم إن واقع حال هؤلاء الأعلام العظام يثبت خلاف ما بهتهم به الجنيد ، فلم نجد منهم متصفاً بالغنى وكثرة المال والثروة ، أو يمتلك الشركات والمؤسسات والعقارات والقصور الفخمة والمنازل والمراكب الفارهة ، فكلهم يعيش الكفاف ، بل إن منهم من لا يمتلك حتى بيتاً خاصاً به ، فاتهامه لهم بأنهم يأخذون الأخماس لهم شخصياً هو افتراء عليهم وبهت لهم نسأل الله عزّ وجل أن يعامله بعدله ويحكم بينهم وبينه .

خامساً : إذا كان الجنيد يريد بقوله : (فهذا محمد بن الحسن الطوسي مؤسس الحوزة الدينية بالنجف وهو من أكابر فقهاء الشيعة في أوائل القرن الخامس لم يتطرق في كتبه الفقهية المعروفة إلى شئ من هذا ...) أن يقول بأن الشيخ الطوسي قدس سره لم يتعرض في كتبه الفقهية إلى مسائل الخمس ووجوبه والأمور التي يجب فيها وموارد صرفه فهو من الكذب البيّن والتزوير الواضح ، فكتب الشيخ الطوسي الفقهية عديدة ومطبوعة ومنها المبسوط والنهاية والخلاف ، وتتضمن هذه الكتب الثلاثة أو غيرها باباً أو فصلاً خاصاً بمسائل الخمس فليرجع من أراد معرفة الحقيقة إلى كتب الشيخ الفقهية ليعرف مدى التزوير وطمس الحقائق والكذب والتدليس عند الجنيد .

وإن كان يريد به أن الشيخ الطوسي قدس سره لم يذكر في كتبه الفقهية وجوب الخمس في أرباح المكاسب فهو أيضاً كذب وتزوير فها هو الشيخ الطوسي قدس سره يقول في كتابه الخلاف : (يجب الخمس في جميع المستفاد من أرباح التجارات والغلات والثمار على اختلاف أجناسها بعد إخراج حقوقها ومؤنتها وإخراج مؤنة الرجل لنفسه ومؤنة عياله ولم يوافقنا على ذلك أحد من الفقهاء)[1] .

ومن أكاذيب الجنيد زعمه أن المقدس الأردبيلي قد حرّم أخذ الخمس ولذلك نجده لم يشر إلى نص كلامه أو مصدره ، فالشيخ المقدس الأردبيلي يقول في مجمع الفائدة والبرهان : (... ولكن ينبغي الاحتياط التام وعدم التقصير في إخراج الحقوق خصوصاً الأصناف الثلاثة من كل غنيمة عدّوها لاحتمال الآية على الظاهر وبعض الرّوايات وأصل عدم السقوط ، وبُعد سقوط حقهم مع تحريم الزكاة عليهم وكون ذلك عوضها ... الخ)[2] .

(١) الخلاف ١١٨/٢ ، ويريد بالفقهاء فقهاء أهل السنة كما هو اصطلاحه في هذا الكتاب ، أي لم يوافق الشيعة على هذا الحكم أحد من فقهاء أهل السنة .

(٢) مجمع الفائدة والبرهان ٣٥٧/٤.

الفصل الثاني والعشرون
السجود على التربة الحسينية

قال الجنيد : (إنّ فكرة تقديس الأقراص والتربة والسجود عليها بدعة تربط الساجد لله بالحسين أثناء سجوده ، فإنّ القرص لا بدّ أن يأتي به الساجد من أرض كربلاء التي استشهد فيها الحسين .

ولا يكاد يخلو بيت من بيوت الشيعة إلاّ وفيه من تراب وحجر كربلاء يسجدون عليه ويقبّلونه ويتبركون به ، ويجعلونه في جيوبهم وينقلونه معهم في أسفارهم ، لقد صار لهذه التربة بعدٌ آخر ، صار وسيلة شركية تؤدي إلى ربط العبد بغير الله في صلاته .

إنّ النبي (ص) لم يأمر بالسجود على التربة ولا على القرص ولا فعل ذلك عليٌّ ولا أهل بيته الكرام زادهم الله شرفاً .

ومن نماذج تعظيمهم للتربة الحسينية ما قاله الشيخ محمد إبراهيم القزويني في رسالته « السجود على التربة والجمع بين الصلاتين » : وروي عنه عليه السلام أنّه قال : السجود على قطين قبر الحسين ينوّر إلى الأرضين السبع ، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين كتب مسبّحاً وإن لم يسبّح)[1] .

أقول : أولاً : لقد قام الدليل عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية على استحباب

---

(١) حوار هادىء صفحة ١١١.

وأفضلية السجود على الأرض من غيره من الأشياء الأخرى التي يصح السجود عليها [1] فتطبيقا لهذا الاستحباب والأفضلية ولكون المساجد والبيوت غالباً ما تكون مفروشة بما لا يصح السجود عليه اتخذ الشيعة ما يعرف بالتربة [2] يضعونها في موضع سجودهم يسجدون عليها لله سبحانه وتعالى أثناء ممارستهم لعبادة الصلاة، وهم في ذلك يقتدون برسول الله ﷺ الذي كان يفضل السجود على الأرض فكان لا يتقيها بشيء أثناء سجوده، ففي مصنف عبد الرّزاق عن عائشة قالت: (ما رأيت رسول الله (ص) متقياً وجهه بشيء، تعني في السجود) [3].

وعن وائل بن حجر قال: (رأيت النبي إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض) [4].

وفي لفظ آخر عنه: (رأيت رسول الله (ص) يسجد على الأرض واضعاً جبهته

---

(١) يقول آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني: (يعتبر في مسجد الجبهة أن يكون من الأرض أو نباتها غير ما يؤكل أو يلبس، فلا يصح السجود على الحنطة والشعير والقطن ونحو ذلك.

نعم لا بأس بالسجود على ما يأكله الحيوان من النبات، وعلى النبات الذي لا يؤكل بنفسه بل يشرب الماء الذي ينقع أو يطبخ فيه كأصل السوس وعنب الثعلب، وورد لسان الثور وورق الشاي، كما يصح السجود على ورق الكرم بعد أوان أكله، وعلى قشر الجوز أو اللوز بعد انفصاله عن اللب، وعلى نواة التمر وسائر النوى حال انفصالها عن الثمرة.

ويصح السجود على القرطاس المتخذ من القطن أو الكتان دون المتخذ من غيرهما مما لا يصح السجود عليه كالحرير، والسجود على الأرض أفضل من السجود على غيره، وأفضل من الجميع التربة الحسينية على مشرفها آلاف التحية والسلام) (المسائل المنتخبة صفحة ١٤٧).

(٢) وهي عبارة عن تراب قد تم مزجه بالماء ووضع في قالب وترك حتى تماسكت أجزاؤه بعضها ببعض وجف منه الماء فيكون على شكل قرص من التراب

(٣) مصنف عبد الرّزاق ١/ ٣٩٧.

(٥) أحكام القرآن ٣/ ٢٧٢.

وأنفه في سجوده)[١] .

بل رووا أنّه ﷺ كان لا يترك الصلاة على الأرض حتى وإن تبللت بالمطر فعن أبي سعيد الخدري أنه رأى الطين في أنف رسول الله ﷺ وأرنبته من أثر السجود وكانوا قد مطروا بالليل[٢] .

وفي رواية أخرى يقول أبو سعيد : (رأيت رسول الله (ص) يسجد في الماء والطين حتى رأيت أثر الطين في جبهته)[٣] .

يقول ابن تيمية الحراني : (ولا كان – النبي ﷺ – يصلي على سجادة بل كان يصلي إماماً بجميع المسلمين يصلي على ما يصلون عليه ويقعد على ما يقعدون عليه لم يكن متميزاً عنهم بشيء يقعد عليه لا سجادة ولا غيره ، ولكن يسجد أحياناً على الخميرة وهي شيء يصنع من الخوص صغير يسجد عليها أحياناً لأن المسجد لم يكن مفروشاً بل كانوا يصلون على الرمل والحصى ، وكان أكثر الأوقات يسجد على الأرض حتى يبين الطين في جبهته)[٤] .

وليس استحباب وأفضلية السجود على الأرض عن غيره من الأشياء التي يصح السجود عليها مختص بالتراب المتخذ من تراب قبر الحسين بل لمطلق التراب ، ولذلك يسجد الكثير من الشيعة على تربٍ من غير تراب قبر الحسين عليه السلام ، نعم يفتي فقهاء

---

(١) مسند أحمد ٣١٧/٤ حديث رقم : ١٨٨٤ ، تحفة الأحوذي ١٢٥/٢ ، عون المعبود ١١٦/٣ ، المعجم الكبير ٢٩/٢٢ .

(٢) مسند أحمد ٩٤/٣ ، مصنف عبد الرزاق ١٨١/٢ ، أحكام القرآن للجصاص ٢٧٢/٣ .

(٣) مسند أحمد ٦٠/٣ ، صحيح البخاري ٢٥٤/٢ ، مسند أبي يعلى ٣٨٧/٢ .

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ١١٨/٢١ .

الشيعة بأفضلية السجود على التراب المتخذ من قبر الحسين عليه السلام عن غيره من التراب المتخذ من سائر البقاع والأماكن وقد كان الإمام الصادق عليه السلام يسجد على تراب من تربة الحسين عليه السلام فعن معاوية بن عمار قال : (كان لأبي عبد الله الصادق عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فكان إذا حضرت الصلاة صبّه على سجّادته وسجد عليه ، ثم قال : السجود على تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السبع)[1].

ثانياً : لا ندري لماذا صار السجود على تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وسيلة شركية تؤدي إلى ربط العبد بغير الله في صلاته كما يزعم الجنيد – ولا يكون السجود على غيرها من التراب أو الأشياء كذلك ؟

فإذا كان مجرد السجود على تربة الحسين عليه السلام يفضي إلى ما زعمه الجنيد فإن السجود على غيرها أيضاً كذلك لا فرق ، وعليه فجميع المسلمين بما فيهم الجنيد عندما يسجدون على التراب و الحجارة و الحصر أو غيرها مما يسجد عليه المسلمون أثناء صلاتهم مشركون لأنهم مرتبطون بغير الله ! .

فهل يقول مثل هذا القول الذي زعمه الجنيد عاقل يحترم عقله ؟!

ثالثاً : أما بخصوص تبرك الشيعة بتربة الحسين عليه السلام وتقبيلهم لها فنعم هذا صحيح وهم يقتدون ويتأسون في ذلك برسول الله الذي أثبتت روايات أهل السنة قبل روايات الشيعة أنه قبّل التربة التي يقتل فيها الحسين عليه السلام وشمّها ، ففي المعجم الكبير للطبراني يروي بسنده عن أم سلمة قالت : (كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي (ص) في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من

---

(١) وسائل الشيعة ٣٦٦/٥.

من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين فبكى رسول الله (ص) وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله (ص) وديعة عندك هذه التربة فشمّها رسول الله (ص) وقال : ويح كرب وبلاء ، قالت : وقال رسول الله (ص) يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل قال فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم)[1] .

وفي المستدرك على الصحيحين أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال : (أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله (ص) اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله ؟ قال : أخبرني جبريل عليه الصلاة السلام أن هذا يقتل بأرض العراق للحسين فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها) قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)[2] .

---

(١) المعجم الكبير ١٠٨/٣ ، تاريخ دمشق ١٩٣/١٤ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤٤٠/٤ ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٠٨/٢٣ .

الفصل الثالث والعشرون
الجمع بين الصلاتين

قال الجنيد تحت عنوان « الجمع بين الصلاتين » : (الشيعة يجمعون بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، وهذه الأخرى بدعة تتعارض مع قول الله تعالى : ﴿ **إنّ الصَّلاةَ كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ « النساء : ١٠٣ » أي أن كلاً منها لها وقت خاص بها وأن عمل النبي (ص) يؤكد ذلك وإنما كان يجمع بين الصلاتين إذا كان مسافراً أو في ليلة ممطرة أو لمرض عرض .)[١]

أقول : إن القول بعدم جواز الجمع بين صلاتي الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء هو البدعة في الدّين وليس القول بالجواز لأنّ القرآن الكريم والسنة الصحيحة يدلان على الجواز ، فالشيعة في قولهم بجواز الجمع وفعلهم لذلك إنما اتّبعوا القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، أما القرآن فإنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهوداً** ﴾ فهذه الآية الكريمة تحدد ثلاثة أوقات للصلوات الخمس اليومية :

أ- دلوك الشمس وهو وقت صلاتي الظهر والعصر .

ب- غسق الليل وهو وقت صلاتي المغرب والعشاء .

---

(١) حوار هادىء ١٢٠.

ج – وقرآن الفجر وهو وقت صلاة الصبح .

قال المفسر السني الفحر الرازي في تفسيره : (فإن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق عبارة عن أول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاث أوقات : وقت الزوال ، ووقت المغرب ، ووقت الفجر ، وهذا يقضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين ، وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً)[1] .

إلاّ أن الفخر الرازي – وبعد أن استفاد من الآية الكريمة دلالتها على جواز الجمع بين فريضتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء مطلقاً – ذهب إلى أنّ الدليل دلّ على أن الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز وزعم أن الجمع جائز فقط للعذر من سفر أو مطر أو غيره ، ونحن نقبل منه دلالة الآية ونرد عليه قوله بتخصيصها لأنّ الدليل دل على جواز الجمع مطلقاً بعذر أو بغيره كما سترى .

وأما دليل الجواز من السنة الشريفة فقد اتفق الفريقان شيعة وسنة على نقل الأخبار التي تفيد أنّ رسول الله ﷺ قد جمع بين فريضتي الظهر والعصر وبين فريضتي المغرب والعشاء مطلقاً دون عذر من سفر أو مطر أو خوف .

فمن طرق الشيعة : ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة ، وصلى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علة ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليتسع

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/٢١ .

الوقت على أمته)[١].

وعنه أيضاً : (إن رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علة بأذان واحد وإقامتين)[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال : (إن رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، وجمع بين المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين)[٣].

وعن الصادق عليه السلام قال : (إن رسول الله ﷺ صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سبب ، فقال له عمر : - وكان أجرأ القوم عليه - أحدث في الصلاة شيء ؟! قال : لا ؛ ولكن أردت أن أوسع على أمتي)[٤].

ومن طرق أهل السنة : ما روي عن ابن عباس قال : (صلى رسول الله (ص) الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر)[٥].

وعنه : (صلى رسول الله الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر .
قال أبو الزبير : فسألت سعيداً لم فعل ذلك ؟
فقال : سألت ابن عباس كما سألتني فقال : أراد أن لا يحرج أحداً من أمته)[٦].

وعنه قال : (جمع رسول الله (ص) بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في

---

(١) وسائل الشيعة ١٠١/٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢٨٧/١ برقم : ٨٨٦.

(٣) تهذيب الأحكام ١٨/٣.

(٤) علل الشرائع للشيخ الصدوق ٣٢١/٢.

(٥) صحيح مسلم ٤٨٩/١ برقم : ٧٠٥، سنن البيهقي ١٦٦/٣ برقم : ٥٣٣٥، شرح معاني الآثار ١٦٠/١ برقم : ٨٨٣.

(٦) صحيح مسلم ٤٩٠/١ برقم : ٧٠٥، صحيح ابن خزيمة ٨٥/٢ برقم : ٩٧١.

غير خوف ولا مطر)[١] .

وعنه قال : (أن رسول الله (ص) صلى بالمدينة سبعا وثمانيا الظهر والعصر والمغرب والعشاء)[٢] .

وعن خلاد بن خلاد الأنصاري قال : (صلينا مع عمر بن عبد العزيز يوماً ثم دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه قائما يصلي فلما انصرف قلنا يا أبا حمزة أي صلاة صليت قال العصر فقلنا إنما انصرفنا الآن من الظهر صليناها مع عمر بن عبد العزيز فقال أنس إني رأيت رسول الله (ص) يصلي هكذا فلا أتركها أبدا)[٣] .

وعن أبي بكر بن عثمان بن سهل بن حنيف قال : (سمعت أبا أمامة يقول صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلي العصر فقلت يا عم ما هذه الصلاة التي صليت ؟ قال : العصر وهذه صلاة رسول الله (ص) التي كنا نصلي معه)[٤] .

وبه يظهر صحة ما عليه الشيعة من جواز الجمع بين الصلاتين مطلقاً وبطلان زعم الجنيد من كون ذلك بدعة ، كما وبه يتبين أيضاً أن قوله : (وإنما كان -الرسول- يجمع بين الصلاتين إذا كان مسافراً أو في ليلة ممطرة أو لمرض عارض) وحصره جواز الجمع في ذلك افتراء على رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح مسلم ٤٩٠/١ برقم : ٧٠٥ ، سنن البيهقي ١٦٧/٣ برقم : ٥٣٣٩ ، مسند أحمد ٢٢٣/١ برقم : ١٩٥٣ ، مصنف ابن أبي شيبة ٢١٠/٢ برقم : ٨٢٣٠.

(٢) صحيح مسلم ٤٩١/١ برقم : ٧٠٥.

(٣) صحيح ابن حبان ٣٨٠/٤ برقم : ١٥١٤ .

(٤) صحيح البخاري ٢٠٢/١ برقم : ٥٢٤.

الفصل الرابع والعشرون
عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر

قال عبد الله الجنيد تحت عنوان « المهدي الإمام الثاني عشر » : (إن أهل السنة يؤمنون أن الله يؤيد دينه وعباده في آخر الزمان برجل من أهل البيت يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يواطىء اسمه إسم النبي (ص) واسم أبيه اسم أبيه (محمد بن عبد الله) ويؤمنون أنّه يولد في آخر الزمان وليس أوّل الزمان ، وتتزامن بداية دعوته مع نزول المسيح عليه الصلاة والسلام ، هكذا صحت الأخبار فيه وبلغت حد التواتر) .

أما الشيعة فيعتقدون أن اسم المهدي المنتظر : محمد بن الحسن العسكري وليس محمد بن عبد الله ، وأنه ولد في القرن الثاني للهجرة من الإمام الحادي عشر (الحسن العسكري) .

وأنه دخل سرداباً ثم اختفى فيه ، وكان عمره آنذاك خمس سنوات ، ولا يزال الشيعة ينتظرون خروجه منه إلى اليوم بعد أن دخله منذ ما يزيد على الألف ومئتي سنة .

ونحن لا نريد أن ندخل في جدل حول التفسير العقلي المنطقي لفكرة بقاء رجل تحت السرداب آلاف السنين اللهم إلاّ أن يكون هناك نص شرعي كالنصوص التي تحدثت عن عمر نوح وأصحاب الكهف .

وإنما نكتفي في ردّ هذه الفكرة بأن ننقل ما أكدته كتب الشيعة وعلماء تواريخهم وأنسابهم : أنه لا حقيقة ولا وجود لهذا الولد ، وعلى افتراض وجوده فإن علماء الشيعة

قد نصّوا في كتبهم أن الصبي لا يسمى إماماً ، بسبب صغر سنّه وبموجب الشروط التي ذكرها مشايخ الشيعة في الإمام ، فقد اشترطوا فيه : العقل ، البلوغ ، حسن التدبير ، العدالة العلم بالقانون الإسلامي .

لقد أكدت كتب الشيعة بحزم أن الحسن العسكري –الإمام الحادي عشر – كان عقيماً ولم تحمل منه زوجاته ولا جواريه ، وأنه لمّا مات سنة ٢٦٠ هـ دخل أقرباؤه على زوجاته وجواريه لعلهم يجدون واحدة منهن حاملاً فلم يجدوا أحداً منهن حاملاً ، مما جعلهم يقسّمون ميراثه بين أمه وأخيه جعفر .

وأن السلطان أرسل إلى دار الحسن العسكري من يفحص زوجاته وجواريه ، فتبين له أنه لم يكن له ولد أبداً .

ولهذا قال الشيخ الشيعي المفيد « فلم يظهر له ولد في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته » .

ومع ذلك يصر الشيعة اليوم على وجود هذا الولد الغائب الذي عمّر أكثر مما عمّر نوح عليه السلام)[1] .

أقول : أولاً : ليعتقد أهل السنة وغيرهم بما يشاؤون فالشيعة الإمامة الإثنا عشرية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام لهم عقائدهم التي يتدينون بها إلى الله عزّ وجل ، الثابتة عندهم بدليل العقل وما أتى به الكتاب المجيد وثبت من خلال النصوص الصحيحة المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام الطاهرين عليهم السلام .

فالإمام المهدي الذي يؤيد الله عزّ وجل به دينه وينتصر به على أعدائه ويقيم به العدل وينشر بواسطته القسط في هذه المعمورة –حسب عقيدة الشيعة الإمامية الإثنى

---

(١) حوار هادىء صفحة ١٠٥ –١٠٧ .

عشرية – هو الإمام محمد ابن الإمام الحسن العسكري ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي بن الحسين زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي الشهيد بكربلاء ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد ولد في سنة ٢٥٥ للهجرة وهو حي يرزق إلى الآن إلاّ أنه غائب لا يعرفه الناس ولا يعلمون بمكان وجوده وسيخرج يوم يأذن الله عزّ وجل له بذلك .

ثانياً : زعمه أن الروايات عند أهل السنة تواترت على أن إسم والد الإمام المهدي كإسم والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير صحيح بل كذب وتزوير وتدليس إلاّ إذا كان صاحبنا لا يعرف معنى التواتر ، ومتى يكون الخبر متواتراً ، فإن عبارة (واسم أبيه اسم أبي) لم أجد لها حسب تتبعي إلاّ ثلاثة طرق ، فأحد طرقها مروي من طريق أبي الطفيل عامر بن واثلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه نعيم بن حماد في الفتن قال : (حدثنا الوليد ورشدين عن ابن لهيعة عن إسرائيل بن عباد عن ميمون القداح عن أبي الطفيل رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال : المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي) [1] .

وسند هذا الطريق ضعيف فيكفي أن فيه عبد الله بن لهيعة الحضرمي الذي وصفوه بأنه اختلط آخر عمره وكثر عنه المناكير في روايته وكان يدلس عن الضعفاء ، ويقول الذهبي في الكاشف : (العمل على تضعيف حديثه) [2] .

وفيه ميمون القداح وهو مجهول لم أجد –حسب تتبعي – من ترجم له منهم .

---

(١) الفتن صفحة ٣٦٨ حديث رقم : ١٠٨١ .

(٢) الكاشف ٥٩٠/١ رقم الترجمة ٢٩٣٤ ، وانظر طبقات المدلسين صفحة ٥٤ رقم الترجمة ١٤٠ ، وانظر ترجمته في غيرها من كتب الجرح والتعديل .

وطريق آخر مروي عن قرة بن إياس عن رسول الله ﷺ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٢/١٩ وهو ضعيف ضعّفه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٤/٧ قال بعد ذكر نص الخبر : (رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط من طريق داود بن المحبر بن قحذم عن أبيه وكلاهما ضعيف) .

وأما الطريق الثالث فهو مروي من طريق عاصم بن أبي النجود عن زرّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ولكننا نجد أن الحديث روي من نفس هذا الطريق دون الزيادة المذكورة ، فقد رواه بدونها جمع من حفاظ أهل السنة منهم الترمذي في سننه ٥٠٥/٤ برقم : ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ ، وابن حبان في صحيحه ٢٨٤/١٣ برقم : ٥٩٥٤ ، ٢٣٧/١٥ برقم : ٦٨٢٥ ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٧٦/١ برقم : ٣٥٧١ و ٣٥٧٢ ، ٣٧٧/١ برقم : ٣٥٧٣ ٤٣٠/١ برقم : ٤٠٩٨ ، ٤٤٨/١ برقم : ٤٢٧٩ ، والشاشي في مسنده ١١٠/٢ برقم : ٦٣٥ والطبراني في المعجم الصغير ٢٨٩/٢ برقم : ١١٨١ ، والمعجم الأوسط ٥٤/٧ برقم : ٦٨٣٠ ، والمعجم الكبير ١٣١/١٠ برقم : ١٠٢٠٨ ، ١٣٣/١٠ برقم : ١٠٢١٤ و ١٠٢١٥ ، ١٣٤/١٠ برقم : ١٠٢١٧ و ١٠٢١٨ و ١٠٢١٩ و ١٠٢٢٠ و ١٠٢٢١ ، ١٣٥/١٠ برقم : ١٠٢٢٣ و ١٠٢٢٥ وغيرهم ، كما أن هذا الحديث روي عن غير من ذكرنا من الصحابة ولم ترد فيه هذه الزيادة الأمر الذي نستطيع معه أن نجزم بأن هذه الزيادة « واسم أبيه اسم أبي » مقحمة في كلامه ﷺ فهي زيادة على حديثه زادها إما أتباع الحسنيين ترويجاً لمهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى أو من قبل أتباع العباسيين تأييداً لما زعموه من مهدوية أبي جعفر المنصور محمد بن عبد الله العباسي .

أما دعواه تواتر الروايات على أنّ المهدي يولد في آخر الزمان فهو كسابقه كذب وتدليس وتزوير فلم أجد عندهم حتى رواية واحدة تدل على ذلك !

ثالثاً : أما زعمه أن الشيعة يقولون بأن الإمام المهدي غاب في السرداب وأنه موجود فيه وسيخرج منه كله افتراء وكذب على الشيعة فلا يقول الشيعة بشيء مما ذكر وخروجه عليه السلام سيكون في مكة المكرمة .

رابعاً : وأما دعواه بأن علماء الشيعة قد نصّوا في كتبهم أن الصبي لا يسمى إماماً بسبب صغر سنّه (١) فهو أيضاً افتراء وكذب على علماء الشيعة فلم ينص واحدٌ منهم على شيء من ذلك ، بل علماء الشيعة يذهبون إلى عكس ما نسبه إليهم الجنيد ، فهم يقولون بأن الصبي يمكن أن يكون نبياً أو إماماً ، والقرآن الكريم يؤكد ذلك فقد آتى الله عزّ وجل يحيى الحكمة وهو صبي يقول تعالى : ﴿ **يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً** ﴾ « مريم : ١٢ » وآتى عيسى بن مريم النبوّة وهو رضيع في المهد ، قال تعالى : ﴿ **فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في الْمَهْدِ صَبِيّاً * قالَ إِنّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيّاً** ﴾ « مريم : ٢٩ — ٣٠ » ، فلا مانع إذاً أن يجعل الله من يتولى مهام الإمامة وهو في الخامسة من عمره .

والإمام الخميني قدس سره في كتابه الحكومة الإسلامية كان بصدد الحديث عن الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الحاكم الشرعي في عصر الغيبة الذي هو الفقيه أو المجتهد ولا علاقة لحديثه بالحاكم الشرعي الذي هو المعصوم والإمام المنصوص عليه من الله عزّ وجل ورسوله .

خامساً : زعمه أن كتب الشيعة أكدت بجزم أن الحسن العسكري كان عقيماً ليس له عقب هو كسابقه كذب بيّن وتزوير واضح ، فكتب الشيعة أكدت خلاف ذلك ،

---

(١) لقد أرجع في هامش الصفحة إلى كتاب الحكومة الإسلامية للسيد الخميني قدس سره .

وأثبتت روايات الشيعة الصحيحة أن الإمام الحسن العسكري ولد له المهدي عليه السلام وقد أظهره لبعض الخواص من أصحابه وعلم بولادته ووجوده من كان يثق الإمام بهم من أهل بيته.

روى الشيخ الكليني في الكافي [١] بسند صحيح عن محمد بن يحيى عن أحمد بن إسحاق عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي محمد عليه السلام [٢] : جلالتك تمنعني من مسألتك فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل. فقلت: يا سيدي هل لك ولد؟ فقال: نعم، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة.

وروى الشيخ الكليني في الكافي أيضاً بسند صحيح عن: (محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن إسحاق فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف فقلت له: يا أبا عمرو إنّي أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه فإن اعتقادي وديني أنّ الأرض لا تخلو من حجة إلاّ إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجة وأغلق باب التوبة فلم يك ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فأولئك أشرار خلق الله عزّ وجل وهم الّذين تقوم عليهم القيامة، ولكنني أحببت أن أزداد يقيناً وأن إبراهيم عليه السلام سأل ربّه عزّ وجل أن يريه كيف يحيي الموتى قال: أولم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي، وقد أخبرني أبو علي أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته وقلت: من أعامل أو عمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال له: العمري ثقتي، فما أدّى عني فعني يؤدي وما

---

(١) الكافي ٣٢٨/١

(٢) هو الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام والد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قال لك عني فعني يقول ، فاسمع له وأطع فإنّه الثقة المأمون ، وأخبرني أبو علي أنّه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك فقال له : العمري وابنه ثقتان ، فما أدّيا عنّي فعنّي يؤديان ، وما قالا لك فعنّي يقولان ، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان ، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك ، قال : فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال : سل حاجتك فقلت له : أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد عليه السلام ؟ فقال : أي والله ورقبته مثل ذا – وأومأ بيده – فقلت له : فبقيت واحدة ، فقال لي : هات ، فقلت : فالإسم ؟ قال : محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك ، ولا أقول هذا من عندي فليس لي أن أحلل ولا أحرّم ولكن عنه عليه السلام فإن الأمر عند السلطان أنّ أبا محمد مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذه من لاحقّ له فيه وهو ذا عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يعترف إليهم أو ينيلهم شيئاً ، وإذا وقع الإسم وقع الطلب فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك)[1].

فهاتان الرّوايتان الصحيحتان تثبتان ولادة ووجود ولد للإمام الحسن العسكري عليه السلام ، والنصوص والأدلة في ولادته في مصادر الشيعة عديدة وكثيرة .

سادساً : لقد اعترف جمع من علماء أهل السنة بولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه منهم :

١- ابن الأثير الجزري ، قال في كتابه الكامل في التاريخ في حوادث سنة ٢٦٠ هـ : (وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية ، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر)[2].

٢- ابن خلكان قال في كتابه وفيات الأعيان : (أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله ثاني عشر الأئمة الإثنى عشر

---

(١) الكافي ٣٣٠/١.

(٢) الكامل في التاريخ ٢٥٠/٦ حوادث سنة ٢٦٠ هـ.

على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى [١] ، كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين) [٢] .

٣- شمس الدين الذهبي ، اعترف بولادة الإمام المهدي ﷺ في ثلاثة من كتبه ، فقد ترجم له في كتابه سير أعلام البنلاء فقال : (المنتظر ، الشريف أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري ابن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب العلوي الحسيني ، خاتمة الاثنى عشر سيداً الذين تدعي الإمامية عصمتهم ولا عصمة إلاّ لنبي [٣] ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنّه الخلف والحجة وأنه صاحب الزمان وأنه صاحب السرداب بسامراء وأنّه حي لا يموت حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجورا ...) [٤] .

وقال في كتابه العبر في خبر من غبر ٣٧/٢ : (وفيها -أي سنة ٢٥٦هـ ولد - محمد ابن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق العلوي الحسيني أبو القاسم الذي تلقبه الرافضة الخلف الحجة ، وتلقبه بالمهدي والمنتظر وتلقبه بصاحب الزمان وهو خاتمة الاثنى عشر) .

---

(١) هذا افتراء على الشيعة فلا أحد منهم يقول بخروجه يوم يظهر ليقيم العدل والقسط في الأرض من سرداب داره بسر من رأى وإنما عقيدتهم أنه يظهر في مكة المكرمة .

(٢) وفيات الأعيان ١٧٦/٤ .

(٣) لقد أوردنا مجموعة من الأدلة على لزوم عصمة الإمام فراجع الفصل الخاص بعصمة الأئمة عليهم السلام .

(٤) سير أعلام النبلاء ١١٩/١٣ – ١٢٠ .

وقال في تاريخ دول الإسلام وهو يترجم للإمام الحسن العسكري عليه السلام : (الحسن ابن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق أبو محمد الهاشمي الحسيني ، أحد أئمة الشيعة الذين تدعي الشيعة عصمتهم ، ويقال له : الحسن العسكري لكونه سكن سامراء فإنها يقال لها العسكر .

وهو والد منتظر الرافضة ، توفي إلى رضوان الله بسامراء في ثامن ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين وله تسع وعشرون سنة ، ودفن إلى جانب والده .

وأمّا ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجة فولد سنة ثمان وخمسين وقيل سنة ست وخمسين)[١].

٤- صلاح الدين الصفدي قال في الوافي بالوفيات : (العسكري والد الإمام المنتظر ، الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أبو محمد العسكري أحد أئمة الشيعة الذين يدعون عصمتهم ويقال له الحسن العسكري لكونه نزل سامر وهو والد منتظر الرافضة ... وأما ابنه محمد الحجة الخلف الذي تدعيه الرافضة فولد سنة ثمان وخمسين وقيل ست وخمسين ...)[٢].

٥- عبد الحي الحنبلي ترجم للمهدي في شذرات الذهب ١٥٠/٢ فقال : (والإمام محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني أبو القاسم الذي تلقبه الرافضة بالخلف وبالحجة وبالمهدي وبالمنتظر وبصاحب الزمان وهو خاتمة الإثنى عشر إماماً عندهم) .

---

(١) تاريخ دول الإسلام في الجزء الخاص بحوادث ووفيات (٢٥١- ٢٦٠ هـ) .

(٢) الوافي بالوفيات ٧٠/١٢.

٦- أحمد بن حجر الهيثمي قال في الصواعق المحرقة : (أبو الحسن الخالص ، وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري ، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ... مات بسر من رأى ودفن عند أبيه وعمه وعمره ثماني وعشرون سنة ، ويقال : إنّه سمّ أيضاً ، ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة ، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه الله فيها الحكمة ، ويسمّى القائم المنتظر ، قيل : لأنّه سُتِرَ بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب)[1] .

٧- الشيخ عبد الله الشبراوي قال في كتابه الاتحاف بحب الأشراف : (ولد الإمام محمد الحجة ابن الإمام الحسن الخالص رضي الله عنه بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين قبل موت أبيه بخمس سنين وكان أبوه قد أخفاه حين ولد وستر أمره لصعوبة الوقت وخوفه من الخلفاء فإنهم كانوا في ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس والقتل ويريدون اعدامهم)[2] .

٨- محمد بن يوسف الكنجي الشافعي قال عن الإمام الحسن العسكري : (مولده بالمدينة ، وقبض يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين وله يومئذٍ ثمان وعشرون سنة ، ودفن في داره بسر من رأى ، في البيت الذي دفن فيه أبوه وخلف ابنه وهو الإمام المنتظر صلوات الله عليه)[3] .

وقد صرّح كثيرون غير هؤلاء من أعلام أهل السنة بولادة الإمام المهدي عليه السلام ومن أراد الإطلاع عن المزيد من الأسماء فعليه بمراجعة كتاب « دفاع عن الكافي »

---

(١) الصواعق المحرقة ٦٠١/٢ .

(٢) الاتحاف بحب الأشراف صفحة ١٧٩ .

(٣) كفاية الطالب صفحة ٤١٣ .

لثامر هاشم حبيب العميدي ، وكتاب « المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية » للشيخ نجم الدين العسكري .

سابعاً : أمّا ما نقله من كلام الشيخ المفيد فقد بتر منه ما يفيد خلاف ما يريد إثباته فنص كلامه في الإرشاد هو : (وخلف ابنه المنتظر لدولة الحق ، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدّة طلب سلطان الزمان له ، واجتهاده في البحث عن أمره ، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه ، وعرف من انتظارهم له ، فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته) (الإرشاد ٢/٣٣٦) .

وهو ظاهر في أن الشيخ المفيد رحمه الله يثبت وجود ولد للإمام الحسن العسكري وأنه الإمام بعد أبيه ، وقد أخفى والده ولادته ولم يظهره لجمهور الناس خوفاً عليه من سلطان ذلك الزمان لما عرف وشاع بين الناس من أنّ الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام هو المهدي الذي ينتصر الله سبحانه وتعالى به على أعدائه وينتقم به لأوليائه ويقيم على يديه دولة الحق ويقضي بواسطته على حكومات الجور والظلم والطغيان .

ثامناً : لايعد بقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه هذه الفترة الطويلة من الزمن نسبياً أمراً من المستحيل عقلاً فهو ممكن عقلاً وفي التاريخ شواهد من حياة الكثير من الأشخاص الذين عاشوا في هذه الحياة مئات السنين ، يقول القرآن الكريم عن نوح عليه السلام : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطّوفانُ وَهُمْ ظالِمونَ** ﴾ « العنكبوت : ١٤ » .

فهذه الآية الكريمة تثبت أن الفترة التي دعا فيها نوح عليه السلام قومه إلى الله تعالى هي ٩٥٠ سنة فلا يعلم كم كان عمره يوم أرسله الله نبياً ، وكم عاش بعد الكوفان ؟.

والخضر عليه السلام حي من عهد موسى عليه السلام إلى يومنا هذا كما تفيده بعض الروايات

وعدو الله إبليس المخلوق قبل أن يخلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام بمدة لا يعلمها إلاّ الله أخبر القرآن الكريم عنه بأنه سيعيش إلى يوم القيامة .

ثم إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك الموت والحياة وبيده وحده الإماتة والإحياء فلن تموت نفس إلاّ بإذنه فإذا تعلقت إرادته في إطالة حياة إنسان لحكمة هو يعلمها فلا مانع يمنع من تحقق تلك الإرادة ، فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وعليه فلا يوجد دليل واحد يمكن أن يمنع من بقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه هذه المدة المديدة من الزمن .

الفصل الخامس والعشرون
الشهادة لعلي بالولاية في الأذان وحي على خير العمل

قال الجنيد : (... غير أنهم – يعني أهل السنة – يرفضون الزيادة التي أدخلها الشيعة على الأذان « أشهد أن عليّاً بالحق وليٌّ الله » ...) [1].

وقال أيضاً : (وكذلك الشأن في صيغة « حي على خير العمل » أضيفت بعد العصر الأول ، ولم يعرفها عليٌّ ولا بنوه ولا أحد من أهل البيت) [2].

أقول : لا يقول الشيعة بأن « أشهد أن علياً ولي الله » جزءٌ من الأذان وإنما يأتون بها من باب الاستحباب فلو أذّن بدونها فالأذان صحيح ، يقول آية الله السيد علي الحسيني السيستاني حفظه الله تعالى وهو من أشهر مراجع الشيعة وفقهائهم في أيامنا هذه : (والشهادة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام مكملة للشهادة بالرسالة ومستحبة في نفسها وإن لم تكن جزءاً من الأذان ولا الإقامة وكذا الصلاة على محمد وآل محمد عند ذكر اسمه الشريف) [3].

فالشهادة له عليه السلام بالولاية شهادة بحق ، لأن هذه الولاية أثبتها له الله سبحانه وتعالى

---

(١) حوار هادىء صفحة ١١٧ .

(٢) حوار هادىء صفحة ١١٨ .

(٣) المسائل المنتخبة صفحة ١٢٩ – ١٣٠ .

ورسوله المصطفى ﷺ ، ودلّت على ثبوتها له العديد من روايات أهل السنة ، فلاشك تكون الشهادة له بها راجحة شرعاً خصوصاً وأن هناك من يحاول إنكارها مكابرة وعنادا .

أما عبارة « حي على خير العمل » فهي عند الشيعة من فصول الأذان بذلك جاءت رواياتهم الصحيحة ، وكان يؤذن بها في عهد رسول الله ﷺ وقد نهى عنها عمر بن الخطاب باعترافه حسب ما أفاده التفتازاني في شرح المقاصد حيث قال : (وقد كان معترفاً –عمر – بشرعية المتعتين في عهد النبي (ص) على ما روي عنه أنه قال ثلاث كن على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنهن وأحرمهن وهي متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل)[(١)] .

وذكر محمد عرفة الدسوقي في حاشيته بأن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام كان يأتي بها في أذانه ، قال : (كان علي رضي الله عنه يزيد حي على خير العمل بعد حي على الفلاح وهو مذهب الشيعة الآن)[(٢)] .

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى قال : (وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أنا أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا بشر بن موسى حدثنا موسى بن داود ، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه أن علي بن الحسين كان يقول في أذانه إذا قال حي على الفلاح قال حي على خير العمل ويقول هو الأذان الأول)[(٣)] .

---

(١) شرح المقاصد ٢٩٤/٢ .

(٢) حاشية الدسوقي ١٩٣/١ .

(٣) سنن البيهقي ٤٢٥/١ حديث رقم : ١٨٤٤ ، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه ١٩٥/١ حديث رقم : ٢٢٣٩ .

فتمعن في قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام : (هو الأذان الأول) الدال على أن عبارة « حي على خير العمل » كانت من فصول الأذان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال ابن حزم في المحلى : (وقد صحّ عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أنهم كانوا يقولون في أذانهم حي على خير العمل) [1] .

(١) المحلى ١٦٠/٣ ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٤٢٤/١ حديث رقم : ١٨٤٣ .

الفصل السادس والعشرون
صلاة الجمعة

قال الجنيد تحت عنوان « تعطيل أداء صلاة الجمعة » : (إن الأكثرية من فقهاء الشيعة قد حكموا بعدم وجوب أداء صلوات الجمع في المساجد ، وخيّروا الناس بين أن يصلّوها جمعة أو أن يصلّوها ظهراً في البيوت إذا شاؤوا وقد خالفوا بذلك صريح قول الله تعالى ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إذا نوديَ للصَّلاةِ منْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَروا الْبَيْعَ ﴾« الجمعة : ٩ » .

وسبب ذلك أنهم اشترطوا لوجوبها على الشيعة حضور « الإمام الغائب المهدي » وما دام لم يحضر ولم يخرج فيسقط وجوب أداء الجمعة جماعة مع المسلمين) ! [1] .

أقول : أولاً : قوله إن أكثر فقهاء الشيعة قالوا بعدم وجوب أداء صلاة الجمعة في المساجد وخيّروا الناس بينها وبين صلاة الظهر افتراء عليهم ، فليس في فقهاء الشيعة من أفتى بذلك ، فهم متفقون ومجمعون على أن أداء الصلاة اليومية ومنها صلاة الجمعة في المسجد أفضل من الصلاة في غيره ، ونتحدى الجنيد أن يأتي بفتوى واحد من فقهاء الشيعة يؤكد بها فريته هذه .

ثانياً : أما بالنسبة لإقامة صلاة الجمعة ،ففقهاء الشيعة مجمعون على وجوبها العيني في

---

(١) حوار هادىء صفحة ١٢١ .

عصر حضور المعصوم عليه الصلاة والسلام ، واختلفوا في ذلك في زمان غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه على أقوال فمنهم من ذهب إلى وجوبها عيناً ومنهم من ذهب إلى وجوبها تخييراً ، قال الشيخ يوسف البحراني : (لا خلاف بين أصحابنا في وجوبها عيناً مع حضوره عليه السلام أو نائبه الخاص ، وإنما الخلاف في زمن الغيبة وعدم وجود الإذن على الخصوص على أقوال : الأول : القول بالوجوب العيني وهو المختار المعتضد بالآية والأخبار ، وبه صرّح جملة من مشاهير علمائنا الأبرار رضوان الله عليهم ، متقدميهم ومتأخريهم ...) [1] .

وعد جماعة من الفقهاء والعلماء قالوا بالوجوب العيني لصلاة الجمعة فذكر القول بذلك عن الشيخ المفيد في كتابه المقنعة والشيخ أبو الصلاح الحلبي في كتابه الكافي ، والشيخ أبو الفتح الكراجي في كتابه تهذيب المسترشدين ، والشيخ عماد الدين الطوسي في كتابه نهج العرفان ، والشيخ ثقة الإسلام العلامة الكليني في كتابه الكافي ، والشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق في كتابه الفقيه ثم قال : (هذا ما وقفت عليه من كلام المتقدمين ، وأما المتأخرين عن عصر شيخنا الشهيد الثاني ممن قال بهذا القول فهم أكثر من أن يأتي عليهم قلم الإحصاء وأن يدخلوا في حيّز الاستقصاء إلا أنه لا بأس بذكر جملة من مشاهيرهم ونقل عبائرهم في المقام تتمة لما قدمناه من متقدمي علمائنا الأعلام ...) [2] .

وذكر جماعة من الفقهاء ممن قالوا أيضاً بالوجوب العيني لصلاة الجمعة في زمن الغيبة ، وأما القائلون بالوجوب التخييري فكثيرون وهو القول المشهور ، فهذه كتب الفقه

---

(١) الحدائق الناضرة ٣٧٨/٩.

(٢) الحدائق الناضرة ٣٨٥/٨.

فليرجع إليها من يشاء لمعرفة الحقيقة ، وعليه فكيف يصح بعد هذا أن يدّعي مدّعي ويقول بأن الشيعة عطّلوا صلاة الجمعة ، وأنهم اشترطوا لوجوبها حضور الإمام المعصوم ؟!.

إن مما يكذب ما ادّعاه الجنيد إقامة الشيعة فعلاً لصلاة الجمعة في البلدان التي يقطنونها ، فهي تقام عندهم في إيران والعراق ولبنان وباكستان والهند وفي بعض دول الخليج العربي وفي غيرها من البلدان التي يتواجد بها الشيعة ، وهذا أمرٌ معلومٌ ومعروفٌ ومشهورٌ يشاهده الملأ على القنوات التلفزيونية والفضائية .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الرقم: ١٦٩٧
التاريخ: ٢٥/شوال/١٤٢٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني السيد كاظم الحسيني الحائري دام ظله الوارف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد الدعاء لكم بالتوفيق والتسديد لما فيه الخير والصلاح نرجو التكرم بالإجابة على الآتي:

١- ما هو رأيكم على من يقول بأن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية يقولون بتحريف القرآن الكريم، وأنه قد زيد فيه ونقص منه؟

٢- ما هو رأيكم في الروايات الواردة في بعض المصادر الشيعية والتي توهم بوجود التحريف في القرآن الكريم؟

ولكم الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] التحريف [illegible] الشيعة

[illegible] لدى بعض [illegible]

[illegible] الصحيح [illegible]

[illegible]

[illegible] التحريف

[illegible] إنا نحن نزلنا الذكر وإنا

له لحافظون [illegible] وكل ما ورد من روايات

التحريف [illegible] لدى الشيعة [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ج ـ الصحيح أن القرآن الموجود بين الدفتين هو القرآن النازل على النبي ﷺ من قبل الله تعالى من دون زيادة ونقيصة، وهذا هو المعروف بين علمائنا قديماً وحديثاً، وابتنى عليه إجماعهم العملي وإن رويت أخبار على خلاف ذلك في بعض مصادر الفريقين ـ خاصة من الطرق المعتمدة لدى الجمهور ـ إلا أنها لا يعتمد عليها، وهي لا تقوى على زعزعة واقع القرآن الشريف والتشكيك به. فإن القرآن يثبت نفسه بنفسه، وأنه ليس من إنشاء البشر كما قال تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ وهو من أجل ذلك في غنى عن التواتر، ولذا صار معجزة للنبي ﷺ وشاهداً لصدقه، وأما ما تضمنته بعض الروايات من بعض الزيادات فهو مما يقطع بعدم كونه قرآناً، لهبوط مستواه، وضعف بيانه، وركة أسلوبه، وكفى بذلك حجة على عدم التحريف. وأما فرضية النقيصة فهي مرفوضة لما أشار إليه السيد المرتضى (قده) من اهتمام المسلمين بالقرآن المانع من ضياعه، كما أن استشهادات المسلمين من الصدر الأول بالقرآن الشريف في مقام الاحتجاج وغيره ـ رغم كثرتها ـ تشهد بعدم التحريف، إذ لم يرد في كلامهم ـ ولو صدفة ـ الاستدلال أو الاستشهاد بشيء يصلح أن يكون قرآناً في أسلوبه وبيانه غير ما هو موجود في المصحف الشريف.

ومن خلال ما تقدم يظهر بطلان ما نسب لبعض الأحناف من أن النازل على الرسول ﷺ هو المعاني، وأن الرسول ﷺ صاغها بالألفاظ الموجودة.

ويجدر بالمسلمين الاهتمام بكتابهم المجيد والالتزام بتعاليمه القيمة، كما قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ بدلاً من الاستماع إلى نداء الشيطان بالمهاترات الباطلة وتمزيق شمل الأمة.

والله سبحانه هو المسدد والعاصم.

[illegible] إرسلت [illegible] على [illegible]

[illegible] ٢٠ [illegible] ١٤٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد الدعاء لكم بالتوفيق والتسديد لما فيه الخير والصلاح نرجو التكرم بالرد على الآتي:

١ - ما هو ردكم على من يقول بأن الشيعة الإمامية الإثنى عشرية يقولون بتحريف القرآن الكريم، وأنه قد زيد فيه ونقص منه؟

٢ - ما هو رأيكم في الروايات الواردة في بعض المصادر الشيعية والتي توهم بوجود التحريف في القرآن الكريم؟

ونسألكم الدعاء

باسمه تعالى

القول بالتحريف منقول عن الصحابة وعلماء السنة. أما الصحابة فإن عمر بقي إلى آخر عمره مصراً على أن آية الرجم وآية إطاعة الوالدين جزء من القرآن والمسلمون رفضوا ذلك ومصحف عبد الله بن مسعود يختلف عن المصاحف المشهورة اختلافاً فاحشاً وهناك سورتان مرويتان في صحاح أهل السنة ولم تردا في القرآن وهما سورة الحفد والخلع. وأما الشيعة فالصحيح عندهم هو عدم التحريف وقد أمر الأئمة عليهم السلام بتلاوة القرآن كما هو المشهور واستدلوا ببعض هذه القراءات المشهورة وأما الروايات فأكثرها ضعيفة وقسم منها مأول بإرادة التفسير وغيره

٢٦ شوال ١٤٢٤

فهرست الموضوعات

الفصل الأول
شبهة القول بتحريف القرآن

الفصل الثاني
الشيعة والسنة الشريفة

الفصل الثالث
الشيعة والتشيع

الفصل الرابع
زيارة القبور والصلاة والدعاء عندها

الفصل الخامس
التوسل والاستشفاع والاستعانة بالصالحين والتبرك بقبورهم

الفصل السادس
التبرك بقبور الصالحين ونقل الجثامين إلى الأماكن والمشاهد المشرفة

الفصل السابع
الرّد على شبهة التسمية بعبد الحسين وما شابه ذلك من أسماء

الفصل الثامن
الحلف بغير الله

الفصل التاسع
عصمة الأئمة عليهم السلام

الفصل العاشر
الشيعة والغلو

الفصل الحادي عشر
الرّد على محاولة الجنيد إشراك زوجات النبي (ص) مع أهل البيت في آية التطهير

الفصل الثاني عشر
الرّد على الجنيد حول اتهامه الشيعة بالطعن في عائشة

الفصل الثالث عشر
الشيعة والصحابة

الفصل الرابع عشر
الإمامة عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية

الفصل الخامس عشر
محاولة الجنيد إثبات وجود علاقة وطيدة بين أهل البيت وبعض الصحابة

الفصل السادس عشر
اتهام الجنيد الشيعة بأنهم قتلوا الحسين عليه السلام

الفصل السابع عشر
زعم الجنيد أن أهل البيت ذمّوا شيعتهم

الفصل الثامن عشر
نكاح المتعة

الفصل التاسع عشر
البداء

الفصل العشرون
التقية

الفصل الحادي والعشرون
فريضة الخمس

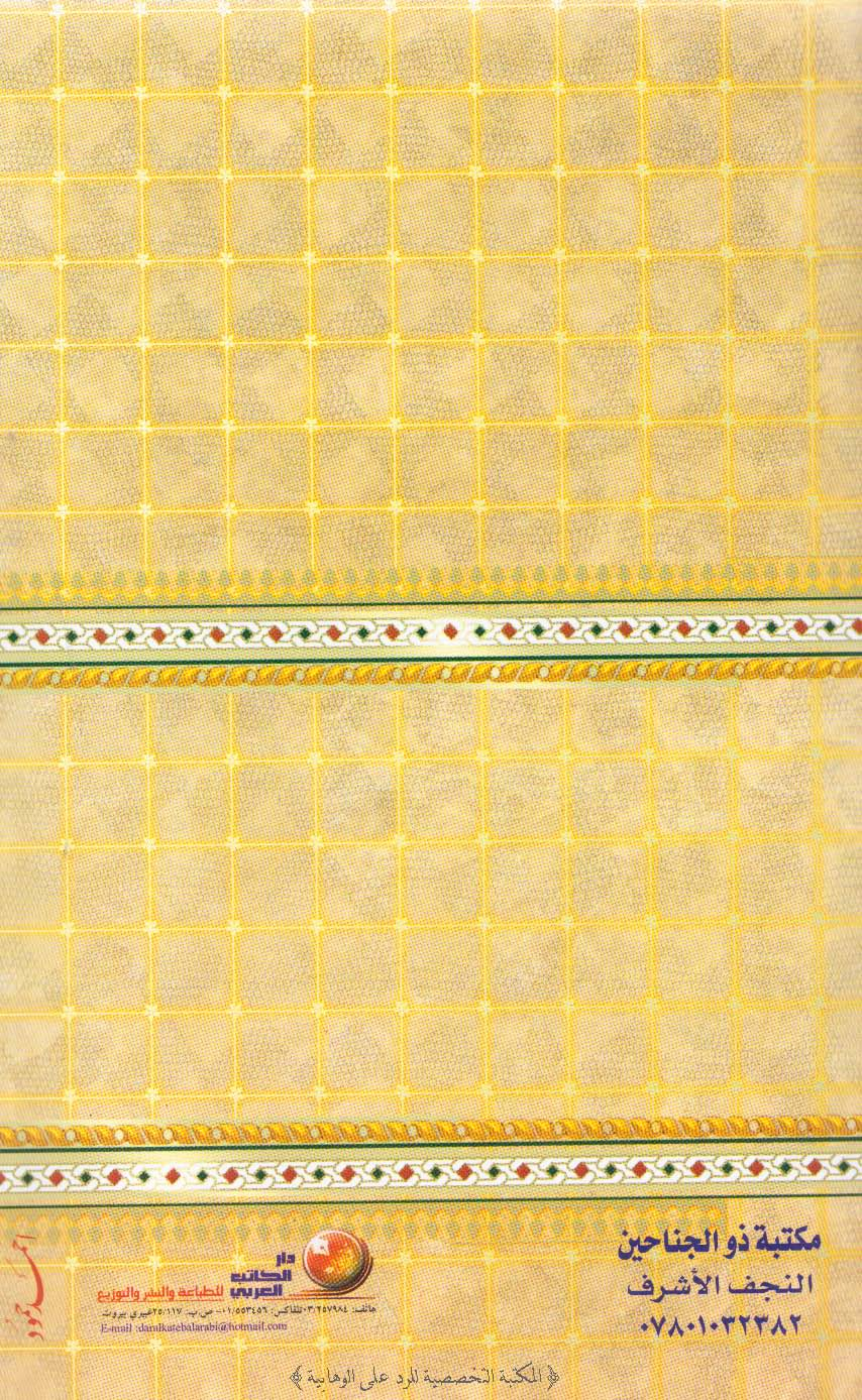
الفصل الثاني والعشرون
السجود على التربة

الفصل الثالث والعشرون
الجمع بين الصلاتين

الفصل الرابع والعشرون
عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر

الفصل الخامس والعشرون
الشهادة لعلي بالولاية في الأذان وحي على خير العمل

الفصل السادس والعشرون
صلاة الجمعة


مكتبة ذو الجناحين
النجف الأشرف
٠٧٨٠١٠٣٢٣٨٢
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - للفاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/١١٧ غبيري بيروت
E-mail :darulkatebalarabi@hotmail.com
﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾